وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة بابل ـ كلية العلوم الإسلامية
قسم لغة القرآن/ الدراسات العليا

أثَرُ المَعْنَى المُعْجَمِيِّ في تَفْسِيرِ البَيْضَاوِيّ(ت٦٨٥هـ)

رسالة قدَّمتْها الطالبة

سجى رحيم عودة كاظِم السلطانِيّ

إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل،
وهي من متطلبات نيل درجة ماجستير في لغة القرآن وإعجازه.

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

حُسَين عليّ هَادِي المحنّا

صفر ١٤٤٤هـ

آب ٢٠٢٢م

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾

صدق الله العلي العظيم

[سورة ص، الآية:٢٩]

الإهداء

إلى:

مَن قال عنهما ربُّ العزّة: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ [سورة الإسراء:٢٤] .... أمي وأبي

سندي و رفيق دربي وقرة عيني.

مَن وجـــوده يغنيني عن العالم كله.

مَن صـــــار لي أبًا وأخًا وحبيبًا.

مَن كان خير عونٍ لي في مسيرتي.

مَن ينافس الغيث في العطايـــــا.

مَن يسبق الحياة في السجايـــــا...

..... زوجي الغالي (أبي زهراء)

✸ إقرار المشرف ✸

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(**أثَرُ المَعْنَى المُعْجَمِيِّ في تَفْسِيرِ البَيْضَاوِيّ(ت٦٨٥هـ)**) التي تقدَّمتْ بها الطالبة (**سجى رحيم عودة كاظم**) جرت بإشرافي في كلية العلوم الإسلامية/ جامعة بابل، وهي من متطلبات نيل شهادة ماجستير في لغة القرآن وإعجازه.

أ.م.د. حسين علي هادي المحنّا

(المشـرف)

التَّاريخ: / / ٢٠٢٢م

بناءً على التوصيات المتوافرة، أُرشِّح هذه الرسالة للمناقشة .

أ.م.د. حسين علي هادي المحنا

(رئيس قسم لغة القرآن)

التَّاريخ: / / ٢٠٢٢م

شكرٌ وعرفـــــــان

الحمد لله جلّ جلاله الذي هداني لهذا وما كنت لأهتدي لولا أنْ هداني الله تعالى، فخاصّة الشكر له سبحانه وسَبْقُه إليه، وبالغ المِنَّةِ من فقير سائل مريد إلى غني مجيد. اللهمّ عَلّمنا ما ينفعُنا، وانفعْنا بما علمتنا، وزدنا علمًا. إنك أنت وليُّ ذلك قادرٌ عليه.

أتقدّم بخالص الشكر والعرفان ووافر التثمين والاحترام لأستاذي الدكتور حسين علي هادي المحنّا الموقّر الذي شرّفني بالإشراف على رسالتي هذه، فكان حقًا نِعْمَ الموجّهُ والمرشدُ بعلمه وإخلاصه وصبره وعزمه ورعايته، فتعلمت على يديه الدقّة والإخلاص والأمانة في النقل حتى خرجت هذه الرسالة بشكلها الذي بين أيديكم، وأرجو من الله (عزّ وجلّ) أنْ يجعلها لي ولأستاذي في ميزان حسناتنا، أطال الله تعالى عمره عالمًا ومعلمًا.

ثم أتقدّم بالشُّكر والامتنان إلى معلمي ومثلي الأعلى عمي ووالدي الأستاذ الفاضل حسين عودة كاظم (جدّ أطفالي) الموقّر الذي زرع بداخلي بذرة حبّ اللغة العربية لغة القرآن الكريم.

وأشكرُ القائمين على كلّية العلوم الإسلامية جامعة بابل عمادة وأساتيذ أجلّاء وإداريين كِرام، وكلّ مَن أسهم في تقديم يد العون والمساعدة، وأسأل اللهَ العليّ القدير أنْ يجزي الجميع وافر رحمته وعظيم كرمه.

ويطيب لي أنْ أقدّم بالشكر الجزيل لأعضاء لجنة المناقشة الفضلاء رئيسًا موقّرًا ومناقشين أجلّاء، لقبولهم وتفضّلهم بمناقشة عملي.

وأخيرًا أشكر كلّ مَن كان له فضل عليّ ممّن أعانني ولو بكلمة دفعتني نحو إكمال هذا البحث، فأسأل الله جلّ جلاله أنْ يجازي الجميع بأفضل جزاء المحسنين.

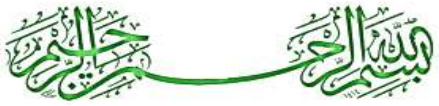

✸ قرار لجنة المناقشة ✸

نحن رئيس لَجنة المناقشة وأعضاءَها نشهد أنَّنا اطَّلعنا على الرِّسالة الموسومة بـ(**أثَرُ المَعْنَى المُعْجَمِيِّ في تَفْسِيرِ البَيْضَاوِيّ(ت٦٨٥هـ)**) التي أعدَّتها الطالـــبة (**سجى رحيم عودة كاظم**) وناقشناه في محتوياتِها وفي ما له علاقة بها، وهي جديرةٌ بالقَبولِ بتقديرِ (جيد جدًا عالٍ) لنيل شهادة ماجستير في لغة القرآن وإعجازه .

الإمضاء:

الاسم: أ. د. صادق فوزي دبّاس

التَّأريخ: / / ٢٠٢٢م

(رئيس اللَجنة)

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د. رياض رحيم ثعبان

التَّأريخ: / / ٢٠٢٢م

(عضوًا)

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د. رياض حمود حاتم

التَّأريخ: / /٢٠٢٢م

(عضوًا)

الإمضاء:

الاسم: أ. م. د. حسين علي هادي

التَّأريخ: / /٢٠٢٢م

(عضوًا ومشرفًا)

أُقرُّ بما جاء في قرار لَجنة المناقشة

عميد كلية العلوم الإسلامية

أ. د. عامر عمران علوان الخفاجي

الإمضاء:

التاريـــخ: / /٢٠٢٢م

المحتويـــات

الموضـــوع	الصفحة
مقدمـــــة	١-٥
التمهيـــــد: البيضاويّ ومسلكه في بيان المعنى المعجميّ	٦-١٨
الفصل الأول: الاستدلال بأصول المبنى اللغويّ	١٩-٨١
المبحث الأول: الاستدلال بالقرآن الكريم في الكشف عن المعنى المعجميّ	٢٠-٣٤
المبحث الثاني: الاستدلال بالحديث الشريف في الكشف عن المعنى المعجميّ	٣٥-٥٢
المبحث الثالث: الاستدلال بالشّعر في الكشف عن المعنى المعجميّ	٥٣-٨١
الفصل الثاني: التقنيّات الإجرائيّة في بيان المعنى المعجميّ	٨٢-١٤٠
المبحث الأول: الأثر المعجميّ في تحديد البناء الصرفيّ للمفردة القرآنيّة	٨٣-١١٥
المبحث الثاني: القياس على الضدّ والنظير	١١٦-١٣٠
المبحث الثالث: اصطفاء معنى من معانٍ عدّة	١٣١-١٤٠
الفصل الثالث: الكشف عن المعنى في ظلّ الأنساق	١٤١-٢٠٠
المبحث الأول: المركّبات الإضافيّة والوصفيّة	١٤٢-١٦٠
المبحث الثاني: المعنى الاحتماليّ	١٦١-١٧٨
المبحث الثالث: أثر القراءات في بيان المعنى المعجميّ	١٧٩-٢٠٠
خاتمة الرّسالة ونتائجها	٢٠١-٢٠٥
مصادر الرّسالة ومراجعها	٢٠٦-٢٢٦
ملخّص الرّسالة باللغة الانجليزية	A-B

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله تعالى الأوّل قبل الإنشاء والآخر بعد فناء الأشياء، وصلى الله على خاتَم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الأطهار النجباء، وصحبه الأتقياء، وبعد:

فمن المعلوم لدى المشتغلين بالتفسير أنّ ضابط اللغة هو ملجأ المفسر إذا لم يسعفهُ النقل، ويستعين المفسر بالمعنى المعجمِيّ للفظ القرآني المراد تفسيره، وما يحيط باللفظ من دلالات وقرائن تحدد المعنى الذي يقتضيه السياق الذي ورد فيه.

وبعد الاطلاع على كتب التفسير تبين لنا أنّ كثيرًا من المفسرين قد اهتموا باللغة، وأحسب أنّ تفسير البيضاويّ الموسوم بـ(أنوار التنزيل وأسرار التأويل) من كتب التفسير التي اهتمت بهذا الجانب، فكان بحقٍّ أنوارًا للمعنى الشديد وأسرارًا للتأويل الحميد، إذ إنّ البيضاويّ (ت٦٨٥هـ) أوْلى اللغة عنايةً فائقةً، فهو يُعنى ببيان معاني الألفاظ المعجمِيّة ومقاصدها في السّياق القرآنيّ.

وبعد استشارة أستاذي المشرف عَرَضَ عليَّ دراسة المعنى المعجمِيّ في تفسير البيضاويّ رغبة منه في البحث في موضوع يُعنى بهذا الصدد؛ لقلة الدراسات في هذا المجال، وأوضحَ لي أنه اطلّع على هذا التفسير ورصد اهتمام البيضاويّ الوسيع في الجانب اللغويّ، إذ لا تخلو صحيفة من صحائف التفسير من هذا الاهتمام، وبعد الحوار والنقاش استقر الرأي على أنْ يكون عنوان رسالتي (أثر المعنى المعجمِيّ في تفسير البيضاويّ (ت٦٨٥هـ)، وألفينا أنّ البيضاويّ يوظّف المعنى المعجمِيّ للإفادة منهُ في تفسير آيات القرآن الكريم، ويحاول جاهدًا أنْ يتعامل مع النصّ القرآنيّ ولا سيّما دلالات ألفاظه تعاملًا دقيقًا، وأنّه توسّل بالمعجم العربيّ بوصفه آلة تعينه في الوقوف على دلالة اللفظ القرآنيّ والوقوف على مقاصدها وفضائها، على أنّ المعنى المعجمِيّ مذكور في المعاجم العربية لِمَن أراد معرفته، وتبيان مهارة المفسّر في الإفادة من المعنى المعجمِيّ وتوظيفه بما ينسجم مع السياق القرآنيّ.

وبدأتْ رحلتي مع تفسير البيضاويّ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وقرأتُه قراءةً فاحصة أجرد المعاني المعجمِيّة المتحصّلة من بيانات المعجمِيّين في الكشف عن دلالات الألفاظ القرآنيّة دون كلل أو ملل، وأحسب أني وجدتُ ضالتي وبغيتي وهي الحصول على أجر الدنيا وثواب الآخرة.

وحاولتُ قدر المكنة والجهد بيان المعنى المعجمِيّ عند البيضاويّ ثم ذكر هذا المعنى عند أصحاب المعاجم لنوثّق صحّة هذا المعنى الذي ذكره البيضاويّ، ثم نستعين بكتب التفسير لبيان هذا المعنى، ومن الجدير بالذكر أنّ كلَّ المعاني التي ذكرها البيضاويّ جاءت متوافقة مع ما ذكره اللغويون في معاجمهم، وقد كان لغويًّا حاذقًا في تكشيف معنى اللفظ مراعيًا موافقة المعنى السياق القرآني.

وعند بيان أثر المعنى المعجمِيّ نذكر قول البيضاويّ ونحاول أنْ نذكر أثر القرينة السياقية التي على أساسها اختار المعنى المعجمِيّ ونشفع ذلك بآراء بعض المفسّرين الذين قالوا بقوله.

كان تفسير البيضاويّ أهمّ مصادر البحث، إذ هو ميدان الدراسة ومحورها، ثم المعاجم وأهمها كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، ومعجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، ولسان العرب لابن منظور (ت٧١١هـ) وسواها، ومن مصادر البحث كذلك كتب التفسير لبيان أثر المعنى المعجمِيّ، ومن أهمها تفسير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، وتفسير الكشاف للزمخشري (ت٥٣٨هـ)، والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ). ولم أغفل كتب معاني القرآن وكتب إعراب القرآن، ومنها معاني القرآن للفرّاء (ت٢٠٧هـ)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (ت٣١١هـ)، ومن مصادر البحث كتب الحديث النبوي التي استعنتُ بها لتخريج أحاديث النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا سيّما صحيحا البخاري (ت٢٥٦هـ)، ومسلم (ت٢٦١هـ)، ومسند

أحمد (ت٢٤١هـ)، وخرّجتُ الشواهد الشعرية من دواوين أصحابها، ومنها: ديوان النابغة الذبيانيّ، وديوان حسان بن ثابت، وديوان جرير، وديوان العجاج.

وقد اقتضت طبيعة البحث أنْ يكون في مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، انعقد التمهيد بعنوان (البيضاويّ ومسلكه في بيان المعنى المعجمِيّ) جاء في محورين، أولًا: البيضاويّ وسيرته العلمية، ثانيًا المعنى المعجمِيّ ومسلك البيضاويّ في بيانه، وانعقد الفصل الأوّل بعنوان (الاستدلال بأصول المبنى اللغويّ) وجاء في ثلاثة مباحث، الأول: الاستدلال بالقرآن الكريم في الكشف عن المعنى المعجمِيّ، والثاني: الاستدلال بالحديث الشريف في الكشف عن المعنى المعجمِيّ، والثالث: الاستدلال بالشعر العربيّ في الكشف عن المعنى المعجمِيّ، وجاء الفصل الثاني بعنوان (التقنيات الإجرائيّة في بيان المعنى المعجمِيّ) وانعقد في ثلاثة مباحث، الأول: الأثر المعجمِيّ في تحديد البناء الصرفي للمفردة القرآنيّة، والثاني: القياس على الضد والنظير، والثالث: اصطفاء معنى من مجموعة معانٍ، وانعقد الفصل الثالث بعنوان (الكشف عن المعنى في ظلّ الأنساق) وجاء في ثلاثة مباحث أيضًا، الأول: المركبات الإضافية والوصفية، والثاني: المعنى الاحتمالي، والثالث: أثر القراءات في بيان المعنى المعجمِيّ.

وأنهينا الرسالة بخاتمة تضمّنت أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها. ولابدّ من القول إنّي لقيت في صنيعي مصاعب أحتسبُ أجرها وثوابها عند الله تعالى، منها جدّة الموضوع في جامعتنا المحروسة جامعة بابل، وكذلك في بقية الجامعات، إذ بحسب الاطلاع لم أجد رسالة جامعية ذات علاقة بعنوان رسالتي ما خلا أطروحة الدكتوراه للباحثة حنان محمود خمّوشي الموسومة بـ(أثر المعنى المعجمِيّ في تفسير القرطبيّ الجامع لأحكام القرآن–السبع الطوال أنموذجًا) نوقشت في كلّية الآداب جامعة الموصل، فكان عليَّ أنْ أشدّ العزم بعد التوكل على الله سبحانه وتعالى وأن أقتحم هذا الموضوع وأبذل الجهد مستعينةً ومسترشدةً بآراء أساتذة أجلّاء كان لهم الفضل في استواء البحث على سوقه.

وبعدُ فإنّني أحمد الله تعالى وأشكره على أنْ وفقني في خوض غمار البحث في كتابه العزيز، ولابُدَّ من شكر كلّ مّن أعانني ووقف معي في هذه الرحلة البحثية، وأخصّ منهم أستاذي ومشرفي الأستاذ المساعد الدكتور حسين المحنّا الموقّر على رعايته التربويّة والعلميّة وآرائه القيّمة السّديدة الزكيّة، فله مني كلّ الشكر والامتنان والعرفان لقبوله الإشراف على رسالتي، وكل الشكر والامتنان لأساتذتي الأفاضل في قسم لغة القرآن الذين نهلتُ من فيض علمهم وتتلمذت لهم فلهم مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان.

ويطيب لي أنْ أشكر لجنة المناقشة رئيسًا وأعضاء لقبولهم قراءة الرسالة وتقويمها وتشذيبها وتصويب ما بها من هَنَات.

وختامًا ندعو العليّ القدير أنْ يتقبل عملنا هذا خالصًا لوجهه الكريم إنّه سميع مجيب، ولكل مجتهد نصيب، قال تعالى: ﴿**وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى**﴾ (النجم:٣٩-٤١).

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والصلاةُ والسلامُ على سيدِ المرسلين وآلهِ الطيبين الطاهرين وعلى صحبِه المتقينَ.

التمهيد

البيضاويّ ومسلكُهُ في بَيَان المعنى المُعْجَمِيّ

في هذا التمهيد الذي عنونته (البيضاويّ ومسلكه في بيان المعنى المعجميّ) نحسب أنّ له أهميّة في تبيان مكونات العنوان، فبدا أنْ يكون في محورين، الأوّل: البيضاويّ وسيرته العلميّة، والثاني: المعنى المعجميّ ومسلك البيضاويّ في بيانه، وسنحاول –بإيجاز– أنْ نبرقَ بأهمّ معالم هذين المحورين.

أولًا: البيضاويّ وسيرته العلمية:

هذه نبذة من حياة البيضاويّ وسيرته العلمية ، إذ سبقني الباحثون والدارسون في الكتابة عن سيرته ومكانته العلمية والثقافية وأبانوها، لذا سأكتفي بعرض موجز للتعريف به وبما يؤسس تمهيدًا لدراستي.

اسمه ونسبه: هو عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، ناصر الدين الشيرازيّ البيضاويّ قاضي القضاة يكنى بأبي الخير[(١)].

والبيضاويّ نسبة إلى مدينة البيضاء من بلاد فارس سميت بذلك؛ لأنّ لها قلعة تظهر من بُعد ويرى بياضها[(٢)].

مولده ونشأته: ولد البيضاويّ في مدينة البيضاء المشار إليها آنفًا، ولم تذكر كتب التراجم سنة ولادته، ونشأ في بيت علم فأخذ العلم عن والده وتفقه عليه[(٣)]، وتدرج فيه حتى بلغ الدرجة السامية جمع فيها أصناف العلوم: القرآن الكريم وعلومه، واللغة وعلومها، والعلوم الشرعية وغيرها حتى قال عنه العلماء: كان إمامًا مبرزًا نظارًا خيرًا

(١) ينظر: الوافي بالوفيات: ٢٠٦/١٧، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة: ١٧٢/٢.
(٢) ينظر: معجم البلدان: ٥٢٩/١، وشذرات الذهب: ٧ /٦٨٥.
(٣) ينظر: مرآة الجنان: ١٦٥/٤ .

صالحًا متعبدًا فقيهًا أصوليًّا متكلمًا مفسِّرًا محدّثًا أديبًا نحويًّا مفتيًا قاضيًا عادلًا[١]. وُلِّيَ قضاء شيراز مدة وصرف عنه لشدته في الحقّ، فرحل إلى تبريز وتوفي فيها[٢].

وفاته: اختلف العلماء في تحديد سنة وفاة البيضاويّ، فذكر اليافع (ت٧٦٨هـ) أنّ وفاته سنة (ت٦٩٢هـ)[٣]. وذكر إسماعيل باشا البغدادي (ت١٣٣٩هـ) أنّ وفاته سنة (ت٦٩١هـ)، أو سنة (ت٦٩٦هـ)[٤]. والراجح عند جمهور المؤرخين أنّ وفاته (ت٦٨٥هـ)[٥].

تفسير البيضاويّ:

يعدُّ تفسير البيضاويّ الموسوم بـ(**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**) من أهمّ مصنفاته، إذ ذكر هذا التفسير عدد من المترجمين له[٦]، وتأتي أهميته في كونه من أمّات كتب التفسير، وهو كتاب عظيم الشأن غني عن البيان، جمع فيه بين التفسير والتأويل على مقتضى قواعد اللغة العربية، ولَخَّصَ من (الكشاف) ما يتعلق بالإعراب والمعاني والبيان، ومن (التفسير الكبير) ما يتعلق بالحكمة والكلام، ومن مفردات الراغب الأصفهانيّ ما يتعلق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات، كما أنّه أعمل فيه عقله فضمنه نكتًا بارعةً واستنباطات دقيقة، كل هذا في أسلوب لطيف موجز وعبارة تدق أحيانًا وتخفى إلا على ذي بصيرة ثاقبة وفطنة نيرة[٧].

(١) ينظر: بغية الوعاة: ٥٠/٢، والفتح المبين في طبقات الأصوليين: ٨٨/٢.
(٢) ينظر: الأعلام: ١١٠/٤ ، والفتح المبين في طبقات الأصوليين: ٨٨/٢.
(٣) ينظر: مرآة الجنان: ١٦٥/٤.
(٤) ينظر: هدية العارفين: ٤٦٣/١.
(٥) ينظر: طبقات المفسرين: ٢٥٥ ، والأعلام: ١١٠/٤، والفتح المبين في طبقات الأصوليين: ٨٨/٢.
(٦) ينظر: الأعلام: ١١٠/٤، والتفسير والمفسرون: ٢١١/١، وهدية العارفين: ٤٦٣/١.
(٧) ينظر: كشف الظنون: ١٨٧/١، والتفسير والمفسرون: ٢١١/١-٢١٢.

قال في مقدّمة تفسيره: ((وبعد، فإن أعظم العلوم مقدارًا وأرفعها شرفًا ومنارًا، علم التفسير الذي هو رئيس العلوم الدينية ورأسها، ومبنى قواعد الشرع وأساسها، لا يليق لتعاطيه والتصدي للتكلم فيه إلا من برع في العلوم الدينية كلّها أصولها وفروعها، وفاق في الصناعات العربية والفنون الأدبية بأنواعها. ولطالما أحدث نفسي بأنْ أصنف في هذا الفن كتابًا يحتوي على صفوة مما بلغني من عظماء الصحابة، وعلماء التابعين، ومن دونهم من السلف الصالحين، وينطوي على نكت بارعة، ولطائف رائعة، استنبطتها أنا ومن قبلي من أفاضل المتأخرين، وأماثل المحققين))[1].

ثم إنّ هذا الكتاب رزقه الله تعالى حسن القبول عند العلماء، فعكفوا عليه بالدرس والتحشية، فمنهم من علق على سورة منه، ومنهم من حشى تحشية تامة، ومنهم من كتب على بعض مواضع منه، وهي كثيرة تصل إلى أكثر من أربعين، منها مجلدات ومنها ما دون ذلك، وهذه الحواشي تُظْهِرُ أهمية هذا الكتاب، وأشهر هذه الحواشي تداولًا بين الناس (حاشية الشيخ زاده (ت٩٥١هـ) و(حاشية الشيخ البَهَائِيّ (ت١٠٣٠هـ) و(حاشية الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩هـ) و(حاشية القونويّ (ت١١٩٥هـ)، وقد طُبِعَ هذا الكتاب أكثر من طبعة، والطبعة التي اعتمدت عليها الدراسة هي طبعة دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، بتحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٢٣/١.

ثانيًا: معنى المعجم ومراحل التدوين فيه:

المعجم في اللغة:

جاء في لسان العرب مادة (عجم): العُجْم والعَجَم خلاف العُرْب والعَرَب، والعَجَم: جمع العَجْمي، والعُجْم: جمع الأعْجَم الذي لا يُفْصِحُ ولا يُبَيّنُ كلامه وإنْ كان عربيَّ النّسب، والانثى عجماء، أما العَجَميُّ فالذي من جنس العَجَم أفْصَح أو لم يُفصِح، والأعجم الذي في لسانه عُجْمَةٌ، وأعْجَمْتُ الكتابَ: ذهبت به إلى العُجْمة، وأعْجَمْتُ أبْهَمْتُ، وقُفْلٌ مُعْجَمٌ إذا اعْتاص[1].

وقال ابن جني (ت٣٩٢هـ): ((اعلم أنّ (ع ج م) إنّما وقعت في كلام العرب للإبهام والإخفاء وضد البيان والافصاح، من ذلك قولهم: رجلٌ أعجمُ، وامرأة عَجْمَاء، إذا كانا لا يفصحان ولا يبينان كلامهما، وكذلك العُجْمُ والعَجَم، ومن ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: ((جرح العجماء جبار))[2]، يراد به البهيمة؛ لأنّها لا توضح عمّا في نفسها، ومن ذلك تسميتهم صلاتي الظهر العصر العجماوين لما كانتا لا يفصح فيهما بالقراءة))[3].

ويوضّح الدكتور حسين نصار ذلك بقوله: ((إنّ قولهم: أَعْجَمتُ وزنه (أفْعَلْتُ) وأفْعَلْتُ، إنْ كانت في غالب أمرها إنّما تأتي للإثبات والإيجاب، نحو: (أكرمت زيدًا) أي أوجبت له الكرامة، فقد تأتي ((أفْعَلْتُ) أيضًا ويراد بها السَّلب والنفي وذلك نحو: أَشْكَيْتُ زيدًا إذا زلّت له عما يشكوه... فكذلك أيضًا أَشْكلْتُ الكتاب، أي أَزَلْتُ إشْكَالَه، وقالوا أيضًا: عجَّمْتُ الكتابَ، فجاءت (أفْعَلْتُ) للسّلب أيضًا))[4].

---

(١) ينظر: لسان العرب: ٧/٣٥٠-٣٥٢، (عجم).

(٢) صحيح البخاري: ١٢٥٣، رقم الحديث: ٦٩١٢، وينظر: سنن أبي داود: ٤/١٩٥.

(٣) سرّ صناعة الإعراب: ١/٤٠-٤١.

(٤) المعجم العربي نشأته وتطوره: ١/١٢.

والمعجم: الحروف المقطعة سُمّيت معجمًا؛ لأنّها أعجمية[١]، والإعجام: هو تنقيط الحروف للتمييز بين المتشابه منها في الشكل، نحو: (ب، ت، ث، ج، ح، خ،...) ومن هذه الدلالة جاءت تسمية الحروف الهجائية بحروف المعجم؛ نظرًا لكون النقط الموجود في كثير منها يزيل التباسها، ومن هذه الدلالة أيضًا جاءت تسمية الكتاب الذي يزيل التباس معاني الكلمات بعضها ببعض وغموضها بـ(المعجم)[٢].

وسُمّيت المعاجم باسم آخر لا شكّ ولا غموض فيه هو (القواميس)، مفردها قاموس، وأتاها هذا الاسم من تسمية معجم الفيروز آبادي (بالقاموس المحيط)، ومعناه البحر المحيط، أي الواسع الشامل: فلمّا كَثُرَ تداول هذا المعجم في أيدي المتأخرين وقصروا جهودهم عليه اكتفوا بتسميته بالقاموس، ثم اشتهر هذا الاستعمال حتى أصبح مرادفًا لـ(معجم لغوي)، وأطلق هذا الاسم على جميع المعاجم اللغوية الأخرى المتقدمة والمتأخرة[٣].

المعجم في الاصطلاح:

عرَّفَ أحمد عبد الغفور عطّار المعجم في مقدمة معجم الصحاح للجوهريّ، بأنّه ((كتاب يضم أكبر عدد من مفردات اللغة مقرونة بشرحها وتفسير معانيها، على أنْ تكون المواد مرتبة ترتيبًا خاصًّا، إمّا على حروف الهجاء أو الموضوع. والمعجم الكامل هو الذي يضم كل كلمة في اللغة مصحوبة بشرح معناها واشتقاقها وطريقة نطقها وشواهد تبين مواضع استعمالها))[٤]، وأمّا أحمد مختار عمر فيرى أنّ ((المعجم كتاب يضم بين دفتيه مفردات لغة ما ومعانيها، واستعمالاتها في التراكيب المختلفة،

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ٣٩٢/١، (عجم).
(٢) ينظر: المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها: ١١-١٢، ومعجم الفرائد: ١٣٧-١٣٨.
(٣) المعجم العربي نشأته وتطوره: ١٤/١.
(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة (مقدمة المحقق): ٣٨.

وكيفية نطقها، وكتابتها مع ترتيب هذه المفردات بصورة من صور الترتيب التي غالبًا ما تكون ترتيبًا هجائيًّا))[١]، وبناءً على ذلك فالمعاجم كتب تضم بين دفتيها مفردات اللغة.

والمعجم عند (حسن ظاظا) وعاء تحفظ فيه اللغة، وهو بهذه المثابة مفروض فيه أنْ ينبه الباحث على الثمين، والغث في محتوياته، وعلى المفيد والأقل فائدة وعلى الضروري وما لا لزوم له، وعلى الثابت الأصيل والمشكوك فيه أو المزيف، وهو مسؤول عن حفظ اللغة وعن تطورها أيضًا[٢].

فالمعاجم نوعان: معاجم عامة، ومعاجم خاصة. أمّا المعاجم العامة فهي أيضًا نوعان: معاجم للمتعلمين، ومعاجم للمتقدمين. فمعاجم المتعلمين تعتمد الترتيب الألفبائي نسبة إلى اسمي الحرفين الأولين من حروف الهجاء، وهما الألف والباء وأصبح ترتيب الحروف العربية على النحو الآتي: أ، ب، ت، ث، ج، ح، خ، د، ذ، ر، ز، س، ش، ص، ض، ط، ظ ،ع، غ ، ف، ق، ك، ل، م، ن، هـ، و، ي. وهذا الترتيب هو الذي يأخذ به المعجمِيّون والمكتبيون في الواقع التداوليّ المَعيش في يومنا هذا.

وتعتمد معاجم المتقدمين الترتيب الجذري فتكون المداخل الرئيسة للمعجم وفقًا لهذا الترتيب من الجذور فقط، أمّا المشتقات فتندرج تحت الجذر الذي تنتمي إليه على شكل مداخل فرعية[٣].

وأمّا المعاجم الخاصة فهي نوعان أيضًا: معاجم للمتخصصين، ومعاجم للمؤلفين. فمعاجم المتخصصين تشمل الترتيب الموضوعي، إذ ترتب مداخل المعجم بحسب

(١) البحث اللغوي عند العرب: ١٦٢، والمعاجم اللغوية المعاصرة قضاياها النظرية والتطبيقية: ٢١.
(٢) ينظر: كلام العرب من قضايا اللغة: ١٢١.
(٣) ينظر: ترتيب مداخل المعجم (بحث): ٢١/١.

الموضوعات، فقد ألفت كثير من المعاجم المتخصصة التي تناولت موضوعات عدة منها: الإبل، والخيل، وخلق الإنسان، والنبات، والشجر[١].

ومعاجم المؤلفين تشمل الترتيب الدّلاليّ، إذ تقسم المفردات وفقًا لهذا الترتيب على حقول دلالية يعبر كل حقل منها عن قطاع معين من الخبرة الإنسانية، ويحتوي كل حقل من هذه الحقول على جميع الألفاظ التي ترتبط بعلاقة دلاليّة، ولا ترتب الألفاظ داخل الحقل الدلاليّ ترتيبًا ألفبائيًا مثلًا، وإنما ترتب دلاليًّا أي بحسب قربها في المعنى من كلمة المدخل أو بعدها عنها.

وتهدف المعاجم الدّلاليّة إلى إعطاء المرادفات أو المفردات ذات المعاني القريبة من معنى المدخل أو الكلمات التي ترد على الذهن حينما تذكر كلمة المدخل[٢].

وتأسيسًا على هذا المعنى نفهم المقصود بكلمة (معجم)، فالمعجم هو قائمة ألفاظ مفسّرة مرتبة بحسب حروفها[٣]، سواء كان ترتيبًا الفبائيًّا أو ترتيبًا جذريًّا أو موضوعيًّا أو دلاليًّا.

مراحل التدوين في المعجم:

لم يعرف العرب المعاجم لأنهم كانوا أميين رُحَّلًا ولم يؤلفوا معاجم حتى جاء الإسلام[٤]، فكانت العناية بالقرآن الكريم والآثار عامة من أهم أسباب جمع اللغة وتدوينها، وحفظ الأشعار وتصنيفها[٥]، وقد جرى جمع الفاظ العربية على مراحل ثلاث

(١) ينظر: العربية والبحث اللغوي المعاصر: ١٢٣.
(٢) ينظر: ترتيب مداخل المعجم (بحث): ١٨/١.
(٣) ينظر: الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمِيّ: ١٤.
(٤) ينظر: الصحاح ومدارس المعجمات العربية: ٥٣.
(٥) ينظر: المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها: ٢٦.

أو أشكال ثلاثة؛ لأنّ هذه الأشكال كانت متداخلة متعاصرة وليست متعاقبة تحدها الفواصل الزمنية[١]:

١. **المرحلة الأولى:**

مرحلة تدوين ألفاظ اللغة وتفسيرها من غير ترتيب[٢]، فقد كانت الغرابة في الألفاظ، ودلالتها عاملًا من العوامل التي شجّعت ودفعت الدراسات الدينية واللغوية على جمع اللغة وتقنينها[٣]، وقد قامت المحاولة الأولى لتفسير غريب القرآن على يد الصحابي الجليل عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) (ت٦٨هـ)، ثم تتابعت المحاولات أو الدراسات التي تقوم في مجملها على خدمة النص القرآنيّ، وأول من ألف كتابًا في (غريب القرآن) هو أبو سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري (ت١٤١هـ)، ثم أُلِّفت بعد ذلك كتب تتناول (غريب القرآن) تحت مسميات مختلفة مثل: مجاز القرآن، والمشكل في القرآن[٤]، أمّا التأليف في (غريب الحديث) فأول كتاب في هذا المجال كان (غريب الحديث) لأبي عبيد القاسم الهرويّ (ت٢٢٤هـ)، كما أخذ بعض الرواة يدونون هذا التراث اللغوي في رسائل متفرقة تمتاز بغناها وبطابعها الابتدائي العفوي البعيد عن التنسيق والترتيب، وظهر ذلك في كتب النوادر ككتاب (النوادر في اللغة) لأبي زيد الأنصاريّ (ت٢١٥هـ)، والأصمعيّ (ت٢١٦هـ)، وابن السّكّيت (ت٢٤٤هـ)[٥]، وهكذا بدأ العرب نشاطهم اللغوي بتفسير غريب القرآن ومشكله وغريب الحديث وغريب ما ورد في الشعر ونوادره[٦].

---

(١) التطورات المعجمِيّة والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة: ٥٤.

(٢) ينظر: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: ١٢.

(٣) ينظر: معجم الفاظ القرآن نادرة الاستعمال في لغتنا المعاصرة دراسة لغوية تفسيرية: ٣.

(٤) ينظر: التطورات العجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة: ٥٤.

(٥) ينظر: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: ١٥.

(٦) ينظر: التطورات المعجمِيّة والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة: ٥٤.

٢. المرحلة الثانية:

وهي مرحلة تدوين الألفاظ مرتبة في رسائل متفرقة صغيرة محدودة الموضوع مبنية على معنى من المعاني أو على حرف من الحروف، وكلّ هذه الرسائل الصغيرة سواء ما وصل منها وما فقد إنّما ذابت في المعاجم الجامعة التي أُلّفت فيما بعد(١)، فظهرت الألفاظ المختصة بموضوع واحد في الحيوان والنبات والشجر وغيرها، وأول من ألَّف في الخيل وخلق الإنسان أبو مالك عمرو بن كركرة الأعرابي (ت١٠٥هـ) صاحب النوادر وأحد شيوخ الخليل بن أحمد الفراهيدي، وأَوَّلُ مَنْ ألَّف في الحشرات أبو خيرة الأعرابيّ (ت١٥٧هـ)، ولأبي عمرو الشيبانيّ (ت٢٠٦هـ) كتاب (النحل والعسل)، وللأصمعي (ت٢١٦هـ) رسائل في الخيل والشاء والإبل والوحوش، وخلق الإنسان والنبات والشجر، وللنضر بن شميل (ت٢١٦هـ) كتاب (خلق الفرس)، ولابن الأعرابيّ (ت٢١٣هـ) كتاب (الذئاب)، ولأبي نصر بن حاتم (ت٢١٣هـ) كتاب (الجراد) وغيرها(٢).

٣. المرحلة الثالثة:

مرحلة وضع المعاجم العامة الشاملة المنظمة، وهي مرحلة تمتاز بجمع اللغة كلها في كتاب واحد أو حرف من الحروف، وقد اتُّبِعَ في ترتيب مفردات اللغة في هذه المعاجم ثلاث طرائق مختلفة مرتبة حسب ظهورها زمنيًا(٣).

١. ترتيب الألفاظ بحسب مخارج الحروف، وكانت البداية على يد الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت١٧٥هـ) في معجمه (العين)، حيث ارتفعت معه الصناعة المعجمِيّة وأثمرت، فقد رتبت فيه الألفاظ بحسب مخارج الحروف، مع مراعاة أوائل الأصول(٤).

---

(١) نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: ١٥.

(٢) ينظر: الفهرسة الهجائية والترتيب المعجمِيّ: ٤٤-٤٥.

(٣) ينظر: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: ٢٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٢.

٢. ترتيب أصول الألفاظ حسب المعجم مع مراعاة أوائل الأصول[١]، وأول من اتبع هذا الأسلوب ابن دريد الأزديّ (ت٣٢١هـ) في كتابه (جمهرة اللغة) [٢].

٣. ترتيب الألفاظ حسب الترتيب الهجائي مع مراعاة أواخر الكلمة، وأول من اتبع هذه الطريقة في ترتيب المعاجم أبو نصر الجوهريّ (ت٣٩٣هـ) أحد علماء اللغة في القرن الرابع الهجري، في معجمه المشهور (تاج اللغة وصحاح العربية) المعروف اختصارًا بـ(معجم الصحاح) [٣].

ثالثًا: مسلك البيضاويّ في بيان المعنى المعجمِيّ:

لا جَرمَ أنّ أوّل ما يُحتاجُ أنْ يُشتغل به من علوم القرآن ولا سيّما التفسير العلوم اللفظيّة، ((ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه))[٤]، وقد التفت الزركشيّ (ت٧٩٤هـ) إلى لزوم الالتفات إلى تحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن، قال: ((وأوَّلُ ما يجبُ البداءةُ به منها تحقِيقُ الألفاظِ المفردة فتحصِيلُ معانِي المفرداتِ من ألفاظِ القرآنِ من أوائلِ المعادنِ لمَنْ يريد أَنْ يُدركَ معانيهُ ... إِنَّ المركَّبَ لا يُعلَمُ إلَّا بعد العِلمِ بمفردَاته لأَنَّ الجزءَ سابقٌ على الكُلِّ في الوجودِ مِن الذِّهنيِّ وَالخارجِيِّ))[٥].

فالمقصود بالأثر المعنى المعجمِيّ الذي نحن بصدد دراسته في تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) كيفية توظيف البيضاويّ المعنى المعجمِيّ في بيان معاني آيات القرآن الكريم وكيفية تحديده لهذا المعنى بحسب السياق الذي ورد فيه اللفظ، والمعنى

(١) ينظر: نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب: ٢٨-٢٩.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٣٧.
(٤) المفردات في غريب القرآن: ٥٤.
(٥) البرهان في علوم القرآن: ١٧٣/٢.

المعجمِيّ الذي قوامه العلم باللغة هو من أهم العلوم التي يحتاجها إليها المفسر، ولمّا عدّ السيوطي (ت٩١١هـ) العلوم الخمسة عشر التي يحتاج المفسر إليها جعل اللغة العلم الأول منها فقال: ((أحدها اللغة لأن بها يعرف شرح الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع))[١]، ونقل عن مجاهد (ت١٠٤هـ) قوله: ((لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أنْ يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالمًا بلغات العرب، وبيّن أيضًا: أنّه لا يكفي في حقه معرفة اليسير منها فقد يكون اللفظ مشتركًا وهو يعلم أحد المعنيين والمراد الآخر))[٢].

والقارئ في أنوار التنزيل وأسرار التأويل يجد أنّ البيضاويّ قد أوْلى اللغة عناية كبيرة، وله في بيان المعاني المعجمِيّة للألفاظ القرآنية مسلكٌ اتخذه في تفسيره، سيكون واضحًا في ممارستنا البيانيّة في هذه الرسالة نوجزه بما يأتي:

١. يذكر البيضاويّ المعنى المعجمِيّ ويوضحه ويقويه باستشهاده بالآيات الكريمة أحيانًا، ويختار منه ما ينسجم مع سياق الآية.

٢. يستشهد أحيانًا بالأحاديث النبوية الشريفة عند بيان المعنى المعجمِيّ للفظة معينة توضيحًا وبيانًا لها ثم يفسّرها في ضوء السياق.

٣. يستشهد أحيانًا بكلام العرب المنظوم والمنثور عند بيان المعنى المعجمِيّ وبيان أثره في الكشف عن المعنى المعجمِيّ.

٤. يعطي أحيانًا معنًى معجميًّا للفظ المركّب (المركّب الإضافيّ والمركّب الوصفيّ) مع بيان أثره في الكشف عن المعنى من خلال الاندماج والترابط أو التزاوج بين الجزءين بوصفها بِنية مدمجة.

٥. يعطي أحيانًا معنى معجميًا للفظة القرآنية من غير تعليق ولا ذكر شاهد.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن: ٢١٣/٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢١٣/٤.

٦. حاول البيضاويّ أحيانًا تفسير اللفظ عن طريق اصطفاء معنى له من معانٍ عدّة يتضمنها.

٧. استعان البيضاويّ بالقراءات القرآنية في الكشف عن المعنى في ضوء ترجيح إحدى القراءات التي تدعم المعنى اللغوي للفظة، لأنّ اختلاف القراءات يؤدي إلى اختلاف المعنى.

٨. يفسّر أحيانًا البيضاويّ اللفظة عن طريق ذكر المعنى الاحتمالي للفظة فيذكر معاني عدّة للفظة من دون ترجيح معنى معين.

٩. عندما يفسّر البيضاويّ لفظة معينة بوساطة سياق الآية يبدو واضحًا اعتماده على مَنْ سبقه من المفسّرين، وهذا ما توصلت إليه عن طريق توثيقي ومراجعتي للتفاسير ومقارنة تأويله بتأويل مَنْ سبقه، وتفسيره للألفاظ في ضوء سياق الآية غالبًا ما يكون موافقًا لمعناه المعجمِيّ.

١٠. ترد أحيانًا ألفاظ لم يبيّن البيضاويّ معناها اللغوي ولم يفسّرها، لأنّه سبق أنْ بيّنها في آية سابقة.

مدخل:

في هذا الفصل سيكون الحديث عن الاستدلال بأصول المبنى اللّغويّ بوصفها المرجعيّة اللّغويّة التي اعتمد عليها البيضاويّ في الكشف عن دلالات الألفاظ القرآنيّة، وبدا لي في ظل الاستقراء والفحص في تفسير البيضاويّ أنّها جاءت في ثلاثة مباحث تمثّل الاستدلال بالأصول، وهي القرآن الكريم والحديث النبويّ الشريف وكلام العرب المنظوم (الشعر).

والاستدلال هو أحد وجوه التفكير الإنسانيّ، وأحد الطرق المؤدية للعلم والوصول إلى الحقيقة عبر دليل أو حجّة، وقد اهتمّ القرآن الكريم بدفع الإنسان إلى النظر والتأمل والمراجعة والنّظر التاريخي، وذمَّ الظنّ والتقليد وأحكام الهوى التي تصدر بغير علم، وحفز النفس الإنسانية على تتبّع الأسباب، والآثار للحوادث والأقوام والأشخاص وذلك من أجل الاستدلال بها على قضايا كبرى تشغل الإنسان منذ القدم وهي قضايا الخلق والوجود والمصير.

المبحث الأول

الاستدلال بالقرآن الكريم في الكشف عن المعنى المعجميّ

من مصادر البيضاويّ في تفسيره للقرآن الكريم القرآنُ نفسه. إذ إنّ ((محاسن أنواره لا يثقفها إلا البصائر الجليّة، وأطايب ثمره لا يقطفها إلا الأيدي الزكيّة، ومنافع شفائه لا ينالها إلا النفوس النقيّة))[1]، فقد كان يفسّر القرآنَ بالقرآنِ في كثير من المواضع وله في ذلك طرائق مختلفة، فمرّة يفسّر الآية ويبيّن المراد منها على ما ظهر من معناها اللّغويّ ويؤيّد تفسيره بآية من القرآن الكريم تعضد ما ذهب إليه في تفسير الآية. ومرّة يفسّر الآية بذكر آية تماثلها في المعنى من غير أنْ يذكر تفسيرًا من عنده. ومرّة تدلّ الآية على حكم فقهيّ، فيتخذ البيضاويّ فيه مذهبًا ويأتي بآية أخرى دليلًا على ما ذهب

(١) المفردات في غريب القرآن: ٥٤.

اليه من الحكم الفقهيّ. وإذا ذكر المعنى مجملًا في آيات من القرآن الكريم، ذكر الآيات التي ورد فيها مفصّلًا، وغير ذلك من الاستشهاد بالآيات، ففي هذا المبحث سأوضّح كيفيّة الاستدلال بالقرآن الكريم في الكشف عن المعنى عند البيضاويّ.

النِّعْمَة:

أَوضح البيضاويّ معنى لفظة (النعمة) الواردة في قوله تعالى: ﴿**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾[الفاتحة:٧] اذ قال: ((والإنعام: إيصال النعمة، وهي في الأصل الحالة التي يستلذها الإنسان فأطلقت لما يستلذه من النعمة وهي اللين))[١]، كذلك تعني عند أهل اللغة هي كل شيء يجلب الراحة والسعادة للإنسان، أو هي الحالة الحسنة التي يستشعرها الفرد بما يمتلكه، فيذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي أنَّ النعمة مشتقة من ((نَعِمَ يَنْعَمُ نَعْمةً فهو نَعِمٌ ناعمٌ بيّنُ المَنْعَم، والنَّعماءُ اسم النَّعمةِ. والنَّعيمُ: الخفضُ والدَّعة. والنِّعْمةُ: اليد الصّالحة، وأنعم الله عليه))[٢].

وعرّفها ابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ) فقال :((النِّعْمة، بِكَسْر النُّون: مَا أنعم الله بِهِ على عِباده من مَال أَو رزق. والنَّعْمَة: مَا يتنعّم بِهِ الْإِنْسَان من مأكل أَو مشرب أَو ملبس. وَجمع النِّعْمة نِعَم))[٣].

واستدلّ البيضاويّ على معنى اللّفظة عن طريق الاستدلال بآية قرآنية أخرى، إذ قال: ((ونِعَم الله وإنْ كانت لا تحصى كما قال تعالى: ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوها**﴾ [إبراهيم:٣٤]، وأضاف أنّ النعم تنحصر في جنسين: دنيوي وأخروي.

والأول قسمان: موهبي وكسبي، والموهبي قسمان: **روحاني** كنفخ الروح فيه وإشراقه بالعقل وما يتبعه من القوى كالفهم والفكر والنطق، **وجسماني** كتخليق البدن والقوى

(١) أنوار التنزيل: ٣٠/١.
(٢) العين: ١٦١/٢، (نعم)، وينظر: لسان العرب: ٥٧٩/١٢، (نعم).
(٣) جمهرة اللغة: ٩٥٣/٢.

الحالة فيه والهيآت العارضة له من الصحة وكمال الأعضاء والكسبي تزكية النفس عن الرذائل وتحليتها بالأخلاق السنية والملكات الفاضلة، وتزيين البدن بالهيآت المطبوعة والحُلِيّ المستحسنة وحصول الجاه والمال.

والثاني: أن يغفر له ما فرط منه ويرضى عنه ويبوئه في أعلى عليين مع الملائكة المقربين أبد الآبدين؛ والمراد هو القسم الأخير وما يكون وصلة إلى نيله من الآخرة، فإنّ ما عدا ذلك يشترك فيه المؤمن والكافر))[1].

وعند تتبع آراء المفسرين في تفسير معنى (النعمة) الواردة في قوله تعالى: **﴿صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾** وجدنا أبا حيّان يقول: ((النِّعْمَةُ: لِينُ الْعَيْشِ وَخَفْضُهُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْجَنُوبِ النُّعَامَى لِلِينِ هُبُوبِهَا، وَسُمِّيَتِ النَّعَامَةُ لِلِينِ سَهْمِهَا: نَعِمَ إِذَا كَانَ فِي نِعْمَةٍ))[2].

وقال الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ): ((النِّعْمَةُ- بِالْكَسْرِ وَبِالْفَتْحِ- مُشْتَقَّةٌ مِنَ النَّعِيمِ وَهُوَ رَاحَةُ الْعَيْشِ وَمُلَائِمُ الْإِنْسَانِ وَالتَّرَفُّهِ، وَالْفِعْلُ كَسَمِعَ وَنَصَرَ وَضَرَبَ، وَالنِّعْمَةُ الْحَالَةُ الْحَسَنَةُ لِأَنَّ بِنَاءَ الْفِعْلَةِ بِالْكَسْرِ لِلْهَيْئَاتِ وَمُتَعَلِّقَ النِّعْمَةِ اللَّذَّاتُ الْحِسِّيَّةُ ثُمَّ اسْتُعْمِلَتْ فِي اللَّذَّاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْعَائِدَةِ بِالنَّفْعِ وَلَوْ لَمْ يُحِسَّ بِهَا صَاحِبُهَا، فَالْمُرَادُ مِنَ النِّعْمَةِ فِي قَوْلِهِ: الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ النِّعْمَةُ الَّتِي لَمْ يَشُبْهَا مَا يُكَدِّرُهَا وَلَا تَكُونُ عَاقِبَتُهَا سُوأَى، فَهِيَ شَامِلَةٌ لِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا الْخَالِصَةِ مِنَ الْعَوَاقِبِ السَّيِّئَةِ وَلِخَيْرَاتِ الْآخِرَةِ، وَهِيَ الْأَهَمُّ، فَيَشْمَلُ النِّعَمَ الدُّنْيَوِيَّةَ الْمَوْهُوبِيَّ مِنْهَا وَالْكَسْبِيَّ، وَالرُّوحَانِيَّ وَالْجُثْمَانِيَّ، وَيَشْمَلُ النِّعَمَ الْأُخْرَوِيَّةَ))[3].

(١) أنوار التنزيل: ٣١/١.
(٢) البحر المحيط: ٤٦/١.
(٣) التحرير والتنوير: ١٩٣/١.

المُتّقين:

وقف البيضاويّ على لفظة **(الْمُتَّقِينَ)** الواردة في قولة تعالى: **﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾** [البقرة:٢] إذ قال: ((الوقاية: فرط الصيانة. وهو في عرف الشّرْعِ اسم لمن يقي نفسه ممّا يضرّه في الآخرة))[١].

وهي مشتقة من ((وقي الواو والقاف والياء، كلمة واحدة تدل على دَفْعِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ بِغَيْرِهِ. وَوَقَيْتُهُ أَقِيهِ وَقْيًا. وَالْوِقَايَةُ: مَا يَقِي الشَّيْءَ. وَاتَّقِ اللَّهَ: تَوَقَّهُ، أَيِ اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ كَالْوِقَايَةِ))[٢]. والوقاية ((كلُ ما وقى شيئًا فهو وقاية))[٣].

وقد أفاد البيضاويّ من المعجم القرآنيّ في بيان دلالة اللّفظة القرآنيّة فضلًا عن المعنى المعجميّ من أجل الكشف عن الدلالة المُرادة قال: ((وله ثلاث مراتب: الأولى: التوقي من العذاب المخلد بالتبري من الشرك وعليه قوله تعالى: **﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾** [الفتح:٢٣]. الثانية: التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك حتى الصغائر عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى في الشَّرْعِ، وهو المعني بقوله تعالى: **﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا﴾**[الأعراف:٩٦] الثالثة: أنْ يتنزه عما يشغل سرّه عن الحق ويتبتل إليه بشراشره وهو التقوى الحقيقي المطلوب بقوله تعالى: **﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾** [آل عمران:١٠٢]))[٤]، ففسّرها على الأوجه الثلاثة.

ولابُدّ من القول إنّ البيضاويّ قد أشار إلى تخصيص دلالة لفظة (التقوى) في المجال التداولي الإسلاميّ الشّرعيّ بدلالة قوله: ((وهو المتعارف باسم التقوى في الشّرع)) [٥]، وما أشار إليه البيضاويّ يُعرف بالألفاظ الإسلاميّة أو الحقيقة الشرعيّة أو

---

(١) أنوار التنزيل: ٣٦/١.
(٢) مقاييس اللغة: ١٣١/٦، (وقي).
(٣) تهذيب اللغة: ٢٧٨/٩، (وقي).
(٤) أنوار التنزيل: ٣٦/١.
(٥) المصدر نفسه: ٣٦/١.

المصطلح القرآني، قال العلوي (ت٧٤٩هـ): ((ونعنى بها أنّها اللفظة التي يستفاد من جهة الشّرع وضعها لمعنى غير ما كانت تدلّ عليه في أصل وضعها اللغويّ. وتنقسم إلى: أسماء شرعيّة، وهى التي لا تفيد مدحًا ولا ذمًّا عند إطلاقها كالصلاة، والزكاة، والحج، وسائر الأسماء الشرعيّة. وإلى دينيّة: تفيد مدحًا وذمًّا، وهذا نحو قولنا مسلم، ومؤمن، وكافر وفاسق إلى غير ذلك من الأسماء الدينيّة))[١]، وإذا ما توجهنا تلقاء المفسرين نجد أنّ الزمخشري قد سبق البيضاويّ في هذا الرأي، قال: ((والوقاية: فرط الصيانة. ومنه: فرس واق، وهذه الدابة تقى من وجاها، إذا أصابه ضلع من غلظ الأرض ورقة الحافر، فهو يقي حافره أنْ يصيبه أدنى شيء يؤلمه. وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطى ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك. واختلف في الصغائر، وقيل الصحيح أنه لا يتناولها، لأنها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر. وقيل: يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال، والمتقي لا يطلق إلا عن خبرة، كما لا يجوز إطلاق العدل إلا على المختبر))[٢].

واستعان الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) بالمعنى المعجمِيّ للكشف عن معنى الآية الكريمة، إذ قال: ((والوقاية فرط الصيانة "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذكر المتقي هاهنا فِي مَعْرِضِ الْمَدْحِ، وَمَنْ يَكُونُ كَذَلِكَ أَوْلَى بِأَنْ يَكُونَ مُتَّقِيًا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، بَلْ بِأَنْ يَكُونَ مُتَّقِيًا فِيمَا يَتَّصِلُ بِالدِّينِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يَكُونَ آتِيًا بِالْعِبَادَاتِ مُحْتَرِزًا عَنِ الْمَحْظُورَاتِ وقال: إِنَّ التَّقْوَى هِيَ الْخَشْيَةُ))[٣].

(١) الطراز المتضمّن لأسرار البلاغة: ٣٢.
(٢) الكشاف: ٣٦/١.
(١) مفاتيح الغيب: ٢٦٧/٢.

الغَيْب:

كان للبيضاوي وقفةٌ عند لفظة (الْغَيْبِ) الواردة في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾**[البقرة:٢]، إذ فسّر الغيب بالخفاء، إذ كشف عن معنى اللفظة عن طريق آية أخرى، قال: ((الغيب مصدر، وصف به للمبالغة كالشهادة في قوله تعالى: **﴿عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ﴾**[التوبة:١٠٥] والعرب تسمي المطمئن من الأرض والخَمْصَة التي تلي الكلية غيبًا، أو فيعل خفف كقيل، والمراد به الخفي الذي لا يدركه الحسّ ولا تقتضي بديهة العقل، وهو قسمان: قسم لا دليل عليه وهو المعني بقوله تعالى: ﴿**وَعِنْدَهُ مَفاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُها إِلَّا هُو**﴾ [الأنعام:٥٩]، وقسم نصب موقع عليه دليل: كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله وهو المراد به في هذه الآية، هذا إذا جعلته صلة للإيمان وأوقعته موقع المفعول به. وإنْ جعلته حالًا على تقدير ملتبسين بالغيب كان بمعنى الغيبة والخفاء))[(١)]. والمعنى أنّهم يؤمنون غائبين عنكم لا كالمنافقين الذين ﴿ **إذا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قالُوا آمَنَّا، وَإِذا خَلَوْا إِلى شَياطِينِهِمْ قالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّما نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾** [البقرة:١٤].

وزاد البيضاويّ أَنّه قيل: الغيب: القلب لأنه مستور، والمعنى يؤمنون بقلوبهم لا كمن يَقُولُونَ بأفواههم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ. فالباء على الأول للتعدية. وعلى الثاني للمصاحبة. وعلى الثالث للآلة[(٢)] .

وبدا لي بعد الاطلاع على كتب تفسير القرآن الكريم أنَّ المفسرين قد ذهبوا الى اعتماد هذه الدلالة المعجمِيّة. والحال نفسها عند متابعة دلالة لفظ (الغيب) في المعاجم العربيّة تبيّن أنّ المعنى هو الخفاء والستر، قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ): ((الغين والياء والباءُ أصل صحيح يدلُّ على تستُّر الشيء عن العيون ثم يقاس من ذلك الغيب: ما

(١) أنوار التنزيل: ٣٨/١.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٣٨/١.

غاب مما لا يعلمهُ إلا اللهُ))[١]، وهو ما اتّفق عليه علماء اللغة[٢]، ولم يخرج البيضاويّ في ما ذكره عن المعنى المعجمِيّ عمّا أقَرَّهُ العلماء.

وإلى مثل هذا الرأي ذهب المفسّرون، قال الطبري (ت٣١٠هـ): ((أصل الغيب: كُلّ ما غاب عنك من شيءٍ. وهو من قولك: غاب فُلان يغيبُ غيبًا))[٣].

وفسّر الواحديّ (ت٤٦٨هـ) (الغيب) بالمعنى نفسه قال: ((الغيب: ما غاب، وهو مصدر غاب يغيب غيبًا، وكل ما غاب عنك فلم تشهده فهو غيب، قال الله تعالى: **﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾** [الأنعام:٧٣]، والعرب تسمّي المكان المنخفض من الأرض: الغيب، لأنّه غائب عن الأبصار والمراد بالغيب المذكور ههنا: ما غاب علمه عن الحسّ والضرورة مما يدرك بالدليل))[٤].

ونلحظ أنَّ البيضاويّ كشف عن دلالة اللفظ معتمدًا على المعنى المعجمِيّ المعزز بالشاهد القرآني وهو وسيلة يعتمد عليها في تعزيز معنى اللفظ الذي يروم الاعتماد عليه في تبيان دلالة الآية المباركة والكشف عن أصل اللفظ عند علماء اللغة وعَضْدِه بآية من كتاب الله العزيز.

الطُّغْيَان:

يسعى البيضاويّ إلى تكشيف معنى الآية الكريمة عن طريق الاستعانة بالمعنى المعجمِيّ للمفردة، ونلحظ هذا في تفسيره قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾[البقرة:١٥] قال: ((والطّغيان بالضم والكسر كلُقْيان، والطُّغيان تجاوز

(١) مقايس اللغة: ٤٠٣/٤، (غيب).
(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٢٦/٦، (غيب)، ولسان العرب: ٦٥٤/١، (غيب)، وتاج العروس: ٤٩٧/٣، (غيب).
(٣) جامع البيان: ٢٣٧/١.
(٤) التفسير الوسيط للواحدي: ٨٠/١.

الحد في العتو وأصله تجاوز الشيء عن مكانه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ**﴾[الحاقّة:١١]))[١].

واذا أنعمنا النظر في المعاجم نجد أنَّ البيضاويّ قد وافق أصحاب المعاجم في ما ذهبوا اليه، فكل شيء يجاوز القدر فقد طغى[٢]. وطغى السيل إذا جاء ماء كثير يتجاوز حدّ ما كان يجري عليه[٣]. والطغوان لغة فيه والفعل طَغَوْت، وطَغَيْت والاسم الطَّغوى. لغة المشتقة من (طغي): الطُّغْيان: الواوُ لغةٌ فيه، وقد طَغَوْتِ وطَغَيْتُ، والاسم الطَّغْوَى[٤].

ومن أجل تدعيم المعنى وتبيينه يعضد هذا المعنى بالقرآن الكريم، فيعزز قوله والمعنى الذي ذكره في قوله تعالى: ﴿**إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ**﴾، وذهب المفسرون في تفسير هذه الآية إلى القول بأنَّ الماء تجاوز الحدّ في الكثرة[٥]، وهو ما استدّل به البيضاويّ على معنى الطغيان في اللغة.

ولابدّ من الإشارة إلى أنّ البيضاويّ كان ملتفتًا إلى الاستعارة في النصّ المبارك في كون الطّغيان تجاوز الحدّ في العُتُو، إذ إنّ حقيقة الطّغيان العُلُوّ، ((والاستعارة أبلغ لأنّ طغى: علا قاهرًا، وهو مبالغة في عظيم الحال))[٦].

وفسّر الثعلبي (ت٤٢٧هـ) معنى الطغيان في قوله تبارك وتعالى: ﴿**اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ قال: ((وأصل الطغيان: مجاوزة القدر))[٧].

---

(١) أنوار التنزيل: ٤٨/١.
(٢) ينظر: العين: ٤٣٥/٤، (طغي).
(٣) ينظر: جمهرة اللغة: ٩١٨/٢، (طغي).
(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥٣/٨.
(٥) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢١٤/٥، النكت والعيون: ١/ ٧٨.
(٦) ثلاث رسائل في الإعجاز (النكت في إعجاز القرآن) للرّمّانِيّ: ٨٩.
(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣/ ١٢٧.

القَضَاء:

سعى البيضاويّ الى تبيين معنى (القضاء) في الآية المباركة: **﴿بَدِيعُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَإِذا قَضى أَمْرًا فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾**[البقرة:١١٧]، فقال: ((أصل القضاء إتمام الشيء قولًا))[١].

وهي عند الخليل قضي: قَضَى يَقضي قَضاءً وقَضيّةً أي حكم. وقَضَى إليه عهدًا معناه الوصية، وانقَضَى الشيء وتَقَضَّى أي فني وذهب[٢]. وقال ابن فارس: ((الْقَافُ وَالضَّادُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وإِتْقانهِ وَإِنْفَاذِهِ لِجِهَتِهِ))[٣].

ولتعزيز المعنى استدلّ البيضاويّ بقوله تعالى: **﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾** [الإسراء:٢٣]، وقوله تعالى: **﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾**[فصلت:١٢] وأطلق على تعلق الإرادة الإلهية بوجود الشيء من حيث إنه يوجبه[٤]، وهو يتفق مع أهل التفسير، فذهب مكّي بن أبي طالب (ت٤٣٧هـ) إلى أنّ أصل كلّ قضاء الإحكام له والفراغ منه[٥]، وهذا ما ذهب إليه الماوردي (ت٤٥٠هـ) في النكت والعيون[٦]، وقال أبو أبو المظفر السمعاني (ت٤٨٩هـ): ((أصل الْقَضَاء: الْفَرَاغ وَمِنْه يُقَال لمن مَاتَ قضى نحبه لفراغه من الدُّنْيَا وَمِنْه قَضَاء القَاضِي، لِأَنَّهُ فرغ عَن فصل الْحُكُومَة. وَمِنْه قَضَاء الله وَقدره؛ لِأَنَّهُ فرغ عَنهُ تَقْديرا وتدبيرا))[٧]، وفسره بالمعنى نفسه الراغب الأصفهاني

(١) أنوار التنزيل: ١٠٢/١.
(٢) ينظر: العين: ١٨٥/٥، (قضي).
(٣) مقاييس اللغة: ٩٩/٥، (قضي).
(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ١٠٢/١.
(٥) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية: ٤١٤/١.
(٦) ينظر: النكت والعيون: ١٧٨/١.
(٧) تفسير السمعاني: ١٣٠/١.

(ت٥٠٢هـ)[١]. وقال أبو الحسن الخازن (ت٧٤١هـ): ((وأصل القضاء الحكم والفراغ والقضاء في اللغة على وجوه كلها ترجع إلى انقطاع الشيء وتمامه والفراغ منه فَإِنَّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ أي إذا أحكم أمرا وحتمه فإنما يقول له فيكون ذلك الأمر على ما أراد الله تعالى وجوده))[٢].

نلحظ أنَّ البيضاويّ أوضح معنى اللفظ بما يتطابق مع معناها المعجمِيّ متفقًا مع غيره من المفسرين داعمًا ذلك المعنى بآيات قرآنية؛ ليعزز المعنى.

التَّوفِّي:

أوضح البيضاويّ لفظة (التوفي) الواردة في قوله تعالى: **﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ ما أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** [المائدة:١١٧] فهو لم يخرج عن المعنى اللغوي للفظة، إذ قال: ((التوفي أخذ الشيء وافيًا، والموت نوع منه))[٣]، وقال الفارابي (ت٣٥٠هـ): ((تَوَفَّى حَقَّه، أي: اسْتَوْفى. وتوفّاهُ الله تعالى، أي قَبَضَهُ))[٤]، وعُرِفت عند أهل اللغة: الإماتة وَقبض الرّوح[٥] وَعَلِيهِ اسْتِعْمَال الْعَامَّة أَو الاسْتِيفَاء وَأخذ الْحقّ[٦]. وأكد البيضاويّ المعنى عن طريق آية قرآنية أخرى وهي قوله تعالى: **﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها﴾** [الزمر:٤٢].

---

(١) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ٣٠٢/١، والكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٦٤/١.
(٢) لباب التأويل: ٧٤/١.
(٣) أنوار التنزيل: ١٥١/٢.
(٤) معجم ديوان الأدب: ٢٨٧/٣.
(٥) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٥٢٦/٦، (وفى).
(٦) ينظر: تاج العروس،: ٢٢٠/٤٠، (وفي).

وإذا صرفنا أبصارنا تلقاء المفسرين نجد أنّهم أعطوا اللفظ دلالاتٍ متعددة، فالسّمرقنديّ (ت٣٧٣هـ) يرى أنّه الرفع الى السماء[١]، وتعددت صور الإضافة عند الماتريديّ (ت٣٣٣هـ) في بيان معنى التوفي، فأسنده إلى اللّه تعالى كما في الآية المتقدمة، وفي آية أخرى أسنده إلى الرسل؛ إذ قال اللّه عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا**﴾ [الأنعام:٦١]، وأضافه مرة إلى ملك الموت، إذ قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ**﴾ [السجدة:١١]، ثم يحتمل إسناد التوفي إلى الرسل وإلى ملك الموت[٢].

وتعددت دلالة التوفّي عند القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، فهو يرى أنَّ الوفاة في كتاب الله على ثلاثة أوجه: وفاة الموت وذلك قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا**﴾ [الزمر:٤٢]، ووفاة النوم قال تعالى: ﴿**وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ**﴾ [الأنعام:٦٠]، ووفاة الرفع قال تعالى: ﴿**يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ [آل عمران:٥٥] [٣].

الكظيم:

ذكر البيضاويّ في بيان لفظة (كظيم) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[يوسف:٨٤] أنّ أصلها في اللغة ((كظم البعير جرَّته إذا ردَّها في جوفه))[٤].

ويبدو أنَّ البيضاويّ قد وافق علماء اللغة فيما ذهبوا إليه، فقوله (كظيم) مشتق من الكظم تقول العرب: كَظَمَ الرَّجلُ غَيْظَه اجترعه وكَظَم البعير جرته إذا ازدردها وكفّ عنها. ويقال للإبل: كَظُوم، وناقة كَظُوم أيضًا، إذا لم تجتر. والكَظْمُ: مخرج النفس.

(١) ينظر: بحر العلوم: ٤٣٢/١.
(٢) تأويلات أهل السنة: ٦٨٧/٨.
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٧٧/٦.
(٤) أنوار التنزيل: ١٧٤/٣.

ويقال: قد غمه وأخذ بكَظْمه فما يقدر أنْ يتنفس، أي: كربه، وهو مكظوم كظيم، أي: مكروب[١].

وكظم البعير يكظم كظومًا إذا أمسكَ عن الجرَّة فهو كاظم[٢]. وقال ابن فارس: ((الكاف والظاء والميم أصل صحيح يدلّ على معنى واحد وهو الإمساك والجمع للشيء. من ذلك الكظم: اجتراع الغيظ والإمساك عن إبدائه وكأنه يجمعه الكاظم في جوفه))[٣]، وسعى البيضاويّ الى الكشف عن المعنى بالاستدلال بكتاب الله تعالى فهو يرى أنّ (الكظم) يأتي أحيانًا بصيغة مفعول، وهو كقوله تعالى: **﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾** [القلم:٤٨]، وأحيانًا بمعنى فاعل، قال تعالى: **﴿والكاظمين الغيظ﴾**[آل عمرآن:١٣٤]، فقد بيّن اللفظة في اللغة بما يتطابق مع المعنى اللغويّ مؤكّدًا المعنى بآيات من كتاب الله كذلك ويتفق مع غيره من المفسرين في بيان معنى اللفظة. قال أبو منصور الماتريدي: ((الكظم: هو كفُّ النفس عن الجزع؛ وترديد الحزن في الجوف على غير إظهار في أفعاله، والجزع هو ما يظهر في أفعاله؛ والذي يهيج الحزن هو الذي يهيج الغضب، إلا أنّ الحزن يكون على مَنْ فوقه، والغضب على من تحت يده، وسبب هيجانهما واحد، أو أنْ يكون الكظيم: هو الذي يمسك الحزن في قلبه والغم، كأنه هو الذي يستر ويغطي القلب، إذا حل به))[٤]، وذهب ابن الجوزيّ (ت٥٩٧هـ) إلى أنّ الكظم بمعنى الكاظم وهو المُمْسِك على حزنه فلا يظهره[٥]، وهو عند النسفيّ (ت٧١٠هـ) المملوء من الغيظ[٦].

---

(١) ينظر: العين: ٣٤٥/٥ (كظم)، وأساس البلاغة: ٢١٣٧ (كظم)، ومختار الصحاح: ٢٧٠/١ (كظم).
(٢) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٠٢٢/٥، (كظم).
(٣) مقايس اللغة: ١٨٤/٥، (كظم).
(٤) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٢٧٦/٦، والمفردات في غريب القرآن: ٧١٢.
(٥) ينظر: زاد المسير: ٤٦٣/٢.
(٦) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٣٠/٢.

الفسق:

من الألفاظ التي كان لمعناها المعجمِيّ أثر في تفسير البيضاويّ لفظة (الفسق) الواردة في قوله تعالى: ﴿**مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهذا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَما يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفاسِقِينَ**﴾ [البقرة:٢٦]، قال: ((وأصل الفسق: الخروج عن القصد))[١].

والفِسْقُ ((الترك لأمر الله، وفَسق يفسُقُ فِسقًا وفُسُوقًا، وكذلك الميل إلى المعصية كما فَسَق إبليس عن أمر ربه، ورجل فُسقٌ وفِسِّيقٌ))[٢]. والعرب تقول: فسقت الرّطبة من قشرها لخروجها منه، وسُمّيت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها على الناس[٣]، وفَسَقَ عن أمر ربِّه، أي خرج[٤]. واستدلّ البيضاويّ بآيةٍ أُخرى لبيان معنى الفسق، قال: ((الْفاسِقِينَ: الخارجين عن حد الإيمان، كقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُنافِقِينَ هُمُ الْفاسِقُونَ**﴾ [التوبة:٦٧] من قولهم: فسقت الرُطَبة عن قشرها إذا خرجت كقول رؤبة[٥]: رؤبة[٥]:

فواسِقًا عَنْ قَصْدِهَا جَوائرًا

والفاسق في الشرع: الخارج عن أمر الله بارتكاب الكبيرة، وله درجات ثلاث:

الأولى: التغابي وهو أنْ يرتكبها أحيانًا مستقبحًا إياها.

الثانية: الانهماك وهو أنْ يعتاد ارتكابها غير مبال بها.

الثالثة: الجحود وهو أنْ يرتكبها مستصوبًا إياها، فإذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع رقبة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر، وما دام هو في درجة التغابي أو

---

(١) أنوار التنزيل: ٦٤/١.

(٢) العين: ٨٢/٥، (فسق).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٣١٥/٨، (فسق).

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٥٤٣/٤، (فسق).

(٥) ديوانه: ١٩٠.

الانهماك فلا يسلب عنه اسم المؤمن لاتصافه بالتصديق الذي هو مسمى الإيمان))[١].

ويتفق المفسرون مع ما قاله البيضاويّ، قال الطبري: ((وأصلُ الفسق في كلام العرب: الخروجُ عن الشيء. يقال منه: فسقت الرُّطَبة إذا خرجت من قشرها. ومن ذلك سُمّيت الفأرةُ فُوَيْسِقة، لخروجها عن جُحرها، فكذلك المنافق والكافر سُمّيا فاسقيْن، لخروجهما عن طاعة ربِّهما)) [٢].

ولا يخفى أنّ البيضاويّ قد أشار إلى الحقيقة الشرعية في لفظ (الفاسق)، إذ صار لها معنًى إسلاميّ، فهي تُطلق على الخارج عن أمر الله تعالى بارتكاب الكبيرة، ولم يكتفِ بذلك فأشار إلى مدارج هذا اللفظ، وجعلها في ثلاث، هي التغابيّ والانهماك والحجود.

وعند الزّجّاج (ت٣١١هـ) (الفسق) يُقال فَسَقَ يفْسُق ويفْسِقُ، ومعنى الفَسْق الخروج عن القصد والحق وكل ما خرج عن شيء فقد فسق إلا أَنَّهُ خص من خرج عن أمر اللَّه بأن قيل فاسق، ولم يحتج إلى أن يقال فسق عن كذا، كما أنه يقال لكل من صَدق بشيء: هو مؤمن بكذا ويقال للمصدق بأمر اللَّه مؤمن فيكفي، والعَرب تقول فسَقت الرطبة إذا خرجت عن قشرتها[٣].

من هنا فالخروج عن طاعة الله تعالى فِسقٌ، قال الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ): ((فسق عن أمر الله: خرج. وتقول: كا يزيد فسّيقًا خمّيرًا، ولم يكن للمؤمنين أميرًا. وفسقت الرّكاب عن قصد السبيل: جارت))[٤].

---

(١) أنوار التنزيل: ٦٤/١.

(٢) جامع البيان: ٤٠٩/١.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٤٠/١.

(٤) أساس البلاغة: ٢٢/٢.

وعند المُحْدَثين ومنهم فاضل السامرائي فيرى أنّ القرآن استعمل كلمتي الفسق والفسوق، لكن لكلّ منها دلالته، فجاءت كلمة الفسق مع الأطعمة والذبائح، أمّا كلمة الفسوق فجاءت عامة لتدل على الخروج عن الطاعة، والفسق هو الخروج عن طاعة الله تعالى وله مراتب. مأخوذة من فسقت الرطبة أي خرجت من قشرتها، **﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾** [الكهف:٥٠]، **﴿وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾** [النور:٥٥]، **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾**[الإسراء:١٦]، أي خرجوا عن الطاعة. يستوي الظالم مع الفاسق في الخروج عن الطاعة لكن الظلم أكثر ما يتعلق بالآخرين والفسق أعمّ. الظلم أخذ حقوق الآخر والفسق عام، وكل ظالم فاسق وليس كل فاسق ظالم. الظالم فاسق قطعًا لكن ليس كل فاسق ظالم لغيره فقد يكون ظالمًا لنفسه، إذًا الفسق أعمّ. إبليس فاسق وبالفسق وصل إلى مرتبة الكفر. ووصف الله تعالى الكفار بأنهم فاسقون وظالمون. الظلم مراتب قد يصل إلى الكفر والفسق له مراتب قد يصل إلى الكفر، وأحيانًا الفسق ليس فيه كفر[١].

وما ذكره البيضاويّ من معنى لغوي للفظة (الفسق) مشابه لما جاء في المعاجم اللغوية وموافق أيضًا لما جاء في كتب التفسير.

(١) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٣٢٥.

المبحث الثاني

الاستدلال بالحديث النبويّ الشريف في الكشف عن المعنى المعجمِيّ

يعدّ الحديث المصدر الثاني من مصادر السماع، وقدِ اهتمّ به أئمة المسلمين، وتمثّل ذلك في حفظهم لأقوال الرسول (صلى الله عليه وآله) وتقليدهم لأفعاله، وقد أدركوا بما لا يدع مجالًا للشك أنّ الحديث الشريف يفصل ما ورد في القرآن الكريم مجملًا، ويوضّح ما هو غريب من الألفاظ[١]، فقد كان من اللّازم أنْ يكون حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) مصدرًا من مصادر الدرس اللّغويّ يلي القرآن الكريم في حجيته، وقد كان الاستشهاد بالحديث موضع خلاف أيضًا بين النحويين، وكان هناك جدل واسع بين علماء اللّغة حول جواز الاستشهاد بالحديث في القضايا اللّغويّة والنحويّة، فكثير من أئمة النحويين متقدمين ومتأخرين لم يعتدّوا بالحديث النبويّ الشريف أصلًا من الأصول تستنبط منه القواعد وتقرر الأحكام، حتى إذا وقع الحديث النبويّ في كتب بعض النحاة كان تقوية لما يستشهد به من قرآن أو كلام للعرب، دون أنْ يكون مقصودًا إليه في الاستشهاد أو الاحتجاج، أو مصدرًا لاستنباط حكمٍ نحويّ[٢].

والعلماء الذين رفضوا الاحتجاج بالحديث الشريف بحجّة أنّ الأحاديث لم تنقل كما سمعت من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإنما رويت بالمعنى، وهذا الرأي ضعيف؛ لأنّ أولئك الذين رووا الأحاديث عاشوا في عصور الاحتجاج، وقبل فساد اللّغة، فضلًا عن أنّ الرواة أنفسهم حجة في اللّغة، فسيبويه (ت١٨٠هـ) لم يصرّح في كتابه بالاستشهاد بالحديث، وقد أورد بعض ألفاظ من أحاديث نبويّة معزولة عن السند، وقد علّل بعض النحويين تقليله من الاستشهاد بالحديث بأنّ أغلب الأحاديث مرويّة

(١) ينظر: الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه: ٦٣.
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٦٤.

بالمعنى[1]، وهذا ليس بالسبب المقنع لترك سيبويه الاستشهاد بالحديث، فربّما تركه لذلك بسبب شدّة حرصه على عدم الخوض في حديث رسول الله تعالى ونسبته إليه وهو غير واثق من تلك النسبة، فشدة الخشية من الكذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد تكون سببًا رئيسًا في ترك العلماء الأوائل للاستشهاد بالحديث.

وقد قال صلّى الله عليه وآله: ((مَنْ كَذَبَ عَلَيّ مُتَعمّدًا فَليتبوّأ مقعدَه من النارِ))[2]، أليس هذا الحديث سببًا كافيًا لترك الاستشهاد بالحديث الشريف؟ وهناك سبب آخر علّله بعض العلماء لترك الأوائل كثرة الاستشهاد بالحديث، وذلك لأنهم خالطوا كثيرًا من أرباب اللسان العربي، وتلقوا اللّغة عنهم، فكفاهم ذلك عن الاستشهاد بالأحاديث التي يحتاجون فيها إلى الوسائط الكثيرة فيما بينهم وبين قائليها.

ونلحظ أنّ هذا أيضًا ليس سببًا كافيًا لترك الأوائل الاستشهاد بالحديث الشريف واستشهادهم بالشعر والنثر بدلًا منه.

وأما الذين أجازوا الاستشهاد بالحديث، فاللّغويّون أصحاب المعاجم وأصحاب التفسير، إذ لم يجدوا حرجًا في ذلك؛ لأنّ عمدتهم المعنى، ورواية الحديث بالمعنى جائزة اتفاقًا، فظهر الاحتجاج بالحديث في كتب اللّغة والمعاجم، وعدّه اللّغويّون من الأصول التي يرجعون إليها.

ونرى أنّه يجوز الاحتجاج بالحديث سواء أكان النقل باللفظ أم بالمعنى دون اللفظ؛ لأنّ رواة الحديث عاشوا في عصور الاحتجاج، وهم من فصحاء العرب، زِدْ إلى أنّهم حجّة في اللّغة.

ويُعدُّ الحديث من مصادر البيضاويّ في تفسيره، فكان يورد الأحاديث صحيحها وحسنها وضعيفها. ويستشهد بها في تفسيره الآيات على الرغم من أنّ تفسيره لا يعدّ

(١) ينظر: الاقتراح: ٤٣.
(٢) مسند أبي داود: ٢٦٨/١.

تفسيرًا بالمأثور، ولكنه يورد الأحاديث لأغراض التفسير، منها أنّه يورد الحديث لبيان ما تدلّ عليه الآية، أو لبيان المعنى اللّغويّ للكلمة المراد توضيحها.

وسنورد بعض الألفاظ التي بيّن البيضاويّ معناها المعجمِيّ والاستدلال على المعنى بالحديث النبويّ الشريف.

الرّيْب:

أوضح البيضاويّ لفظة (الرّيْب) الواردة في قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة:٢] بقوله: ((الريب في الأصل مصدر رابني الشيء إذا حصل فيك الريبة، وهي قلق النفس واضطرابها، سُمّي به الشك، لأنّه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة))[١].

والرّيْب عند أصحاب المعاجم يعني الشكُّ والخوف من عاقبة الأمور، من نحو ما يرى الخليل[٢]، وإلى مثل هذا ذهب الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)[٣]، وزاد الجوهريّ (ت٣٩٣هـ) التهمة إلى جانب الشكّ[٤]، وقال ابن فارس: ((الرَّاءُ وَالْيَاءُ وَالْبَاءُ أُصلٌ يَدُلُّ عَلَى شَكٍّ، أَوْ شَكٍّ وَخَوْفٍ، فَالرَّيْبُ: الشَّكُّ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿**الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**﴾[البقرة:١]، أَيْ لَا شَكَّ))[٥].

ومن أجل توضيح الأصل اللّغويّ للفظ استعان البيضاويّ بالحديث النبويّ الشريف، إذ قال: ((وفي الحديث ((دَعْ ما يُريبك إلى ما لا يُريبك))[٦]، فإنّ الشكّ ريبة والصدق

---

(١) أنوار التنزيل: ٣٦/١.

(٢) ينظر: العين: ٢٨٧/٨ (ريب).

(٣) ينظر: تهذيب اللّغة: ١٨٢/١٥ (باب الراء والياء).

(٤) ينظر: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية: ١٤١/١ (ريب).

(٥) مقاييس اللّغة: ٤٦٣/٢، (ريب).

(٦) سنن الترمذي: ٢٥١٨، ومسند أحمد: ١٥٣/٣. وينظر: النهاية: ٢٨٦/٢، وفتح الباري: ٢٩١/٤.

طمأنينة، ومنه ريب الزمان لنوائبه))[١]، وذكر الزجاج أنّ معنى (لاريب فيه) لا شكّ فيه[٢]، واستدل على المعنى ببيت من الشعر قال الشاعر[٣]:

أخوكَ الذي إنْ ربتَه قالَ إنَّما أَرَبتُ وإنْ عَاتَبْتَه لانَ جانِبُهُ

وإلى هذا المعنى ذهب ابن أبي زمنين (ت٣٩٩هـ)[٤]، والماورديّ[٥].

وتبين لنا بعد البحث في المعاجم العربية أن البيضاويّ اختصر المعنى ولم يتوسع فيه وأخذ المعنى الذي يرغب في تبيانه، فمعاني الريب عند اللّغويّين أوسع من الذي ذكره البيضاويّ، فمن المعاني صَرْفُ الدَّهر وعَرَضُه وحَدَثُهَ[٦]، والعرب تقول: رابني الأمر أي: نابني وأصابني[٧]، وذكر أحمد بن فارس أنّ الريب الحاجة، ويرى أنّ المعنى المعنى ليس ببعيد؛ لأنّ طالب الحاجة شاكٌ على ما به من خوف الفوت[٨].

الإنفاق:

كانت للبيضاوي وقفة على لفظة (الإنفاق) الواردة في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [البقرة:٣]، إذ قال :((الإنفاق صرف المال في سبيل الخير من الفرض والنّفل، ومن فسّره بالزكاة ذكر أفضل أنواعه والأصل فيه، أو خصّصه بها لاقترانه بما هو شقيقها، ويحتمل أنْ يراد به الإنفاق من جميع

(١) أنوار التنزيل: ٣٦/١.
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٦٨/١، و٦٩.
(٣) البيت لأبي حوط، حجية بن المضرب الكندي في شرح الحماسة للتبريزي: ٩٨/٣.
(٤) ينظر: تفسير القرآن العزيز: ١٢٠/١.
(٥) ينظر: النكت والعيون: ٦٧/١.
(٦) العين: ٨/ ٢٨٧، (ريب).
(٧) ينظر: تهذيب اللّغة: ١٨٢/١٥، (ريب).
(٨) ينظر: مقاييس اللّغة: ٤٦٤/٢، (ريب).

المعاون التي أتاهم الله من النّعم الظاهرة والباطنة))[١]، المشتق من: (نفق) الذي يعني عند أصحاب المعاجم كل ما نفذ أو قل أو ذهب[٢].

وبيّن ابن دريد (ت٣٢١هـ) أنّ النفق هو النفاذ أو الإتلاف، ونفقت الدابة إذا ماتت[٣]، وأشار الأزهريّ إلى أنّ النفق: السَّرِيع الِانْقِطَاع من كل شَيْء[٤]، وقال أحمد بن فارس: ((النُّونُ وَالْفَاءُ وَالْقَافُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى انْقِطَاعِ شَيْءٍ وَذَهَابِهِ، وَالْآخَرُ عَلَى إِخْفَاءِ شَيْءٍ وَإِغْمَاضِهِ))[٥].

وأيّد البيضاويّ رأيه بقول النبي محمد (صلّى الله عليه وآله وسلم): ((إنّ علمًا لا يقال به، ككنز لا ينفق منه))[٦]، فمثل الذي يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذي يكنز الكنز فلا ينفق منه.

وإذا توجهنا تلقاء المفسرين نجد أنّ الراغب الأصفهانيّ ذكر الرزق بأنّه لفظ مشترك للحظ الجاري تارة، وللنصيب تارة، ولما يصل إلى الجوف ويتغذى به، **﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾** محمول على المباح؛ لأنّه حث على الإنفاق، ومدح لفاعله، ولأنه مضاف إلى الله تعالى، والإنفاق كما يكون من المال والنعم الظاهرة يكون من النعم الباطنة، كالعلم، والقوة، والجاه، والجود التام بذل العلم، ومتاع الدنيا عرض زائل[٧]، مستشهدًا بقول الشاعر مسلم بن الوليد[٨]:

والجُودُ بالنَّفْسِ أقْصَى غايةِ الجُوْدِ

---

(١) أنوار التنزيل: ٣٩/١.
(٢) ينظر: كتاب الألفاظ لابن السكيت: ١٨.
(٣) ينظر: جمهرة اللّغة: ٢/ ٩٦٧، (نفق).
(٤) تهذيب اللّغة: ٩/ ١٥٧، (نفق).
(٥) مقاييس اللّغة: ٥/ ٤٥٤، (نفق).
(٦) صحيح الجامع: ٥٨٣٥، وجامع بيان العلم وفضله :٧٧٤، وينظر: أنوار التنزيل: ٣٩/١.
(٧) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ٨٢/١.
(٨) شرح ديوانه: ١٦٤. وصدر البيت: يجود بالنفسِ إنْ ظنَّ الجواد بها.

وكقول الحكيم: الجود التام: بذل العلم، فمتاع الدنيا عرض زائل ينقصه الإنفاق، وإذا تزاحم عليه قوم ثلم بعضهم حال بعض، والعلم بالضد ؛ فهو باق دائم ويزكو على النفقة، ولا يثلم تناول البعض حال الباقين، وإلى هذا ذهب بعض المحققين فقال: ﴿**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ أي: مما خصصناهم به. وقال السيوطيّ: ((يحتمل أنْ يراد به الإنفاق من جميع المعارف))[١].

الحَيَاء:

أوضح البيضاويّ معنى كلمة (الحياء) الواردة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ**﴾ [البقرة:٢٦]. قال: ((والحياء: انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم، وهو الوسط بين الوَقَاحة التي هي الجراءة على القبائح وعدم المبالاة بها، والخجل: الذي هو انحصار النفس عن الفعل مطلقًا، واشتقاقه من الحياة فإنّه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن أفعالها فقيل: حَيِيَ الرجلُ كما يقال نَسِيَ وحَشِيَ، إذا اعتلت نساه وحشاه))[٢].

ويتوافق ما ذكره البيضاويّ مع ما ذكره اللّغويّون، فالحياء: الاستحياء[٣]، والحياء التوبة والحِشمة، وإنّي لأستحي معناه: آنف من ذلك[٤].

واستدلّ البيضاويّ بحديثين نبويّين من أجل الكشف عن المعنى، فقال: ((إذ وصف به الباري تعالى كما جاء في الحديث (إنّ الله يستحيي من ذي الشيبة المسلم أنْ يعذّبه)

(١) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار: ٣٠٨/١.
(٢) أنوار التنزيل: ٦٢/١.
(٣) ينظر: مجمل اللّغة: ٢٥٨/١، (حيا).
(٤) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣٩٩/٣، (حيا).

(إنّ الله حيٌّ كريم يستحيي إذا رفع العبد يديه أنْ يردّهما صفرًا حتى يضع فيهما خيرًا))[١]، وليس المراد به: انقباض النفس، وإنما المراد به: ترك تعذيبه. وعلى هذا يروى (إنَّ الله يستحي) أي تارك للمقابح، فاعل المحاسن[٢]. وفي الحديث ((إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت))[٣]. قال الراغب الأصفهانيّ: ((الحياء: عارض للفرع من النقيصة، وذلك بين الوقاحة والخجل، فإنّ الوقاحة هي الجرأة على الأعمال القبيحة من غير مبالاة، والخجل انحصار النفس عن الفعل، والحياء مأخوذة من لفظ (الحياة) التي يراد بها العلم والعقل، ووجه ذلك أنّ الحياء أسُّ العقل، إذ هو أول أمارة منه تظهر من الصبي، ولهذا قال عليه السلام: (من لا حياء له لا إيمان له)، لأنّ الحياء أول منزلة من العقل، والإيمان آخر منزلة له، ومحال أنْ يحصل آخر المنزلة لمن لم يحصل له الأولى، وأما الحياء الذي هو الفرح، فسمي بذلك لكونه مستحبًّا من ظهوره))[٤].

قال الكرمانيّ (٥٠٥هـ): ((الحياء، انقباض يدلّ على خُلقٍ كريم، والله سبحانه غير موصوف به، ومعناها ها هنا الترك، أي لا يترك ضرب المثل ترك ما يستحي منه))[٥]

التّسْوِيْم:

وقف البيضاويّ على لفظة (التسويم) الواردة في قوله تعالى: ﴿**بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ**﴾ [آل عمران:١٢٥] قال: ((مُسَوّمِين مُعَلّمِين من التسويم الذي هو إظهار سيما الشيء))[٦].

(١) أنوار التنزيل: ٦٢/١، وينظر: مجمع الزوائد: ١٤٩/١٠.
(٢) بصائر ذوي التمييز: ١٥٥/٢.
(٣) صحيح البخاري، حديث رقم: ٦١٢٠.
(٤) تفسير الراغب الأصفهاني: ١٢٨/١.
(٥) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١٢٨/١.
(٦) أنوار التنزيل: ٣٧/٢.

وقال ابن دريد: ((سما الرجلُ يسمو سُمُوًّا، إذا علا وارتفع فَهُوَ سامٍ، وسماء كل شَيْء: أَعْلَاهُ. وسُمْتُ الرجلَ أسُومه سَوْمًا، إذا كلّفته عملًا أَو أجشمته أمرًا يكرههُ، وسُمْتُه خَسْفًا، وَأَكْثر مَا يُستعمل فِي الْمَكْرُوه، وسامت الماشيةُ، إذا دخل بعضُها فِي بعض فِي الرَّعْي، وسام الجرادُ يسوم سومًا، إذا دخل بعضه فِي بعض. والسَّوام: الْإِبِل السَّائِمَة، أَي الراعية وسامَ الرجل ماشيتَه يسومها سَوْمًا، إذا رعاها، والوَسْم: كل شَيْء وسمتَ بِهِ شَيْئا وسَمْتُه أسِمُه وَسْمًا))[١].

والخيل المسوّمة هي التي عليها السِّيما وهي العلامة[٢]، والسّومَة العلامة[٣]، وقال ابن الإعرابي: ((السِّيَمُ العلامات على صنوف الغَنَم))[٤].

وأوضح البيضاويّ المعنى في ضوء الحديث النبويّ الشريف في قوله عليه الصلاة والسلام لأصحابه: ((تَسَوّموا فإنّ الملائكةَ قد تَسَوّمَت))[٥]، أو مرسلين من التسويم بمعنى الأسامة[٦]. وقال السمرقنديّ: ((مُسَوّمين يعني مُعَلّمين بالصوف الأبيض في نواصي الخيل، وفي أذنابها عليهم البياض، قد أرْخَوا أطراف العمائم بين أكتفهم))[٧]،

ولا يخفى أنّ البيضاويّ قد تابع الأصفهانيّ في بيان معنى لفظ (التسويم) فيرى أنّ ((التسويم ترك الشيء وسَومه، ومنه قيل: أسِمَتِ الإبلُ وسَوّمَته، والتسويم أيضًا إظهار سيماء في الشيء))[٨].

---

(١) جمهرة اللّغة: ٨٦٢/٢، (سوم)

(٢) ينظر: تهذيب اللّغة: ٧٦/١٢، (سوم).

(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٩٥٥/٥، (س و م).

(٤) ينظر: لسان العرب: ٣١٢/١٢، (سوم).

(٥) المصنف: ٢٦١/١٢.

(٦) أنوار التنزيل: ٣٧/٢.

(٧) بحر العلوم : ٢٤٣/١.

(٨) تفسير الراغب الأصفهاني: ٨٤٢/٣.

وعند التوجه تلقاء المُحْدَثين نجد ما قاله إبراهيم بن إسماعيل الأبياريّ (ت١٤١٤هـ): ((السَّوم أصله الذهاب في ابتغاء الشيء، فهو لفظ لمعنى مركّب من الذهاب والابتغاء وأجرى مجرى الذهاب في قولهم سَامَتِ الإبلُ فهي سائمة، ومجرى الابتغاء في قولهم: سَمَت كذا قال **﴿يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾**[البقرة:٤٩]، ومنه قيل سِيم فلان الخسف فهو يُسام الخسف ومنه السوم في البيع فقيل صاحب السلعة أحق بالسوم، ويقال سميت الإبل في المرعى وأسمتها وسومتها، قال: وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ والسيما والسيمياء العلامة، وقال تعالى: **﴿سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾**[الفتح:٢٩]، وقد سَوّمَته، أي أعلمته، ومسومين أي: مُعَلَّمين، ومُسَوَّمِين مُعَلَّمين لأنفسهم أو لخيولهم أو مُرْسِلين لها))[١].

الكَاظِمين:

وقف البيضاويّ على لفظة (الكاظمين) الواردة في قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾**[آل عمران:١٣٤] قال :((وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ الممسكين عليه الكافين عن إمضائه مع القدرة، من كظمت القربة إذا ملأتها وشددت رأسها))[٢].

والكظم في المعاجم بمعنى الحبس والسكوت والإمساك أو التحمل أو كتم الغيظ، وإلى هذا المعنى ذهب ابن دريد[٣] وأبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)[٤].

(١) الموسوعة القرآنية: ٢٨٢/٨.
(٢) أنوار التنزيل: ٣٨/٢.
(٣) ينظر: جمهرة اللّغة: ٩٣٣/٢، (كظم).
(٤) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ٣٣٢/٢.

فالكظم: هو سدّ فتحة الشيء سدًّا حينيًّا أو اختياريًّا على ما في باطنه من غليظ أو كثير: كالماء الكثير في الكِظَامة، وكالنَفَس في الأنف، وكل ما يُسَدّ عليه من المذكورات. ومنه كَظَم غيظَه: ردَّه وحَبَسَه وأمسكَ على ما في نفسه منه (والغيظ غِلَظٌ) ورجل مكظوم وكَظِيم: مكروبٌ قد أخذ الغمُّ بكَظَمِه، قال تعالى: ﴿**وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ**﴾[القلم:٤٨] مملوء غمًّا وكَرْبًا، والأوضح المستيقَن أنّ هنا كَظْمًا ماديًّا واقعًا عليه (وَهُوَ مَكْظُومٌ) فتفسيره بالمحبوس هو الأصل، والكرب لازم له. ﴿**ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ**﴾[النحل:٥٨، والزخرف:١٧] ممتلئ القلب حزنًا وغمًّا، ولعل عين المعنى أنه لا يستطيع أن يبث حزنه وغمه لئلا يعاب، ﴿**إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ**﴾[غافر:١٨]. وقعت في الحناجر من المخافة فهي لا تخرج ولا تعود في أمكنتها، إخبار عن نهاية الجزع، والتصريح بالخوف عار ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [يوسف:٨٤] مكظوم مملوء من الحزن ممسك عليه لا يبثه[١].

واستدل البيضاويّ على المعنى عن طريق قول النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ((مَن كَظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا))[٢].

وإذا فتّشنا في كتب التفسير نجد أنّ كظم الغيظ إمساكه وإخفاؤه حتى لا يظهر عليه، وهو مأخوذ من كظم القربة إذا ملأها وأمسك فمها، وهو تمثيل للإمساك مع الامتلاء، ولا شك أنّ أقوى القوى تأثيرًا على النفس القوة الغاضبة فتشتهي إظهار آثار الغضب، فإذا استطاع إمساك مظاهرها، مع الامتلاء منها، دلّ ذلك على عزيمة راسخة في النفس، وقهر الإرادة للشهوة، وهذا من أكبر قوى الأخلاق الفاضلة[٣].

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم: ١٨٩٩/٤.
(٢) سنن أبي داود: ١٥٧/٧، وسنن الترمذي: ٣٧٢/٤.
(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٩١/٤.

كذلك اتفق النسفي مع البيضاويّ في توضيح معنى **﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾**، قال: ((المُمْسكِين الغيظ عن الإمضاء، يقال كظم القربة إذا ملأها وشَدّ فَاها، ومنه كظم الغيظ وهو أنْ يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرة والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب))[١].

لقد جاء تفسير **﴿الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾** عند البيضاويّ بالمعنى نفسه مع ما ذكره اللّغويّون والمفسرون من المتقدمين على البيضاويّ والمتأخرين عنه.

الزّحْزَحة:

بيّن البيضاويّ معنى (الزحزحة) الواردة في قوله تعالى: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾** [آل عمران:١٨٥]. قال: ((والزحزحة في الأصل تكرير الزحّ وهو الجذب بعجلة))[٢]. وذكر أنّ الزحزحة بمعنى التبعيد عند تفسيره قوله تعالى: **﴿وَما هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذابِ﴾**[البقرة:٩٦] [٣].

والزحزحة عند أصحاب المعاجم بمعنى التنحّي أو الابتعاد أو الدفع أو الجذب، وإلى هذا ذهب الخليل، والصاحب بن عباد (ت٣٨٥هـ)[٤].

واستشهد البيضاويّ بقول النبي صلى الله عليه وآله: ((من أحب أنْ يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتي إليه))[٥].

---

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٩٣/١.
(٢) أنوار التنزيل: ٥٣/٢.
(٣) أنوار التنزيل: ٩٥/١.
(٤) ينظر: العين: ١٨/٣، (زح)، والمحيط في اللّغة: ١٥٥/١.
(٥) سنن الترمذي: ٢٣٢/٥-٢٣٣، وينظر: المستدرك على الصحيحين: ٢٩٩/٢، وأنوار التنزيل: ٥٣/٢.

وإذا صرفنا أبصارنا تِلقاء المفسّرين نجد أنّهم أعطوا اللفظ دلالة الإخراج، فمن زحزح أي: أخرج عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، أي: حصل له الفوز العظيم من العذاب الأليم، والوصول إلى جنات النعيم، ومفهوم الآية أنّ من لم يزحزح عن النار ويدخل الجنة، فإنّه لم يفز، بل قد شقي الشقاء الأبدي، وابتلي بالعذاب السرمدي(١).

وذكر أبو السعود (ت٩٨٢هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿ **فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النار**﴾ ((أي بعُد عنها يومئذ ونجى، والزحزحةُ في الأصل تكريرُ الزحِّ وهو الجذبُ بعجلة))(٢)، إذ اتفق مع البيضاويّ في بيان معنى اللفظ.

وبعد هذا البحث في كتب المعاجم والتفسير يتضح لنا أنّها تحمل معاني عدّة ذكرها أصحاب المعاجم، والمعنى الذي يتبادر للذهن عند سماع لفظ (الزّحزحة) يختصّ بكلّ شيء نواجه صعوبة في دفعه أو تحريكه من مكانه، فنقول: نزحزحه، كذلك أنّ بناء اللفظ تكون من تكرار مقطعين وهذا يتجانس مع الصعوبة أو التكرار في فعل الشيء، فمن أشرك بالله وعمل المعاصي في الحياة الدنيا، فمصيره نار جهنم ليس بمزحزح عنها.

تَقْفُ:

وقف البيضاويّ على لفظة (تَقْف) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا**﴾[الإسراء:٣٦]، قال: ((ولا تقف ولا تتبع وقرئ (ولا تَقُفْ) من قاف أثره إذا قفاه ومنه القافة))(٣).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: ١٥٩، وفتح القدير للشوكاني: ٤٦٧/١.
(٢) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٢/ ١٢٣.
(٣) أنوار التنزيل: ٢٥٥/٣، وينظر: معاني القرآن للفرّاء: ١٢٣/٢.

وجاء في المعاجم (التّقفّي) بمعنى تتبّع الأثر، قال أحمد بن فارس: ((الْقَفْوُ، يُقَالُ قَفَوْتُ أَثَرَهُ، وَقَفَّيْتُ فُلَانًا بِفُلَانٍ، إِذَا أَتْبَعْتُهُ إِيَّاه، وَسُمِّيَتْ قَافِيَةُ الْبَيْتِ قَافِيَةً لِأَنَّهَا تَقْفُو سَائِرَ الْكَلَامِ، أَيْ تَتْلُوهُ وَتَتْبَعُهُ. وَالْقَفَا: مُؤْخِرُ الرَّأْسِ وَالْعُنُقِ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ يَقْفُو الْوَجْهَ، وَالْقَافِيَةُ: الْقَفَاء))[1].

و((القِفْوَةُ –بالكسر: الذَنَب –محركة، وقافيةُ رأس كل شيء: مُؤَخَّرُه، التقفي اللحاق بخلف الشيء من أعلاه. كالذَنَب والقفا والقافية، ومن ذلك قَفَاه يَقْفُوه: تَبِعَه من خلفه))[2].

واستدلّ البيضاويّ على المعنى بقول النبي محمد (صلى الله عليه وآله): ((مَنْ قَفّا مؤمنًا بما ليس فيه حَبسه اللهُ في رَدْغَةِ الخَبال حتى يأتي بالمخرج))[3].

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ**﴾ فقال بعضهم: معناه: ولا تقل ما ليس لك به علم. وقيل: لا تقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع فإنّ الله تبارك وتعالى سائلك عن ذلك كلّه[4]، وهذان التأويلان متقاربا المعنى، لأنّ القول بما لا يعلمه القائل يدخل فيه شهادة الزور، ورمي الناس بالباطل، وادّعاء سماع ما لم يسمعه، ورؤية ما لم يره. وأصل القفو: البهت، ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: ((نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بن كِنانَة لا نَقْفُو أمَّنا ولا نَنْتَفِي مِنْ أبِينا))[5].

وزاد أبو جعفر الطبريّ أنّه ((يعني بالتقافي: التقاذف. ويزعم أنّ معنى قوله (لا تقف) لا تتبع ما لا تعلم، ولا يعنيك، وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة، يزعم أنّ

(١) مقاييس اللّغة: ١١٢/٥، (قفو).
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١٨١٩/٤.
(٣) مسند أحمد: ٤٨/٥، وسنن أبي داود: ٤٥٠/٥. (رَدْغة: الوحل الكثير، الخبال: الفاسد).
(٤) ينظر: جامع البيان : ٤٤٦/١٧.
(٥) مسند أحمد: ٢١١/٥و٢١٢.

أصله القيافة، وهي اتباع الأثر، وإذ كان كما ذكروا وجب أنْ تكون القراءة (ولا تقُفْ) بضم القاف وسكون الفاء، مثل: ولا تقل. قال: والعرب تقول: تفوت أثره، وقفت أثره))[1]

قال السمرقنديّ عند تفسيره لقوله تعالى موضع البحث: ((لا تقل ما لم تعلم، فتقول: علمت ولم تعلم، ورأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، كأنك تقفو الأمور. يقال: قفوت أثره، والقائف: الذي يعرف الآثار ويتبعها، ويقال: معنى قوله: **﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾** أي: لا تقل ما لم تعلم، ولا تسمع اللغو، ولا تنظر إلى الحرام، ولا تحكم على الظن كل أولئك كان عنه مسؤولًا يعني: عن الكلام باللسان، والتسمع بالسمع، والتبصر بالبصر على وجه الإضمار، وهو من جوامع الكلم))[2].

إذًا جاءت اللفظة بمعنى تتبع الأثر مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور، أي: يكون في إقفاها تبعها ويتعرفها، وحقيقة المعنى لا تتكلّم أيها الإنسان بالحدس والظنّ، وجاء بها البيضاويّ بالمعنى نفسه، متفقًا مع أهل اللّغة وأهل التفسير من المتقدمين.

البُدْنُ:

كانت للبيضاويّ وقفة على لفظة (البُدْن) الواردة في قوله تعالى: **﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** [الحج:٣٦]، قال: ((والبُدْنُ جمع بدنة كخشب وخشبة، وأصله الضمّ، وقد قرئ به وإنّما سميت بها الإبل؛ لعظم بدنها مأخوذة من بدن بدانة))[3].

(١) جامع البيان: ٤٤٨/١٧.
(٢) بحر العلوم: ٣١١/٢.
(٣) أنوار التنزيل: ٧٢/٤.

ذكر الخليل معنى البدن بقوله: ((البَدَنُ من الجَسَد ما سوى الشَّوَى والرأس. والبَدَنُ: شِبْه دِرْعٍ إلاّ أنّه قصير قَدْرَ ما يكون على الجَسَد، قصيرُ الكُمَّيْنِ، ويجمَع على أبدان، وقال الله جلَّ وعزَّ: ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ﴾ [يونس:٩٢] ، وبَدُنَ الرجلُ: صار بَدينًا فهو مُبْدِن، ورجل بادِنٌ ومُبَدَّنٌ وامرأة مُبَدَّنةٌ أي سَمينانِ جسيمان. وبَدَّنَ تَبدينًا أي أسَنَّ. والبَدْنةُ: ناقةٌ أو بَقَرةٌ، الذكر والأنثى فيه سواءٌ يُهدَى إلى مَكَّةَ، والجميع البُدُنُ))[١]. واستدل البيضاويّ على ذلك بقوله صلى الله عليه وآله: ((البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة))[٢]. والبُدنَة ناقةٌ أو بقرةٌ تُنحَر بمكة، وسُمّيت بذلك؛ لأنّهم كانوا يُسَمِّنُونَها، والبُدن أيضًا السمن والاكتناز[٣]، وسُمّيت البُدنة بذلك؛ لأنّهم كانوا يستسمنونها[٤].

وقد سبق الزمخشريُّ البيضاويَّ في بيان معنى (البدن) بقوله: ((الْبُدْنَ جمع بدنة، سميت لعظم بدنها وهي الإبل خاصة، ولأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ألحق البقر بالإبل حين قال: (البدنة عن سبعة، والبقرة عن سبعة) فجعل البقر في حكم الإبل، صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين، وإلا فالبدن هي الإبل وعليه تدل الآية))[٥]

وذكر الماوردي في تفسير لفظة (البدن) ثلاثة أقاويل: أحدها: أنّها الإبل، والثاني: أنّها الإبل، والبقر، والغنم، والثالث: كل ذات خف وحافر من الإبل، والبقر، والغنم، وهو شاذ حكاه ابن الشّجريّ، وسميت بدنة لأنها مبدئة في السمن، وشعائر الله تعالى دينه في أحد الوجهين، وفروضه في الوجه الآخر. وتعمق بعض أصحاب الخواطر فتأول البدن أنْ تطهر بدنك من البدع[٦].

---

(١) العين: ٨/ ٥١-٥٢، (بدن).
(٢) صحيح مسلم: ٩٥٥/٢، وينظر: أنوار التنزيل: ٧٢/٤.
(٣) ينظر: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية: ٢٠٧٧/٥، (بدن)، ومجمل اللّغة: ١١٩/١، (بدن).
(٤) ينظر: مقاييس اللّغة: ٢١١/١، (بدن).
(٥) الكشاف: ١٥٧/٣.
(٦) ينظر: النكت والعيون: ٢٦/٤.

ثَجّاجًا:

وقف البيضاويّ على لفظة (ثَجّاجًا) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا**﴾[النبأ:١٤) قال: ((مَاءً ثَجَّاجًا منصبًا بكثرة يقال: ثَجّه وثجّ بنفسه))[١]، و((الثَجُّ: شِدَّة انصِباب المَطَرِ والدَّمِ، ومَطَرٌ ثجاجٌ))[٢]، وقال ابن دريد: ((ثَجَجْتُ المَاء أثجه ثَجًّا إذا صببته صَبًّا كثيرًا، وَقَالَ بعض أهل اللّغة: ثَجَجْتُ المَاء وثجّ المَاء وانثجّ المَاء كَمَا قَالُوا: ذَرَفتِ الْعينُ الدّمعَ وذَرَفَ الدّمعَ فَهُوَ ذارفٌ ومذروفٌ))[٣]، و((أتانا الوادي بثَجيجِهِ، أي بسيله، والثَجُّ: سيلانُ دِماءِ الهَدْيِ))[٤].

واستشهد البيضاويّ بقول الرسول (صلى الله عليه وآله) لبيان المعنى: ((أفضل الحجّ العجّ والثجّ))[٥]، وذكر أنّ العجّ والثجّ هو ((رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي))[٦]. وعند البحث عن معنى اللفظ ذهب البيضاويّ مذهب أصحاب معاني القرآن وتفسيره في توضيحهم الثج بمعنى الصب[٧]. والثجاج: القطر المتتابع بعضه على إثر بعض، والثج: الصب، والإراقة[٨].

وفسر السمرقنديّ (ثجّاجًا) بقوله: ((ماء ثجاجًا يعني: سيالًا، ويقال: منصبة كبيرة لنخرج به حبًا ونباتًا، يعني: بالماء حبوبًا كثيرة للناس، ونباتة للدواب من العشب والكلأ))[٩].

---

(١) أنوار التنزيل: ٢٧٩/٥.
(٢) العين: ١٣/٦، (ثجّ).
(٣) جمهرة اللّغة: ٨١/١، (ثجّ).
(٤) الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية: ٣٠٢/١، (ثجّ).
(٥) صحيح الجامع:١١٠١.
(٦) أنوار التنزيل: ٢٧٩/٥.
(٧) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٧٢/٥.
(٨) ينظر: تأويلات أهل السنة: ٣٩٣/١٠.
(٩) بحر العلوم: ٥٣٧/٣.

أمّا المُحْدَثون فقد فسّروها بمعنى السيلان أيضًا، فقيل: ((الثَّجُّ السَّيلانُ، وثَجَّاجًا أي سيالًا، وقال الحسن في وصف ابن عبّاس (ت٦٨هـ): إنّه كان يثُجُّ ثَجًّا، يعني: أنّه كان يصبُّ القولَ صَبًّا حتّى يعلم السامع))[١].

عِضِينَ:

أبان البيضاويّ عن معنى لفظة (عِضِينَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ**﴾ [الحجر:٩١]، قال :((عِضِينَ أجزاء جمع عِضة، وأصلها عضوة من عَضَى الشاة إذا جعلها أعضاء، وقيل فَعْلة من عضهته إذا بهته))[٢]. والعِضة: القطعة القطعة من الشيء، عضّيت الشيء عِضةً عِضةً إذا وزّعته بكذا، قال رؤبة[٣]:

وليس دين الله بالمُعَضَّى

أي: عضةً عضةً تفرقوا فيه فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه[٤]، وكل قِطْعَة عِضة. والعضة من الْأَسْمَاء النَّاقِصَة؛ وَأَصلهَا عِضْوة، فنُقصت الواوُ، كَمَا قَالُوا: عِزَة وَأَصلهَا عِزْوة[٥]. وأصلُه عِضْوة، وهو مِن عَضَوته، أي: فرّقتُه[٦]، والتَعضية: أنْ يُعضيَ الذّبيحة أعضاءً، والعِضةُ القطعة من الشيء، تقول: عضّيتُ الشيءَ، أي: وَزَعتُه[٧].

واستعان البيضاويّ بالحديث الذي ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) في بيان معنى العضة، فقد جـــاء في الحديث ((لعن رسول الله (صلّى الله عليه وآلــه وسلّم)

(١) المسالك في شرح موطأ مالك: ٢٧٣/٢.
(٢) أنوار التنزيل: ٢١٧/٣.
(٣) ديوانه: ٨١.
(٤) ينظر: العين: ١٩٣/٢، (عضو).
(٥) ينظر: تهذيب اللّغة: ٤٤/٣، (عضو).
(٦) ينظر: الصحاح تاج اللّغة وصحاح العربية: ٢٢٤١/٦، (عضه).
(٧) ينظر: مقاييس اللّغة: ٣٤٧/٤، (عَضَوَ).

العاضهة والمستعضهة))[1].

وقد اختلف أهل التأويل في تفسير هذه اللفظة، فجاءت بمعنى السحر بلسان قريش؛ لأنهم يقولون لِلْعَاضِهَةِ: السَّاحِرَةُ وعلى هذا النحو ذهب عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)[2].

إنّ الله عزّ وجلّ في هذه الآية يخاطب النبيَّ محمدًا (صلى الله عليه وآله) بإنزال القرآن عليه كما أنزله على المقتسمين، يَعْنِي: أَهلَ الكتابينِ الَّذِي اقْتَسَمُوهُ، فَجَعَلُوهُ كتُبًا بعد إِذْ كان كتَابًا، وحرَّفُوهُ فجعَلُوهُ كالأعضاءِ، فآمَنُوا بِبَعضِهِ، وَكفَرُوا بِبعضِه، وتقول العَرَب: عضيت الشيء؛ إِذَا وَزَّعتَهُ، وَعَضَّيْتَ الذّبيحةَ؛ إِذَا قَطَّعْتَهَا أَعضَاءً، وَالْعِضَةُ: القطعة منها، والجميع: عِضُونٌ في حال الرّفع، وعِضِينَ في حال النّصبِ والخفضِ[3]. كقول رُؤْبَةُ[4]:

وَلَيْسَ دِينَ اللَّهِ بالمُعَضّى

يعني: بالمفرّق.

فجعلوا بعضه شعرًا، وبعضه سحرًا، وبعضه كهانة، وبعضه أساطير الأولين، فجعلوه أعضاء كما يعضّى الجزور، وقيل: إنّ العِضين جمع عِضَة وهو البهت، ومن قولهم: عضهتُ الرجل أعضهه عضهًا إذا بهتّه، لأنهم بهتوا كتاب الله تعالى فيما رموه به[5].

(١) ذخيرة الحفاظ: ٨٦٩/٢، : وينظر: أنوار التنزيل: ٢١٧/٣.
(٢) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٢٦٠/٢.
(٣) ينظر: تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين: ٣٩٢/٢.
(٤) ديوانه: ٨١.
(٥) ينظر: النكت والعيون: ١٧٣/٣.

المبحث الثالث

الاستدلال بالشعر في الكشف عن المعنى المعجمِيّ

مرّ الاستشهاد بالشعر في تفسير القرآن الكريم بثلاث مراحل[١]:

الأولى: كان القرآن الكريم في المرحلة الأولى هو الحافز الأساس لإحياء الشعر العربي القديم، وإعطائه مكانة مهمَّة في الاحتجاج والاستشهاد به، واتضح ذلك عند ابن عباس، إذ قال: ((إذا خفي عليكم شيءٌ من القرآن فابتغوه في الشعر، فإنّه ديوان العرب، فإذا خَفِيَ عليهم الحَرْفُ من القرآنِ الذي أنزلَه اللهُ بلغةِ العربِ، رجعوا إلى ديوانها فالتمسُوا معرفةَ ذلك منه))[٢]، إذ كان يستشهد على المشكل من الألفاظ في الآية التي يُسأل عنها بشاهد من الشعر. وأمّا المحاولات الأولى للاستشهاد بالشعر فقد كانت في تفسير القرآن الكريم، مما يسجل سبقًا للمفسرين رحمهم الله تعالى.

والثانية: وكان يمثلها اللّغويّون، ولم تسلم هذه المرحلة من التأثُّر بِمَا سار عليه ابن عباس في المرحلة الأولى، ويمثّلها في القرن الثاني ومُستهلّ الثالث الهجريين الفرّاء (ت٢٠٧هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) والأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، إذ أسهم هؤلاء في قيام حركة تفسيرية جادة ومنظمة، ومليئة بكثير من شواهد الشعر.

أمّا المرحلة الثالثة: فتبدأ في منتصف القرن الثالث الهجريّ، إذ لم تبقَ عملية الاستشهاد مقتصرة على جانب تفسير القرآن، بل أخذت تتسع وتتطور لتشمل جَميع الحقول العلميّة الأخرى كالصّرف والنّحو والتّفسير والبلاغة، وغيرها.

---

(١) ينظر: الشاهد الشعري في تفسير القرآن الكريم، أهميته وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به: ٢٤٠.

(٢) الدر المنثور: ٥٤/٨.

فالشّعر كما وصفهُ الخطيبُ البغداديُّ (ت٤٦٣هـ) بقوله: ((في الشِّعرِ الحِكمةُ النَّادرةُ، والأمثالُ السائرةُ، وشواهدُ التَّفسيرِ، ودلائلُ التأويلِ، فهو ديوانُ العربِ، والمقيِّدُ للغاتها، ووجوه خطابِها، فلزِمَ كتابتهُ للحاجَةِ إلى ذلكَ))[١].

وقد اعتمد البيضاويّ في تفسيره القرآن الكريم على الاستشهاد بالشعر، وكانت له الحصة الكبرى من بقية الأصول الأُخرى، فقد يُورِدَ الشِّعرَ المُسْتَشْهَدَ به مُكتفيًا فيه بورودِ اللَّفظِ المُسْتَشْهَدِ له، ويتضحْ معناه في بيتِ الشِّعر الذي استُعينَ به على فَهْمِ معنى اللَّفظِ. وسنورد بعض الألفاظ التي كشف البيضاويّ معناها عن طريق الاستدلال بالشعر.

النّد:

يسعى البيضاويّ إلى تكشيف معنى الآية الكريمة عن طريق الاستعانة بالمعنى المعجمِيّ للمفردة ونلحظ هذا في تفسيره قوله تعالى: ﴿**الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٢٢] قال: ((النّدّ: من نَد يَنِدُّ ندودًا: إذا نفر، وناددت الرَجُلَ خالفته، خص بالمخالف المماثل في الذات كما خصّ المساوي بالمماثل في القدر، وتسمية ما يعبده المشركون من دون الله أندادًا))[٢].

وقد اتفق مع أصحاب المعاجم في بيان وجمع النِّدِّ أنْدادٌ. ونَدَّ البعيرُ نُدودًا: انفرَدَ واستَعْصَى، وأَنَدْتُ البعيرَ فنَدَّ. ويَوْمَ التَّنادِ، والتَّنديد: أن تُنَدِّدَ بإنسانٍ، أي تُسمعَ الناسَ بعيوبه وتَشتِمَه. ويَنْدَد: اسم موضع، والنَّدُّ: ضَرْبٌ من الدُّخْنِة من غير فعلٍ[٣].

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع: ١٩٧/٧.
(٢) أنوار التنزيل: ٥٦/١.
(٣) ينظر: العين: ١٠/٨، (ند).

ذكر البيضاويّ أنّ الند هو المثل المناوئ مستشهدًا بالشعر في بيان المعنى بقول جرير[١]:

أَتيمًا تَجْعلونَ إليَّ ندًّا وما تيمٌ لِذي حَسَبٍ نَدِيدُ

قال الزّجاج: ((هذا احتجاج عليهم لِإقرارهم بأنّ الله خالقُهم، فقيل لهم لا تجعلوا لله أمثالًا وأنتم تعلمون أنهم لا يَخْلُقون واللَّه الخالق، وفي اللغة فلان ندٌّ فلانٍ:، ونِدِيدُ فُلَانٍ))[٢].

وإذا توجهنا تلقاء المفسرين نجد أنّ الماورديّ يذكر ((ثلاثة تأويلات: أحدها: أنَّ الأنداد الأكْفَاءُ، وهذا قول ابن مسعود. والثاني: الأشباه، وهو قول ابن عباس. والثالث: الأضداد، وهو قول المفضل)) [٣].

وقال الثعالبي (ت٨٧٥هـ): ((وواحد الأنداد نِدٌّ، وهو المقاوم والمضاهي، واختلف المتأوّلون في مَن المخاطب بهذه الآية؟ فقالتْ جماعة من المفسِّرين: المخاطَبُ جميع المشركين، فقوله سبحانه على هذا، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ: يريد العلم الخاصَّ في أنه تعالى خلق، وأنزل الماء، وأخرج الرزق، وقيل: المراد كفَّار بني إسرائيل، فالمعنى: وأنتم تعلَمُون من الكتب التي عندكم أنّ الله لا ندَّ له))[٤]، فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدادًا، أي أمثالًا وأعدالًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أنّه واحد وأنّه خالق هذه الأشياء. قال ابن مسعود (ت٣٢هـ) في قوله: فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدادًا: ((أكفّاء من الرجال تطيعوهم في معصية الله))[٥].

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٥٦/١، والبيت في ديوان جرير: ١٦٤.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٩٩/١.
(٣) النكت والعيون: ٨٣/١.
(٤) الجواهر الحسان في تفسير القرآن: ١٩٦/١.
(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٦٧/١.

فبيّن البيضاويّ المعنى اللّغويّ للفظة عند تفسيره للآية؛ وذلك لأنَّ معناها يشير الى المغزى الذي وظفت من أجله وهو معنى التّنافر والمخالفة الذي تنبّه البيضاويّ عليهما، وهو أنّه لا يصلح أنْ يُجعل لله تعالى أندادًا.

السُّوْرة:

أوضح البيضاويّ معنى لفظة (السّورة) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾ [البقرة:٢٣]، إذ قال: ((السّورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلّها ثلاث آيات، وهي إنْ جعلت واوها أصلية منقولة من سور المدينة لأنها محيطة بطائفة من القرآن مفرزة محوزة على حيالها، أو محتوية على أنواع من العلم احتواء سور المدينة على ما فيها))[١].

وجاء في تهذيب اللغة السُّورة من الْقُرْآن فَإِن أَبَا عُبَيدة زعم أَنه مُشْتَقّ من سُورَة البِناء. قَالَ: ((والسُّورة: عِرْقٌ من أعراق الْحَائِط وَيجمع سُوَرًا، وَكَذَلِكَ الصُّورة تُجْمَعُ صورًا))[٢]، وَاحْتج أَبُو عُبَيدة بقول العجاج[٣]:

فرُبَّ ذي سَرَادقِ محصور سُرْتُ إِلَيْهِ فِي أعالي السُّورِ

والسَّوّار من الكلاب: الذّي يأخُذُ بالرّأس. والسَّوّار: الرّجُلُ الذي يَسُورُ في رأسه الشّراب[٤].

(١) أنوار التنزيل: ٥٧/١.
(٢) تهذيب اللغة: ٣٦/١٣، (سور).
(٣) ديوانه: ٢٤٤.
(٤) العين: ٢٨٩/٧، (سور).

وزاد الأزهريّ ((أنّ السُّور عِنْد الْعَرَب: حائطٌ الْمَدِينَة وَهُوَ أَشرف الْحِيطَان، وشبّه الله جلّ وعزّ الحائطَ الَّذِي حَجَز بَين أهل النَّار وأهلِ الْجنَّة بأشرف حَائِط عَرَفْناه فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ اسمٌ واحدٌ لشَيْء وَاحِد، إِلَّا أَنا إِذا أردنَا أَن نعرِف الْفرق مِنْهُ قُلْنَا سُور. كَمَا تَقول التَّمر وَهُوَ اسمٌ جامعٌ للْجِنْس، فَإِذا أردنَا أَنْ نَعْرِف الْوَاحِدَة من التّمر قُلنا تَمْرَة، وكل منزلَة رفيعة فَهِيَ سُورَة، مأخوذةٌ من سُورَة البِناء، وأمّا سُورَة الْقُرْآن فَإِنّ الله (جلّ وعزّ) جمعَها سُوَرًا؛ مثل غُرْفة وغُرَف، ورُتْبة ورُتَب، وزُلْفة وزُلَف، فدلَّ على أَنّه لم يَجْعَلهَا من سُور البِناء، لِأَنَّهَا لَو كَانَت من سُورِ الْبناء لقَالَ: فأْتوا بعشْرِ سُورٍ، وَلم يَقل ﴿**عَشْرِ سُوَرٍ**﴾ [هود:١٣] والقُرَّاء مجمعون عَلَى سُوَرٍ، وَكَذَلِكَ اجْتَمعُوا على قِرَاءَة سُورٍ فِي قَوْلهم: ﴿**نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ**﴾ [الْحَدِيد:١٣]، وَلم يقْرَأ بسورٍ فدلَّ ذَلِك عَلَى تميُّز سُورَة من سور الْقُرْآن عَن سُورة من سُوَرِ الْبناء))[(١)].

واستشهد البيضاويّ بقول النابغة الذبيانيّ فقال: أو من السورة التي هي الرتبة، كقول النابغة الذبيانيّ[(٢)]:

وَلرهْطِ حرابٍ وَقدٍّ سُورةٌ في المجْدِ ليسَ غرابُها بمطَارِ

وقد توسّع البيضاويّ في ذكر صفات السورة وتبيان المراتب التي يترقّى القارئ لسور القرآن، وهو تبيان يدلّ على مقدرته اللغويّة من جهة، وعلى ممارسته التلاوة والتجويد من جهة أخرى، قال: ((لأن السُورَ كالمنازل والمراتب يترقى فيها القارئ، أولها مراتب في الطول والقصر والفضل والشرف وثواب القراءة. وإنْ جعلت مبدلة من الهمزة فمن السورة التي هي البقية والقطعة من الشيء. والحكمة في تقطيع القرآن سورًا: إفراد الأنواع، وتلاحق الأشكال، وتجاوب النظم، وتنشيط القارئ، وتسهيل الحفظ، والترغيب فيه. فإنه إذا ختم سورة نَفَّسَ ذلك عنه، كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلًا أو طوى بريدًا،

(١) تهذيب اللغة: ٣٦/١٣، (سور).
(٢) ديوانه: ٥٥.

والحافظ متى حذفها اعتقد أنه أخذ من القرآن حظًا تامًا، وفاز بطائفة محدودة مستقلة بنفسها، فعظم ذلك عنده وابتهج به إلى غير ذلك من الفوائد))[١].

وإذا صرفنا أنظارنا صوب المفسّرين نجد أنَّ الزمخشريّ قد أشار –من قبل– إلى هذا التبيان[٢]. قال ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ): ((السورة تهمز ولا تهمز، فمن همزها جعلها من أسأرت، يعني أفضلت كأنها قطعة من القرآن، ومن لم يهمزها جَعلها من سُورةَ البناء، أي منزلة بعد منزلة))[٣]. وأشار مجير الدين الحنبلي (ت٩٢٨هـ) إلى أنَّ السورة قطعة من القرآنِ معلومةُ الأولِ والآخِر[٤].

ونلحظ أنَّ البيضاويّ يتفق مع ما جاء به اللّغويّون في بيان معنى اللفظة كذلك مع ما جاء به المفسرون من القدماء والمحدثين.

السُّجود:

ذكر البيضاويّ كلمة السجود الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى وَاسْتَكْبَرَ وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ**﴾ [البقرة:٣٤]، قال: ((والسجود في الأصل تَذَلّل مع تطامن))[٥].

ويتّفق البيضاويّ مع اللّغويّين في بيان المعنى الذي ذكره، فضلًا عن ذلك أنّه أشار إلى الأصل اللّغويّ لهذه اللفظة، في إشارة إلى أنّ (السّجود) من الألفاظ الإسلاميّة

(١) أنوار التنزيل: ٥٧/١.
(٢) ينظر: الكشاف: ٩٧/١.
(٣) زاد المسير في علم التفسير: ٤٤/١.
(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن: ٧١/١.
(٥) أنوار التنزيل: ٧٠/١.

(الحقائق الشرعيّة) التي أصبح لها حضورٌ في الإسلام، فالسجود هو: ((المَسجَدُ من الأرض فموضعُ السُّجود نفسه، والإسجادُ: إدامةُ النَّظر مع سكونٍ))[١].

كذلك السُّجُود إدامة النّظر فِي إطراق إِلَى الأَرْض وَكَذَلِكَ أسجد إِذا أدام النّظر أَيْضا[٢]. واستدلّ البيضاويّ على المعنى المعجمِيّ بالإفادة من المعجم الشّرعيّ بقول زيد الخيل[٣]:

تَرَى الأَكمَ فيها سُجَّدًا للحَوافِرِ

ونلحظ أنّ بعض المفسرين قد استعانوا بالمعنى المعجمِيّ لتفسير اللفظة، فذكر الطبَرِيّ أنّ أَصْلُ السُّجُوْدِ الانْحِنَاءُ لِمَنْ سُجِدَ لَهُ مُعَظَّمًا بِذلِكَ، فَكُلُّ مُنْحَنٍ لِشَيءٍ تَعْظِيمًا فَهُوَ سَاجِدٌ[٤].

وذهب السمرقنديّ إلى أنّ أصل السجود في اللغة: ((هو الميلان والخضوع، والعرب تقول: سجدت النخلة إذا مالت، وسجدت الناقة إذا طأطأت رأسها ومالت، وإنما كانت تلك سجدة التحية لا سجدة العبادة، وكانت السجدة تحية لآدم (عليه السلام) وطاعة لله عزّ وجلّ))[٥]. واستعان النسفيّ بالمعنى المعجمِيّ للكشف عن معنى الآية الكريمة قال: ((أَسْجد: إذا طأطأَ رأسَه وانحنى))[٦]، مستشهدًا بقول الشاعر[٧]:

فضولَ أَزِمَّتها أَسْجَدَت سجودَ النصارى لأَربابِها

---

(١) العين: ٤٩/٦، (سجد).

(٢) ينظر: جمهرة اللغة: ٤٤٧/١، (سجد).

(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ٧٠/١، والبيت في ديوان زيد الخيل: ٦٦، وهو عجز بيت، وصدره: بجمعٍ تضلُّ البلقُ في حجراتِه

(٤) ينظر: جامع البيان: ١٠٤/٢.

(٥) بحر العلوم: ٤٣/١.

(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٨٥/٢.

(٧) ديوان حُمَيدُ بن ثور: ٦٩.

وأَسجد البعيرُ: طأطأَ رأسَه، قال الشاعر[١]:

فقلنَ له أسْجِدْ لليَلى فأَسْجَدا

وسجدتِ النخلةُ: إذا تدلَّت أغصانُها ومالَت إلى الأرض.

واختُلف في هذا السجود الذي أُمروا به، فقيل: هو الإيماءُ دون السجود المستوفي المشروعِ في الصلاة، كالذي يَفعله الناسُ في لقاء عظمائهم مِن الخضوع والتواضع لهم؛ تشريفًا لهم وتعظيمًا[٢].

الرّكوع:

أوضح البيضاويّ معنى لفظة (الركوع) الواردة في قوله تعالى:﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ**﴾ [البقرة:٤٣]، قال: ((الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم الشارع))[٣]، فقد أشار بدءًا إلى الأصل اللّغويّ للركوع ثم انتقاله إلى البيئة الإسلاميّة فأصبح له حضورٌ في الشارع المقدّس، فضلًا عن ذلك أنّه استدلّ على هذا المعنى بقول لبيد[٤]:

أُخبّر أَخْبار القُرونِ التي مَضَتْ أدِبُّ كأنّي، كُلّمَا قُمْتُ، رَاكِع

واستدلّ على هذا المعنى بقول الأضبط بن قُرَيْع السَّعْدِي[٥]:

لا تذلَّ الضَّعِيفَ عَلَّكَ أَنْ تَرْ كَعَ يَوْمًا والدهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

التي تعني عند أهل اللغة: ركع: كلّ قومةٍ من الصلاة ركعة، وركَعَ ركوعًا. وكلُّ شيءٍ ينكبُّ لوجهه فتمسّ ركبته الأرض أولا تمسّها بعد أنْ يطأطىء رأسَه فهو راكع[٦].

---

(١) شطر بيت بلا نسبة في الصاحبي في فقه اللغة: ٤٦، وتهذيب اللغة: ٣٠١/١٠.

(٢) ينظر: التيسير في التفسير: ٨٥/٢.

(٣) أنوار التنزيل: ٧٧/١

(٤) ديوانه: ١٧٠.

(٥) البيت في خزانة الأدب: ٤٥٠/١١.

(٦) العين: ٢٠٠/١، (ركع).

وذهب الماوردي إلى أنَّ في أصل الركوع قولين[١]:

أحدهما: أنه مأخوذ من التطامن والانحناء، وهو قول الخليل.

والآخر: أنَّه مأخوذٌ من المذلَّة والخضوع، وهو قول المفضّل والأصمعيّ (ت٢١٦هـ).

كذلك قال السمعانيّ: ((أصل الرُّكُوع: عبَادَة مَعَ انحناء. يُقَال: ركعت النَّخْلَة إِذا انحنت، ... وَإِنَّمَا ذكره بِلَفْظ الرُّكُوع؛ لِأَن صَلَاة الْيَهُود مَا كَانَ فِيهَا رُكُوع؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: وصلوا صَلَاة ذَات رُكُوع))[٢].

وبيَّن الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) معنى الركوع فقال: ((طَأْطَأَةُ وَانْحِنَاءُ الظَّهْرِ لِقَصْدِ التَّعْظِيمِ أَوِ التَّبْجِيلِ، وَقَدْ كَانَتِ الْعَرَبُ تَفْعَلُهُ لِبَعْضِ كُبَرَائِهِمْ))[٣]، واستدل بقول الْأَعْشَى[٤]:

إِذَا مَا أَتَانَا أَبُو مَالِكٍ رَكَعْنَا لَهُ وَخَلَعْنَا الْعِمَامَةْ

وَرُوِيَ سَجَدْنَا لَهُ وَخَلَعْنَا الْعَمَارَا، وَالْعَمَارُ هُوَ الْعِمَامَةُ، وَقَوْلُهُ: مَعَ الرَّاكِعِينَ إِيمَاءٌ إِلَى وجوب مماثلة الْمُسْلِمِينَ فِي أَدَاءِ شَعَائِرِ الْإِسْلَامِ الْمَفْرُوضَةِ فَالْمُرَادُ بِالرَّاكِعِينَ الْمُسْلِمُونَ وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِتْيَانِ بِالصَّلَاةِ بأركانها وشرائطها[٥].

وإذا أنعمنا النَّظر في المعاجم نجد أنّ البيضاويّ وافق أصحاب المعاجم فيما ذهبوا إليه، ووافق ما جاء به المفسرون من القدماء.

---

(١) ينظر: النكت والعيون: ١/١١٣، و١١٤.

(٢) تفسير السمعاني ١/٧٣.

(٣) التحرير والتنوير ١/٤٧٣.

(٤) ديوانه: ٥١.

(٥) ينظر: التحرير والتنوير: ١/٤٧٣.

الثَّقَف:

وقف البيضاويّ على لفظة (الثَّقف) الواردة في قوله تعالى: **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾** [البقرة:١٩١] فقال: ((وأصل الثَّقف: الحِذْقُ في إدراكِ الشيء علمًا كان أو عملًا))[١].

وبعد الاطلاع على المعاجم العربية تبيّن أنّ الجوهريّ ذكر أن الثّقف هو الحذق والحكمة في تناول الأمور، إذ قال: ((ثَقُفَ الرجل ثَقْفًا وثَقَافَةً، أي صار حاذقًا خفيفًا فهو ثَقِف، مثال ضَخم فهو ضَخِم. ومنه المُثَاقفة. والثقاف: ما تسوى به الرماح، وتثقيفها: تسويتها. وثقفته ثقفًا، مثال بَلَعته بَلْعًا، أي صادفته. وقال: فإما تثقفوني فاقتلوني فإن أُثْقَفْ فسوف تَرَوْنَ بالي وَثَقِفَ أيضًا ثَقَفًا، مثال تَعِبَ تَعَبًا: لغةٌ في ثَقُفَ، أي صار حاذقًا فطنًا، فهو ثَقِفٌ وثَقُفٌ))[٢].

وَثقفَ الشيء ثَقفًا وثقَافًا وثقُوفة: حَذَقَه، ورجلٌ ثَقَفٌ: حاذقٌ فَهِمٌ[٣]، وثَقِفَ الرَّجلُ صار حاذقًا خفيفًا، وثَقِفتُ الشيءَ: حذَقْتُه[٤].

وزاد البيضاويّ أنَّ الثقف يتضمن معنى الغلبة ولذلك استعمل فيها، كقول الشاعر[٥]:

فأمَّا تَثْقِفُوني فَاقتُلُوني فَمَنْ أُثْقَفْ فَلَيْسَ إلى خُلُودِ

(١) أنوار التنزيل: ١٢٨/١.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٣٣٤/٤، (ث ق ف).
(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣٥٦/٦، (ثقف).
(٤) ينظر: لسان العرب: ١٩/٩، (ثقف).
(٥) ينظر: أنوار التنزيل: ١٢٨/١، والبيت لخالد بن جعفر بن كلاب: صاحب الأغاني: ٨٣/١١.

نلحظ أنّ البيضاويّ أوضح معنى اللفظ عن طريق الاستشهاد بقول الشاعر، وإذ توجهنا الى غيره من المفسرين نلحظ أنَّ هناك توافقًا بين ما جاء به البيضاويّ وبين ما ذكره المفسرون.

أوضح الطبريّ معنى الثقف فقال: ((الثقفة بالأمر: الحذق به والبصر، يقال: إنّه لثقف لقف إذا كان جيد الحذر في القتال بصيرا بمواقع القتل، وأما التثقيف فمعنى غير هذا وهو التقويم؛ فمعنى: **﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾** اقتلوهم في أي مكان تمكنتم من قتلهم وأبصرتم مقاتلهم))[(١)].

وهو قول الزّجاج أيضًا قال: ((أي حيث وجدتموهم، يقال ثَقِفْتهُ أثقفه ثَقْفًا وَثَقَافَة، ويقال: رجل ثَقِفٌ لَقِفٌ. ومعنى الآية: لا تَمْتنِعوا من قتلهم في الحرم وغيره))[(٢)]. وذكر ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) أنّها بمعنى الإيجاد[(٣)].

من هنا فإنّ ما ذكره الطبريّ والزّجّاج وابن الجوزي قد أفاد منه البيضاويّ –من بعدُ– في تكشيف المعنى المعجمي، وقد أفاد أيضًا من المعجم الشّعريّ.

والمعنى عند صاحب الكتاب الفريد ((حيث وجدتموهم في حِلٍّ أو حَرَمٍ، يقال: ثَقِفته أثقَفُه بكسر العين في الماضي وفتحها في الحاضر ثَقْفًا، إذا وجدتَه وظفرتَ به، والثَّقْفُ: وجودٌ على وَجْهِ الأخْذِ والغَلَبة، ومنه رجل ثَقِف، إذا كان سريع الأخذ لأقرانه))[(٤)]. واستدلّ بقول الشاعر[(٥)]:

فإمّا تَثْقَفُونِي فاقتُلُوني فَإِنْ أَثْقَفْ فسوفَ تَرَوْنَ بالِي

(١) جامع البيان: ٢٩٣/٣، وينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ٤٠٥/١.
(٢) معاني القرآن وإعرابه: ٢٦٣/١.
(٣) ينظر: زاد المسير: ١٥٥/١.
(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٤٦٣/١.
(٥) البيت لعمرو ذي الكلب الهذلي، ينظر: شرح أشعار الهذليين للسكري: ٥٦٧/٢.

وعند التّتبّع لباقي كتب التفسير واللّغة من القدماء والمحدثين نلحظ هناك تطابقًا بين ما جاء به البيضاويّ وما جاء به أهل اللّغة وما جاء به المفسّرون أيضًا.

القُرُوء:

يسعى البيضاويّ إلى تكشيف معنى الآية الكريمة من خلال الاستعانة بالمعنى المعجمِيّ للمفردة ونلحظ هذا في تفسيره قوله تعالى: **﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ وَلا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذلِكَ إِنْ أَرادُوا إِصْلاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** [البقرة:٢٢٨]. قال: ((قُرُوءٍ جمع قِرْء وهو يطلق للحيض))[١].

وبعد الاطلاع على المعاجم العربيّة يتّضح أنّ معنى القروء: ((جمع قِرْء، والقِرْء: وقت يكون للطهر مرة، وللحيض مرة، وجمعه قروء، ويقال: القرء: هو الطهر، وذلك أنّ المرأة الطاهر كأن الدم اجتمع وامتسك في بدنها، فهو من قريت الماء. وقرى الآكل الطعام في شدقه، وقد يختلف اللفظان فيهمز أحدهما ولا يهمز الآخر والمعنى واحد، إذا كان الأصل واحدا، وقوم يذهبون إلى أنّ القرء الحيض))[٢]. والقرءُ :الحَيض والطُهر ضدّ، فقد يكون للحيض والطهر[٣].

واستشهد البيضاويّ بقول الشاعر في بيان المعنى للفظة فذكر قول الأعشى[٤]:

مُوَرِّثَةٌ مَالًا وَفِي الحَيِّ رِفْعَةٌ لِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

(١) أنوار التنزيل: ١/١٢.
(٢) مجمل اللغة: ١/٧٥٠، (قرء).
(٣) ينظر: لسان العرب: ١/١٣٠، (قرء)
(٤) ديوانه: ٩١.

وزاد أنّ القَرْء أصله الانتقال من الطهر إلى الحيض، وهو المراد به في الآية لأنّه الدال على براءة الرحم لا الحيض، كما قاله الحنفية لقوله تعالى: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق:١] أي وقت عدتهن(١).

وإذا توجهنا نحو كتب التفسير لتكشيف معنى اللفظة عن طريق تفسير الآية الكريمة نلحظ أنّ الأخفش الأوسط يشير إلى المعنى بقوله: ((ثلاثة قروء ممدودة مهموزة وواحدها (القرء) خفيفة مهموزة مثل: القرع، وتقول: قد أقرأت المرأة إقراء بالهمز، إذا صارت صاحبة حيض، وتقول: ما قرأت حيضة قط، مثل: ما قرأت قرآنا، وقد قرأت حيضة أو حيضتين، بالهمز، وما قرأت جنينا قط مثلها. أي: ما حملت. والقرء: انقطاع الحيض، وقال بعضهم: ما بين الحيضتين))(٢).

وذكر الزجاج أنّ الفقهاء وأهل اللغة قد اخْتَلَفوا في تفسيرها، وهناك جملة من أقوال الفقهاء وجملة أقوال أهل اللغة، فذكر أنّ أهل الكوفة يقولون: الأقْرَاءُ الحَيض. وأما أهل الحجاز فيقولون: الأقراء الطهر، وحجة أهل الكوفة في أنّ الأقراءَ والقِراءَ، والقروء (الحيض)، ويروى عن أم سلمة (رضيَ الله عنها) أنّها استفتت لفاطمة بنت أبي حبيش، وكانت مستحاضة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): تنتظر أيام أقرائها وتغتسل فيما سوى ذلك، فهذا يعني أنَّها تحبس عن الصلاة أيام حيضها ثم تغتسل فيما سوى أيام الحيضَ، وذكر في خبر آخر أنّ فاطمة سألته، فقال: إذا أتى قرؤُك فلا تصلي، فإذا مرّ فَتَطَهَّرِي، وصلِّي ما بين القرءِ إلى القرءِ، فهذا مذهب الكوفيين، والذي يقويه من مذهب أهل اللغة أنّ الأصمعي كان يقول: القُرءُ الحيض، ويقال أقرأتِ المرأة إذا حاضت. وقال الكسائيّ (ت١٨٩هـ) والقراء جميعًا أقرأت المرأة إذا حاضت فهِي مقرئٌ،

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ١٤١/١.
(٢) معانى القرآن: ١٨٧/١.

وقال القراءُ: أقرأت الحاجة إذا تأخرت فهذا هو مذهب أهل الكوفة في الأقراء، وما احتج به أهل اللغة مما يقوي مذهبهم[١].

وفسر الواحديّ لفظة (القروء) بقوله: ((القروء: جمع قرء، وجمعه القليل: أقرؤ، وأقراء، والكثير: قروء، وهذا الحرف من الأضداد، يقال للحيض: قرء، وللأطهار: قروء، وأقرأت المرأة في الأمرين جميعًا))[٢].

وكذلك فسّرها ابن عطية الأندلسيّ (ت٥٤٢هـ) بالمعنى نفسه، إذ قال: ((قروء على وزن فعول، اللام همزة، وروي عن نافع شدّ الواو دون همز، والقرء في اللغة الوقت المعتاد تَرَدّدَه، وقرء النجم وقت طلوعه، وكذلك وقت أفوله وقرء الريح وقت هبوبها))[٣]، مستشهدًا بقول الراجز[٤]:

يا رُبَّ ذي ضِغْنٍ عَلى فَارِض له قُروء كقُروءِ الحائضِ

أراد وقت غضبه، فالحيض على هذا يسمى قرءًا، وكذلك على هذا النظر يسمى الطهر قرءًا، لأنّه وقت معتاد تردده يعاقب الحيض، أي من أطهارهن، وقال قوم: القرء مأخوذ من قرء الماء في الحوض، وهو جمعه، فكأن الرحم تجمع الدم وقت الحيض والجسم يجمعه وقت الطهر[٥].

إذًا استعان البيضاويّ بالشعر العربي في تخريج معنى اللفظ ماشيًا على خطى من سبقه من أهل اللغة وأهل التفسير في تفسير الآية المباركة عن طريق الوقوف على اللفظ وبيان معناه المعجمِيّ.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٠٢/١-٣٠٣.
(٢) التفسير الوسيط: ٣٣٢/١.
(٣) المحرر الوجيز: ٣٠٤/١.
(٤) أنشده ابن قتيبة في المعاني الكبير: ٨٥٠/٢.
(٥) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٠٤/١.

المُقِيت:

وقف البيضاويّ عند لفظة (مُقِيتًا) الواردة في قوله تعالى: **﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْها وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها وَكانَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾** [النساء:٥٨]، قال: ((مُقِيتًا مقتدرًا من أقات على الشيء إذا قدر))[١].

وقد وردت في كتب اللغة بالمعنى نفسه كقول ابن السكيت (ت٢٤٤هـ): ((قد أَقَات على الشيء يُقِيتُ إِقَاتَة، إذا اقتدر عليه ...، والمُقِيت الحافظ الشاهد للشيء، ويقال: قد قَاتَ أهله يَقُوتُهُم قَوْتًا، والاسم القُوْت: ويقال: ما عنده قِيتُ ليلة وقِيْتَةُ ليلة))[٢].

مستشهدًا بقول السموأل[٣]:

لَيْــتَ شِعْري وأَشْعُرنّ إذا ما قَرّبوهَـــا مَنْشُورةً ودُعِيْتُ

أَلِيَ الفضلُ أم عَلَيَّ إذا حُو سِبَتْ أنّى عَلى الحساب مُقِيتُ

وقال أبو بشر البَندنيجيّ (ت٢٨٤هـ): ((المُقِيت: القادر على ما يريد، والمَقِيتُ: البَغِيضُ مِنَ الْمَقْتِ))[٤]. وقال الأصبهانيّ (ت٥٨١هـ): ((أَقاتَ بمعنى قَاتَ. وقيل: أَقَاتَهُ: أي حَفِظَه. فيكون مَعنَاه: مَن يَرجُو تَحفُّظَه وتَعهُّدَه))[٥].

واستشهد البيضاويّ في بيان معنى لفظة (المقيت) ببيت من الشعر[٦]:

وَذِي ضُغْنٍ كَفَفْتُ الضُغْنَ عَنْه وَكُنْتُ عَلَى مَسَاءَتِهِ مُقِيتا

---

(١) أنوار التنزيل: ٨٧/٢.

(٢) إصلاح المنطق: ١٩٩.

(٣) ديوانه: ٨١.

(٤) التقفية في اللغة : ٢١٥.

(٥) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث: ٧٥٩/٢

(٦) البيت مختلف في نسبته، فقيل إنه لأبي قيس بن رفاعة. وقيل لأحيحة بن الجلات الأنصاري. ينظر: لسان العرب: ٧٦/٢، والدر المنثور: ١٨٨/٢.

وزاد البيضاويّ ((أو شهيدًا حافظًا، واشتقاقه من القوت فإنّه يُقَوّيَ البَدَنَ ويحفظه))[١]. قال الفرّاء: ((المقيت: المقدر والمقتدر، كالذي يعطي كل رَجُل قوته))[٢]. أمّا الطبري فقد فسّر معنى المقيت بالقدير، ويذكر أنّه بلغة قريش[٣].

وجاء في تفسير المراغيّ (ت١٣٧١هـ) قوله: ((مقيتًا: أي مقتدرًا أو حافظًا أو شاهدًا، وقيل: وحقيقته قائمًا عليه يحفظه ويعينه، فهو مأخوذ من القوت وهو ما يمسك الرمق من الرزق وتحفظ به الحياة، يقال قاته يقوته إذا أطعمه قوته، وأقاته يقيته إذا جعل له ما يقوته))[٤].

وفسّرها بالمعنى نفسه أيضًا محيي الدين درويش (ت١٤٠٣هـ)، قال:((مقيتًا: قادرًا أو مراقبًا أو حسيبًا))[٥].

ومن المُحْدَثين الدكتور عبد الله خضر حمد فسّر معنى (المقيت) في قوله تعالى: **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾**[النساء:٨٥]، قال: ((وكان الله على كل شيء شاهدًا وحفيظًا ،وأضاف أنَّ هذه اللفظة فيها وجوه عدّة: **أحدها**: يعني مقتدرًا، **والثاني**: حفيظًا، **والثالث**: شهيدًا، **والرابع**: حسيبًا، **والخامس**: مجازيًا، **والسادس**: القائم على كل شيء بالتدبير. **والسابع**: أنّ المقيت: الرازق. والراجح –والله أعلم– أنّ معنى (المقيت): القدير، وقد قيل إنّ منه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((كفى بالمرء إثمًا أنْ يُضِيعَ من يُقيت))[٦]، في رواية من رواها: (يُقيت)، يعني: من هو تحت يديه وفي سلطانه من أهله وعياله، فيقدّر له قوته. يقال منه: أقات فلان الشيء يقتيه إقاتة، وقاته

(١) أنوار التنزيل: ٨٧/٢
(٢) معاني القرآن: ٢٨٠/١
(٣) ينظر: جامع البيان: ٥٨٤/٨.
(٤) تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: ٥٥٥/٢.
(٥) التفسير الحديث: ١٨٧/٨.
(٦) مسند أحمد: ٤٨/٦، وينظر: المستدرك: ٤١٥/١.

يقوته قياتةً وقُوتًا، والقوت، الاسم))[١]. وقيل أيضًا: مُقِيتًا: مقتدرًا عليه وشاهدًا عليه حافظًا له[٢].

نلحظ من هذا التتبع والبحث في كتب اللغة والتفسير أنّ هناك اتفاقًا وتشابهًا بين ما ذكره اللّغويّون والمفسّرون في بيان المعنى الخاص باللفظ، أي هناك خُطًى ثابتة يسيرون عليها.

إِلًّا:

بيّن البيضاويّ معنى لفظه (إلًّا) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فاسِقُونَ**﴾ [التوبة:٨]، قال البيضاويّ: ((إِلًّا: حِلْفًا، وقيل: قرابة ... ولعله اشتق للحلف من الإِل وهو الجؤار؛ لأنهم كانوا إذا تحالفوا رفعوا به أصواتهم وشهروه، ثم استعير للقرابة؛ لأنّها تعقد بين الأقارب ما لا يعقده الحلف، ثم للربوبية والتربية. وقيل: اشتقاقه من ألل الشيء إذا حدّده، أو من آل البرق إذا لمع. وقيل: إنّه عبري بمعنى الإله لأنه قُرِئ إيلا كجبرئل وجبرئيل))[٣].

وجاء في المعاجم معنى الإلّ: الرّبوبيّة وألَّ الرّجلُ يَؤُلُّ ويَئِلّ إلًّا إذا أسرع، وألَّ لَوْنُه يَؤُلُّ إلًّا، إذا صفا وبَرَق[٤]، وقال الفارابي (ت٣٥٠هـ): ((الإلُّ: الله تَعالَى، والإلُّ العهدُ، والإلُّ: القَرابةُ))[٥]، وأفاد البيضاويّ من المعجم الشّعريّ ولاسيّما قول حسان بن ثابت[٦]:

---

(١) الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية: ٢٩٤/٧.
(٢) ينظر: أيسر التفاسير للجزائري: ٥١٧/١، والتفسير الواضح: ٤٠٦/١.
(٣) أنوار التنزيل: ٧٢/٣.
(٤) ينظر: العين: ٣٦٠/٨، (آل).
(٥) معجم ديوان الأدب: ١٥٥/٤
(٦) ديوانه: ٤٠٧.

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْش كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأَلِ النَّعَام

وفسّرها الطبريّ بمعنى القرابة، إذ قال: ((الإلّ: القرابة))[١]. وقال مجاهد: ((الإلّ: الله أي لا يرقبون الله ولا غيره، والقول الأول أظهر وأشهر وَعَلَيْهِ الْأَكْثَرُ، وَعَنْ مُجَاهِدٍ أَيْضًا: الْإِلُّ الْعَهْدُ، وَقَالَ قَتَادَةُ: الْإِلُّ الْحِلْفُ))[٢]، وقيل: إِلًّا: عهدًا أو حلفًا، أو جؤرًا[٣]. وبهذا يتفق البيضاويّ مع سابقيه اللّغويّين والمفسرين ببيان المعنى اللّغويّ لكلمة الْإِلّ.

مُتّكَأً:

كشف البيضاويّ عن المعنى المعجمِيّ للفظة (الاتّكاء) الواردة في قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَرًا إِنْ هذا إِلَاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾** [يوسف:٣١]، إذ قال: ((متكأ طعامًا أو مجلس طعام، فإنّهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفًا ولذلك نهى عنه))[٤].

وعند أهل اللغة: وكأ: أَوكأت فلانًا إيكاءً: نصبت له مُتّكَأً. وأَتْكَأْته: حملته على المُتّكأ والاتكاء. والمُواكِيء: جمع المتّكَأ. وأصل المتّكَأ من الواو، وأصله: مُوتكأ، فحولوا الواو تاء وأدغموها في التاء فشددوها وثقلوها. والتَّوَكُّؤ: التحامل على العصا، قال الله (عزَّ وجلَّ)، حكاية عن موسى: **﴿أَتَوَكَّؤُا عَلَيْها﴾** [طه:١٨] وتوكَّأَتِ الناقة: وهو تصلقها عند مخاضها[٥].

---

(١) جامع البيان: ١٤٦/١٤.
(٢) مختصر تفسير ابن كثير: ١٢٨/٢.
(٣) ينظر: التفسير الواضح: ٨٥٧/١.
(٤) أنوار التنزيل: ١٦٢/٣
(٥) ينظر: العين: ٤٢٢/٥، (وكأ).

وتُكَأَة بوزن فُعْلة. أصل هذه التاء من الواو. والتاء مستعملة في هذه الكلمة استعمال الحرف الأصلي: توكأت، واتكأت على مُتَكَأ، وأصل عربيته: ((وكأ يوكئ توكئة))[١].

وفي حَدِيث الزُّبير: أنَه كان يُوْكِي بَيْنَ الصَّفا والمَرْوَةِ أي يُوْكِي فاه فلا يَتَكلَّم، من أوْكَيْتُ الشَّيْء: إذا شَدَدْتَه، وأوْكِ يا فُلان: إذا أمَرْتَه بالسكُوت[٢].

واستشهد البيضاويّ بالشعر في بيان معنى اللفظ فذكر قول جميل بثينة[٣]:

فَظَلَلنا بِنِعْمَةٍ وَاتَكَأْنَا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ

وقيل: المُتّكأ طعام يَحُزّ حَزًّا كأن القاطع يتكئ عليه بالسكين أو ما يقطع من متك الشيء إذا بتكه و (متكأ) من تَكِئَ يَتْكِأُ إذا اتكأ[٤].

ذكر البيضاويّ معنيين يتفقان مع سياق الآية المباركة، وذكر أصل اللفظ في اللغة، وبدا لي أنّ هذا المعنى ذكره أصحاب المعاجم، ولم يخرج البيضاويّ عمّا جاء به أهل اللغة.

وأوضح الزجاج معنى الاتكاء بقوله: ((مُتَّكَأً ما يُتكأ عليه لطعام أو شَرَاب أو حديث))[٥]. كما قال النسفي: ((ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيأة وهي قُعُودَهُنّ مُتّكِئاتٍ))[٦].

وقال الخازن (ت٧٤١هـ): ((مُتَّكَأً يعني ووضعت لهن نمارق ومساند يتكئن عليها، ... وقيل: متكئًا يعني طعامًا، وإنّما سمي الطعام متكئًا، لأنّ كلّ مَنْ دعوته ليطعم

(١) العين: ٣٩٨/٥، (وكأ).
(٢) ينظر: المحيط في اللغة: ٧١/٢.
(٣) ديوانه: ٨٥.
(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ١٦٢/٣.
(٥) معاني القرآن وإعرابه: ١٠٥/٣.
(٦) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١٠٧/٢.

عندك فقد أعددت له وسائد يجلس ويتكئ عليها فسمي الطعام متكأ على الاستعارة ويقال: اتكأنا عند فلان أي طعمنا عنده المتكأ ما يتكأ عليه عند الطعام والشراب، وقيل: المتكأ الأُتْرُج و هو كل شيء يقطع بالسكين أو يحز بها))[١].

حَصْحَصَ:

عرّف البيضاويّ كلمة (حصْحصَ) معجميًّا الواردة في قوله تعالى: ﴿**قالَ ما خَطْبُكُنَّ إِذْ راوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا راوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ**﴾ [يوسف:٥١]، قال: ((حَصْحَصَ الْحَقُّ ثبتَ واستقرّ من حَصْحَصَ البعيرُ إذا ألقى مباركهُ ليناخ ... أو ظهر من حصّ شعره إذا استأصله، بحيث ظهرت بشرة رأسه))[٢].

وحَصْحَصَ الحقّ إذا برز وظهر[٣]، قال أحمد بن فارس: ((الْحَاءُ وَالصَّادُ فِي الْمُضَاعَفِ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: أَحَدُهَا النَّصِيبُ، وَالْآخَرُ وُضُوحُ الشَّيْءِ وَتَمَكُّنُهُ، وَالثَّالِثُ ذَهَابُ الشَّيْءِ وَقِلَّتُهُ ... وَالثَّانِي قَوْلُهُمْ حَصْحَصَ الشَّيْءُ: وَضَحَ))[٤]، وجاء في لسان العرب ((والحَصُّ أَيضًا: ذهابُ الشَّعْرِ سَحْجًا كَمَا تَحُصُّ البَيْضةُ رأْسَ صَاحِبِهَا ... اشتقاقُه مِنَ اللُّغَةِ مِنَ الحِصَّة أَي بَانَتْ حِصّة الحقِّ مِنْ حِصَّةِ الْبَاطِلِ))[٥]، وكلا المعنيين ذكرهما البيضاويّ، وهو يوافق ما جاء به علماء اللغة.

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل: ٥٢٥/٢.
(٢) أنوار التنزيل: ١٦٧/٣.
(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٢٥٩/٣، (حص)، ومختار الصحاح: ٧٤/١، (ح ص ص).
(٤) مقاييس اللغة: ١٢/٢، (حَصَّ).
(٥) لسان العرب: ١٦/٧، (حصص).

وفي المعاجم الحَصْحَصة: حَصْحَص الحقّ: أي بان، والحَصْحَصة: الذهاب في الأرض. وقال نشوان الحميرى (ت٥٧٣هـ): ((الحَصْحَصة: تحريك الشيء حتى يستقر، يقال: حصحص الترابَ: إذا حركه يمينًا وشمالًا))[١].

واستدلّ البيضاويّ ببيت من الشعر في الكشف عن معنى اللفظة، بقول الشاعر[٢]:

فَحَصْحَصَ فِي صُمَ الصفَا ثَفَنَاتِه وَنَاءَ بِسَلْمَى نَوأَة ثُمَّ صَمَّمَا

وقال الطبريّ: ((وأصل الحصّ: استئصال الشيء، يقال منه: حَصَّ شعره، إذا استأصله جزًّا، وإنما أريد في هذا الموضع بقوله: **﴿حَصْحَص الحقّ﴾**، ذهب الباطل والكذب فانقطع، وتبين الحق فظهر))[٣].

وفسّر السمرقنديّ معنى (حصْحصَ) الواردة في الآية الكريمة بقوله: ((حَصْحَصَ الْحَقُّ يعني: ظهر الحقّ ووضح، ويقال: استبان. قال الزّجّاج: اشتقاقه في اللغة من الحصة أي: بانت حصة الحق وجهته من حصة الباطل))[٤]. وفسّرها الثعلبيّ بالمعنى نفسه، قال:((أصل الحَصِّ: استئصال الشيء يقال: حَصَّ شَعْره، إذا استأصله جزًّا))[٥].

مستشهدًا بقول أبي قيس بن الأسلت[٦]:

قد حَصَّتِ البَيْضَة رَأْسِي فَمَا أَطْعَمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاعِ

فمعنى قوله: حَصْحَصَ الْحَقُّ، ذهب الباطل والكذب فانقطع، وتبين الحق وظهر وتميز وشهر[٧].

---

(١) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ١٣٠٦/٣.

(٢) ديوان حميد بن ثور: ١٩، ورواية الديوان: وأثّر في صمّ الصفا ثفناته ورام بلمّا أمره ثم صمّما.

(٣) جامع البيان: ١٤٠/١٦.

(٤) بحر العلوم: ١٩٧/٢، وينظر رأي الزجاج في معاني القرآن وإعرابه: ١١٥/٣.

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤٢/١٥.

(٦) ديوانه: ٧٨.

(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٤٢/١٥.

كذلك ذكر الواحدي المعنى اللّغويّ للفظة، قال: ((قال اللّغويّون: حصحص الحق معناه: وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس، من قول العرب: حصحص البعير بروكه، إذا تمكن فاستقر في الأرض وفرق الحصى))[١].

وقيل: حَصْحَصَ الْحَقُّ: ظهر وتبين من جميع وجوهه من حصّ رأسه: صلع ، أو من الحصّة، أي: بانت حصّة الحق من الباطل ،وقيل: هو من حصحص البعير بثفناته في الأرض إذا برك حتى يتبين آثارها فيه[٢].

نلحظ من ذلك اتفاق أهل اللغة وأهل التفسير في بيان المعنى اللّغويّ للفظة، أي اعتماد أهل التفسير على المعنى اللّغويّ الذي ذكره اللّغويّون في تفسير الآية الكريمة عن طريق تكشيف المعنى اللّغويّ للفظة. والاستدلال عليها بالشعر.

الأصْفَاد:

بيّن البيضاويّ معنى لفظة (الْأَصْفاد) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفادِ**﴾ [إبراهيم:٤٩]، قال: ((الصَّفَدُ القيدُ. وقيل: الغُلُّ))[٣].

قال الخليل: ((الصَّفَد: العَطاءُ، وتقول: أصفَدَه إصفادًا. والصَّفْد، مجزوم، هو الظِّلُّ. وصَفَدْتُ يَدَه الى عُنُقِه صَفْدًا أي أوثَقْتُه، والاسمُ الصِّفاد، والجمع: الصُّفُدُ والأَصفاد))[٤].

ذكر أصحاب المعاجم أنّ الصَّفد هو الشد بالأغلال، قال الأزهريّ: ((صُفِّدَتْ يَعْنِي شُدَّت بالأغْلال وأُوثقَتْ))[٥]، وصَفَدَهُ يَصْفِدُهُ صَفْدًا، أي شدَّه وأوثقه، والصَفَد بالتحريك

(١) التفسير البسيط: ١٤٧/١٢.
(٢) ينظر: إيجاز البيان عن معاني القرآن: ٤٣٩/١.
(٣) أنوار التنزيل: ٢٠٤/٣.
(٤) العين: ١٠٢/٧، (صفد).
(٥) تهذيب اللغة: ١٠٥/١٢، (صفد).

العَطاءُ. والصَفَدُ أيضًا: الوَثاقُ، والصِفادُ: ما يوثَقُ به الأسيرُ من قِدٍّ وقيدٍ وغلٍّ. والأصفاد: القيود[١].

كذلك قال ابن قتيبة الدينوريّ (ت٢٧٦هـ): ((الصّفَد: العطية، وقد أصفدته وأوجبته أعطيته، وأفرضته إفراضًا، والفرض: العطية))[٢].

واستشهد البيضاويّ ببيت من الشعر في بيان معنى اللفظة لسلامة بن جندل[٣]:

وَزَيْدُ الخَيْلِ قَدْ لَاقَى صِفَادًا يَعضُّ بِسَاعِدٍ وَبِعَظْمِ سَاقَ

وذكر أنّ أصله الشدّ[٤].

قال الطبريّ: ((مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم بالأصفاد، وهي الوثاق من غلّ وسلسلة، واحدها: صَفَد، يقال منه: صفدته في الصَّفَد صَفْدًا وصِفادًا))[٥]. وكذلك فسّرها السخاويّ (ت٦٤٣هـ) بمعنى القيود والأغلال[٦].

وبعد الاطلاع على تفاسير الأقدمين نلحظ تشابهًا بين ما ذكره المفسرون الذين سبقوه وبين ما ذكره البيضاويّ من توضيح لمعنى اللّفظة.

أمّا المُحْدثون فإنّهم اتّبعوا القدماء في توضيحهم لمعنى الأصفاد، قال محيي الدين درويش: ((الأصفاد وهو جمع صَفد، يُقال صَفَده يَصْفِده صَفدًا من باب ضرب قيده وصفّده مشددًا للتكثير، ومن أقوالهم: الصّفد صفد، أي العطاء قيد، ومن المجاز صفّدته بكلامي تصفيدًا إذا غلبته))[٧].

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤٩٨/٢، (صفد).
(٢) الجراثيم: ٣٥٥/١.
(٣) ديوانه: ٧٠.
(٤) ينظر: أنوار التنزيل: ٢٠٤/٣.
(٥) جامع البيان: ٥٢/١٧.
(٦) ينظر: تفسير القرآن العظيم: ٤٣٨/١، ولباب التأويل في معاني التنزيل: ٤٦/٣.
(٧) إعراب القرآن وبيانه: ٢٠٤/٥.

الهِيم:

وقف البيضاويّ على لفظة (الهِيم) الواردة في قوله تعالى: ﴿**فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾ [الواقعة:٥٥]، قال: ((الْهِيمِ الإبل التي بها الهُيَام وهو داء يشبه الاستسقاء، جمع أهيم وهيماء))[١].

وعند البحث في كتب اللغة عن معنى لفظة (الهيم) نجد أنَّ ابن دريد الأزدي يذهب إلى أنّه مصدر هام يَهيم هَيْمًا وهَيَمانًا. والهِيم: الْإِبِل العِطاش وَقَالَ قوم: بل الهِيم جمع هَيْماء، وَهُوَ دَاء يُصِيب الْإِبِل فَتَشرب وَلَا تَرْوى والهُيام الِاسْم، وَهُوَ الدَّاء الَّذِي يُصِيب الْإِبِل بِعَيْنِه. واستدلّ بقول الشاعر[٢]:

بيَ اليأسُ أَو داءُ الهُيام أصابني فإيّاكِ عنّي لَا أُصِبْكِ بدائيا

والهُيَيْماء: مَوضِع. والهَمْي من قَوْلهم: هَمَى الماءُ يَهمي هَمْيًا، إِذا سَالَ وَجرى على وَجه الأَرْض وَكَذَلِكَ هَمَى الدمعُ يَهمي، إِذا سَالَ، وهِمْيان: اسْم هِمْيان بن قُحافة، وَهُوَ بعض الرُّجّاز، وَقد سمّت الْعَرَب هِمْيان، وهامَ يَهيم هَيْمًا وهِيامًا وهَيَمانًا. وَأَرْض هَيْماء، وَهِي أَرض مَضِلَّة، وَكَذَلِكَ يَهْماء أَيْضا، إِلَّا أَن يَهْماء أَكثر اسْتِعْمَالا فِي كَلَامهم من الهَيْماء[٣].

والهيم الْإِبِل العِطاش، والهيْمان: العَطْشان، وناقة هيْمَى، مثل عطشان وعطشى، وَيُقَال الرملُ، حكاه الأخفش[٤]. وقومٌ هِيمٌ، أي: عِطاشٌ، وقوله تعالى: ﴿**فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ**﴾، هي الإبل العِطاش[٥].

---

(١) أنوار التنزيل: ١٨٠/٥.

(٢) ديوان مجنون ليلى: ٢٢٨.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة: ٩٩٥/٢، (مَهَيْتُ).

(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٢٤٦/٦، (هيم)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦٣-٢/٥، (هيم).

(٥) ينظر: مختار الصحاح: ٣٣٠/١، (هـ ي م).

واستشهد البيضاويّ ببيت من الشعر في الكشف عن معنى اللفظة، فذكر قول ذي الرُّمّة[١]:

فَأَصْبَحَتُ كَالهَيْمَاءِ لَا المَاءُ مُبْرِدٌ صَدَاهَا وَلَا يَقْضِي عَلَيْهَا هَيَامُهَا

وقيل الرمال على أنّه جمع هيام بالفتح وهو الرمل الذي لا يتماسك جُمع على هِيْم كسُحُب، ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض[٢]. وفسرها مجاهد (ت١٠٤هـ) بمعنى الإبل الظمياء[٣].

وقيل: ((هي الإبل المراض، تمص الماء مصا ولا تروى))[٤]، وقيل: الهيم: الإبل الذي يهيم في الأرض ولا يرد الماء أيامًا، ثم إذا ورد الماء فيشرب، فتمتلئ بطنه حتى يهلك؛ لامتلاء البطن[٥].

الحَرْد:

فسّر البيضاويّ كلمة (الحَرْد) الواردة في قوله تعالى: **﴿وَغَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِين﴾** [القلم:٢٥] بمعنى: النكد أو المنع، فقال: ((وغدوا قادرين على نكد لا غير، من حَارَدَتِ السَّنَة إذا لم يكن فيها مطر، وحَارَدَتِ الإِبلُ إذا منعت درها، والمعنى أنهم عزموا أنْ يتنكدوا على المساكين فتنكد عليهم بحيث لا يقدرون إلا على النكد، أو غدوا حاصلين على النكد والحرمان مكان كونهم قادرين على الانتفاع))[٦].

---

(١) ديوانه: ٢/١٠٠٠.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٥/١٨١.
(٣) ينظر: تفسير مجاهد: ٦٤٤.
(٤) جامع البيان: ٢٢/٣٤٣.
(٥) ينظر: تأويلات أهل السُّنَّة: ٩/٤٩٩، وبحر العلوم: ٣/٣٩٥.
(٦) أنوار التنزيل: ٥/٢٣٥.

حَرِدَ فهو حَرِدٌ إذا اغتاظ فتحرّشَ بالذي غاظه وهَمَّ به حاردٌ[١]، والحرْدُ بسكون الراء الغضَبُ، وأسدٌ حاردٌ، أي: غضبان[٢]، والحَرْدُ: المنع والحرْدُ الغيظُ والغضَبُ، ويجوز أنّ هذا كلّه معنى قوله: **﴿وَغَدَوْا عَلى حَرْدٍ قادِرِين﴾**[٣].

وعند تتبع المعاجم نجد ما قاله أحمد بن فارس: ((حرد، الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالدَّالُ أُصُولٌ ثَلَاثَةٌ: الْقَصْدُ، وَالْغَضَبُ، وَالتَّنَحِّي. فَالْأَوَّلُ: الْقَصْدُ، يُقَالُ حَرَدَ حَرْدَهُ، أَيْ قَصَدَ قَصْدَهُ، ... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ الْحُرُودُ: مَبَاعِرُ الْإِبِلِ، وَاحِدُهَا حِرْدٌ. وَالثَّانِي: الْغَضَبُ؛ يُقَالُ حَرِدَ الرَّجُلُ غَضِبَ حَرْدًا، بِسُكُونِ الرَّاءِ، وَيُقَالُ أَسَدٌ حَارِدٌ، كقول الشاعر[٤]:

لَعَلَّكِ يَوْمًا أَنْ تَرَيْنِي كَأَنَّمَا بَنِيَّ حَوَالَيَّ اللُّيُوثُ الْحَوَارِدُ

وَالثَّالِثُ: التَّنَحِّي وَالْعُدُولُ، يُقَالُ: نَزَلَ فُلَانٌ حَرِيدًا، أَيْ مُتَنَحِّيًا، وَكَوْكَبٌ حَرِيدٌ، قَالَ جَرِيرٌ[٥]:

نَبْنِي عَلَى سَنَنِ الْعَدُوِّ بُيُوتَنَا لَا نَسْتَجِيرُ وَلَا نَحِلُّ حَرِيدًا

وقيل: الْحَرِيدُ هَاهُنَا: الْمُتَحَوِّلُ عَنْ قَوْمِهِ، وَقَدْ حَرَدَ حُرُودًا، وَالْمُحَرَّدُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ هو الْمُعَوَّجُ، وَحَارَدَتِ النَّاقَةُ، إِذْ قَلَّ لَبَنُهَا، وَذَلِكَ أَنَّهَا عَدَلَتْ عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّرِّ، وَكَذَلِكَ حَارَدَتِ السَّنَةُ إِذَا قَلَّ مَطَرُهَا، وَحَبْلٌ مُحَرَّدٌ، إِذَا ضُفِّرَ فَصَارَتْ لَهُ حِرْفَةٌ لاعْوِجَاجِهِ))[٦].

وذكر البيضاويّ معنى آخرَ للحرد هو القصد والسرعة كقول حسان بن ثابت[٧]:

---

(١) ينظر: العين: ٣/١٨٠، (حرد).
(٢) ينظر: جمهرة اللغة: ١/٥٠١، (حرد).
(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٤/٢٣٩، (حرد)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢/٤٦٤، (حرد).
(٤) ديوان الفرزدق: ١٣٤، ورواية الديوان: فإني عسى أنْ تبصريني بنيّ حواليّ الأسود اللوابد
(٥) ديوانه: ٣٤١.
(٦) مقاييس اللغة: ٢/٥٢، (حرد).
(٧) ينظر: أنوار التنزيل: ٥/٢٣٥، والبيت في ديوان حسان بن ثابت: ٥٢٢.

أَقْبَلَ سَيْلُ جَاءَ مِنْ أَمْر الله يَحْرُدُ حَرْدَ الجَنَّةِ المُغِلَّة

وذكر أصحاب المعاجم أنّ الحرد يأتي بمعنى القصد، قال ابن دريد: ((والحَرْدُ القصدُ للشيء))[١].

واختلف المفسرون في معنى الحرْد في هذا الموضع، فقال بعضهم: معناه: على قُدْرة في أنفسهم وجدّ. وقال آخرون: بل معنى ذلك: وغدوا على أمرهم قد أجمعوا عليه بينهم، واستسرّوه، وأسرّوه في أنفسهم، وقيل: بل معنى ذلك: وغدوا على فاقة وحاجة او على حنق يعني: على غضب[٢].

وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة يتأوَّل ذلك: وغدوا على منع، ويوجهه إلى أنّه من قولهم: حَارَدَتِ السَّنةُ إذا لم يكن فيها مطر، وحَارَدَتِ الناقةُ إذا لم يكن لها لبن، وصرح الطبري بأنَّ هذا القول لا يُعلم له قائل من متقدمي العلم وإن كان له وجه، فإذا كان ذلك كذلك، وكان غير جائز أنْ يتعدّى ما أجمعت عليه الحجة، فما صحّ من الأقوال في ذلك إلا أحد الأقوال التي ذُكرت عن أهل العلم، وكان المعروف من معنى الحرد في كلام العرب القصد من قولهم: قد حَرَد فلان حَرَد فلان إذا قصد قصده، فيصح الذي هو أولى بتأويل الآية قول من قال: معنى قوله: ﴿**وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ**﴾ وغدوا على أمر قد قصدوه واعتمدوه، واستسرّوه بينهم، قادرين عليه في أنفسهم[٣]. فنلحظ أنّ الطبري استعان بالمعنى المعجمِيّ لتفسير اللفظة.

وقال الآلوسيّ (ت١٢٧٠هـ): ((والمراد بالحرد حرد الجنة جيء به مشاكلة للحرث كأنه لما قالوا: اغْدُوا عَلى حَرْثِكُمْ، وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله تعالى بأنْ حَارَدَت جنتهم وحرموا خيرها، فلم يغدوا على حرث، وإنّما غدوا على حرد وقادِرِينَ من عكس الكلام

(١) جمهرة اللغة: ١/٥٠٠، (حرد).
(٢) ينظر: جامع البيان: ٢٣/٥٤٧.
(٣) ينظر: جامع البيان: ٢٣/٥٤٨، و٥٤٩.

للتهكم أي قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين. وقيل: الحرَد بفتح الراء، وقد قُرئ به[١]، وهو بمعنى الغيظ والغضب، أي لم يقدروا إلّا على إغضاب بعضهم لبعض، كقوله تعالى: ﴿**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ**﴾ [القلم:٣٠]، وقيل بمعنى القصد والسرعة))[٢].

مُؤْصَدَةٌ:

أوضح البيضاويّ معنى لفظة (مُؤْصَدَةٌ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ**﴾[الهمزة:٨]، قال: ((إِنَّها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ مطبقة، من أوصدت الباب إذا أطبقته))[٣]، والمشتقة من وَصَدَ بمعنى أغلق.

وجاءت اللفظة في المعاجم تحمل معنى الإطباق في كل شيء بإحكام، وإلى هذا النحو ذهب الخليل[٤]، قال ابن فارس: ((الْوَاوُ وَالصَّادُ وَالدَّالُ: أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى ضَمِّ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ))[٥].

ومن أجل توضيح الأصل اللّغويّ للفظ استعان البيضاويّ ببيت شعري[٦]:

تحن إلى أجبال مكة ناقتي وَمَنْ دُونِهَا أبواب صنعاء مُوصَدَة

وذكر ابن قتيبة أنّ معنى (إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ) أي مُطْبَقَة مُغْلَقَة، وأصله أنْ تلصق الباب بالعتبة إذا أغلقته[٧].

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٢٤٣/١٨.
(٢) روح المعاني: ٣٦/١٥.
(٣) أنوار التنزيل: ٣٣٧/٥.
(٤) ينظر: العين: ١٤٥/٧
(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ١١٧/٦
(٦) لم نهتد إلى قائله، وهو في الكشاف: ٧٩٦/٤، والبحر المحيط: ٤٧٩/١٠.
(٧) غريب القرآن: ٢٦٤.

وقال ابن خالويه (ت٣٧٠هـ): ((مؤصدة: نعت للنار. فمن همز أخذه من آصدتُ، أي: أطبقتُ، ومن لم يهمز أخذه من أوصدتُ))[١].

وبهذا نلحظ أنّ البيضاويّ اتّبع ما جاء به أهل اللغة في بيان المعنى اللّغويّ للفظة، ودعم ذلك المعنى عن طريق الاستدلال بالشعر الذي يُعدّ من أكثر ما استعمله في بيان المعنى المعجمِيّ للألفاظ.

(١) إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم: ٩٥.

مدخل:

في هذا الفصل سيكون الحديث عن التّقْنيّات الإجرائية والآليات التطبيقيّة التي مارسها البيضاويّ في مدونته التفسيريّة، وبدا –في ضوء الاستقراء– أنّ ثمّة ثلاث تِقْنيّات استعملها البيضاويّ، وهي: الأثر المعجميّ في تحديد البنية الصّرفيّة للمفردة القرآنيّة، والقياس على الضدّ والنظير (المِثل والمُساوي)، واصطفاء المعنى من مجموعة معانٍ.

المبحث الأول

الأثر المعجمِيّ في تحديد البناء الصّرفيّ للمفردة القرآنية

ترتبط الصّيغ الصّرفيّة في العربيّة بمعان صرفيّة وظيفيّة، فالبنية الصّرفيّة للاسم تختلف عن بنية الفعل، فالدّلالة على الاسميّة وظيفة لصيغ صرفيّة معيّنة تحمل علامات خاصّة بهذا المعنى، وكذلك الفعليّة، فهي وظيفة لصيغ صرفيّة تتحقّق في جملة من المباني، وتحمل علامات خاصّة بمعنى الفعليّة.

وهناك جملة من المعاني الّتي تتفرّع عن وظيفة الاسميّة الصّرفيّة، فصيغة المفرد تختلف عن صيغة المثنّى، وتختلف عن صيغة الجمع، ولكلّ منها علامة تميّزها، وكذلك تختلف صيغة التّأنيث عن صيغة التّذكير، والحديث عن الأسماء من المشتقّات يوضّح تلك الوظائف الصّرفيّة الدّلاليّة، فاسم الفاعل له صيغ محدودة تدلّ عليه، وكذلك صيغ المبالغة، والصّفة المشبّهة، واسم المفعول، واسم التّفضيل، وبقيّة المشتقّات.

وإذا انتقلنا إلى وظيفة الفعليّة الصّرفيّة نجد أنّ تقسيم أكثر النّحويين الأفعال على ماض، ومضارع، وأمر يعبّر عن بعد دلاليّ واضح، وهناك علامات خاصّة للفرق بين وظيفة البناء للمجهول ووظيفة البناء للمعلوم، وقد تحدّث النّحويون كثيرًا عن معاني

أبنية الأفعال، وأنّ هذه الصّيغ الفعليّة مرتبطة بدلالات معيّنة، فـ(اسْتَفْعَلَ) للدّلالة على الطّلب، و(انْفَعَلَ) للدّلالة على المطاوعة، و(أَفْعَلَ) للدّلالة على التّعدية، وغير ذلك.

وقد تنبّه علماء العربيّة على هذا الارتباط بين الصّيغ الصّرفيّة والمعنى، ومنهم الخليل وسيبويه، فهما أوّل من أشارا إلى هذه العلاقة، قال سيبويه: ((ومن المصادر الّتي جاءت على مثال واحد حين تقاربت المعاني قولك: النّزَوَان والنّقَزَان، وإنّما هذه الأشياء في زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ومثله العَسَلان))[١]، وبيّن ابن جنّي بعد ذلك أنّ هذا المعنى مرتبط بالمصادر الّتي جاءت على (فَعَلان)[٢].

وكان ابن جنّي أكثر العلماء بحثًا في العلاقة بين الصّيغة الصّرفيّة والمعنى، ووجد أنّ في العربيّة صيغًا صرفيّة ترتبط بمعان محدّدة، قال: ((ووجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سمت ما حدّاه ومنهاج ما مثّلاه، وذلك أنّك تجد المصادر الرّباعيّة المضعّفة تأتي للتّكرير نحو: الزّعزعة[٣]، والقلقلة[٤]، ووجد أيضًا (الفَعَلَى) في المصادر والصّفات إنّما تأتي للسّرعة نحو: البشكى..))[٥]، ويرى ابن فارس أنّ العرب قد فرّقت بين المعاني بالحركات، فجعلت صيغة (مَفْعَلٍ) بفتح الميم للمكان، وبكسر الميم للآلة، قال: ((وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها، فهم يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني، يقولون: مِفْتح للآلة الّتي يفتح بها، ومَفْتح لموضع الفتح، ومِقَصّ لآلة القصّ، ومَقَصّ للموضع الّذي يكون فيه القصّ، ومِحْلب للقدح يحلب فيه، ومَحْلب للمكان يُحْتَلب فيه ذوات اللّبن))[٦].

---

(١) الكتاب: ١٤/٤.

(٢) ينظر: الخصائص: ١٥٥/٢.

(٣) ينظر: لسان العرب: ١٤١/٨(زعع): (الزعزعة تحريك الشيء زعزعه زعزعة فتزعزع حركه ليقلعه).

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٥٦٧/١١، (قلل): (القلقلة والتّقلقل: قلّة الثّبوت في المكان).

(٥) الخصائص: ١٥٥/٢، وينظر: الكتاب: ١٤/٤.

(٦) الصّاحِبي في فقه اللّغة: ١٤٣-١٤٢.

وقد وضع ابن فارس في كتابه الصّاحبي بابا سمّاه باب الأبنية الدّالّة في الأغلب الأكثر على معان وقد تختلف، وجعل منها ما جاء على (الفَعَلانِ) من المصادر للحركة والاضطراب، و(فَعِلَ) من الأفعال، فهو يكون في الوجع، و(أَفْعَلُ) في الصّفات يكون في الألوان، و(افْعَلَّ) للعيوب والأدواء، و(الفُعَالُ) و(الفَعِيْلُ) للأدواء والأصوات، و(الفِعَالَةُ) في الصّناعة، وغير ذلك(١).

إذًا أجد من بعد البحث أنّ للمعاني الصّرفيّة أثرًا واضحًا في فهم النّصّ القرآنيّ، فإذا تعدّدت المعاني للصّيغة الصّرفيّة –كما يقول النّحويون– تدلّ على معان، منها التّكثير والتّعدّية وسرعة وقوع الفعل والاختصار؛ ولابد أن تحلّ الكلمة إلى عنصرين؛ لأنّ معناها مركّب، من معنى المادّة الّذي يسمى (المعنى الاشتقاقيّ)، ومعنى الصّيغة الّذي يسمّى (المعنى الصّرفيّ)، فيكون لكلّ عنصر منهما أثر في كون الكلمة أعمّ من معنى كلمة أخرى او أنّ يكون أعمّ أو أخصّ، فاختلاف المعاني الصّرفيّة العربيّة يؤدّي إلى اختلاف فهم المفسّرين في تفسير النّصّ القرآنيّ.

ولاحظت أنّ ذلك يكون لحكمةٍ هي أداء المعنى القرآنيّ الّذي يراد الإشارة إليه، وهو في الوقت نفسه إشارة إلى اختلاف المعاني تبعا لاختلاف البِنْيَة الصّرفيّة بالملازمة، ذلك بأنّ المعنى الصّرفيّ خدم المعنى القرآنيّ.

فلا يكتفي البيضاويّ بذكر اللّفظ في اللّغة وإنّما يدعم هذا بتوضيح للبناء الصّرفيّ للّفظ فيذكر البناء الصّرفيّ لبعض الألفاظ، فمثلًا أمّا يذكر اشتقاق اللّفظة أو الوزن الصّرفيّ لها أو ما يصيب الألفاظ من إعلال وإقلاب في أثناء بيان معناها اللّغويّ .

وسأورد في هذا المبحث بعضًا من الألفاظ الّتي وضح معناها عن طريق ذكر البناء الصّرفيّ لها.

(١) ينظر: الصّاحِبي في فقه اللّغة: ١٧١–١٧٢.

الحُجُرَات:

تبين لنا أنّ البيضاويّ لا يكتفي بذكر اللفظ في اللغة وإنّما يدعم هذا بذكر البناء الصرفيّ للفظ ووزنه، ويأتي –أحيانًا– بشاهد على هذا البناء؛ ليعزز المعنى في ذهن القارئ ومن ذلك لفظ الحجرات من قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾[الحجرات:٤]، قال البيضاويّ: ((بفتح الجيم، وسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهي القطعة من الأرض المحجورة بحائط، ولذلك يقال لحظيرة الإبل حجرة))[١]. وإلى مثل هذا ذهب علماء اللّغة في قولهم الحجرة الحائط يحجر على دار أو غيرها والجمع حُجُراتٌ وَحَجَر[٢].

والحُجْرة: بيت يتّخذ للإبل من الحجار والجمع حجر، والحجار حائطها وقد احتجر القوم واستحجروا – اتّخذوا حجرة[٣]، كذلك الحجر: (محجر العين)، وهو ما دار بها[٤].

وعزز البيضاويّ المعنى بذكر البناء الصّرفيّ للّفظ، قال: ((وهي فُعْلة بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة))[٥].

فالبيضاويّ عندما قال: وثلاثتها جمع حجرة؛ لأنّ جمع القلّة يدلّ حقيقة على ثلاثة فما فوقها إلى العشرة[٦].

وإذا فتّشنا في كتب التّفسير نجد أنّ الزّمخشريّ ذكر أنّ الحجرة ((هي الرّقعة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الإبل تسمّى حُجْرةً))[٧].

---

(١) أنوار التنزيل: ١٣٤/٥.
(٢) ينظر: جمهرة اللغة: ٤٣٦/١ (حجر)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦٢٣/٢، (حجر).
(٣) ينظر: المخصص: ٥١٢/١.
(٤) ينظر: تاج العروس: ٥٣٢/١٠ (حجر).
(٥) أنوار التنزيل: ١٣٤/٥.
(٦) ينظر: درج الدرر: ٧٢/١.
(٧) الكشاف: ٣٥٧/٤

فالحُجْرة فُعْلة بمعنى مفعول كالغرفة بمعنى المغروف[١]، وذهب البيضاويّ إلى أنّ المراد حجرات نساء النّبيّ (صلى الله عليه وآله) وفيها كناية خلوته بالنّساء ومناداتهم من ورائها، أمّا بأنّهم أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها، أو بأنّهم تفرّقوا على الحجرات متطلبين له[٢].

ويرى الزّمخشريّ أنّ المراد حُجُرات نساء النّبيّ، وكانت لكلّ واحدة منهنّ حجرة، وجمعت على حجرات إجلالًا لرسول اللّه تعالى، وإنْ كان مسندًا إلى جميعهم فإنّه يجوز أنْ يتولّاه بعضهم مع بعضهم[٣].

فالمعنى المعجمِيّ ساعد على بيان الوزن الصرفيّ للمفردة، فالبيضاويّ عندما بيّن معنى (الحجرة) لغويًا أكد ذلك المعنى بذكر الوزن الصّرفيّ لها وهو (فُعْلَهُ)، لأنّ الحجرة هي قطعة مأخوذة من شيء كالغُرْفَة على وزن (فُعْلَهُ) التي هي كالغرفة من الماء، والقبضة من الشيء وأشباههما.

الغِشَاوَة:

قال البيضاويّ في بيان معنى الغشاوة الواردة في قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾[البقرة:٧]: ((الغِشاوة: فِعالة من غشّاه إذا غطّاه))[٤].

وإلى مثل هذا ذهب علماء اللّغة، فالغشاوة: ما غشي القلب من الطّبع، والغشاء: الغطاء، وغاشية السّرج: غطاؤه، والرجل يستغشي ثوبه كي لا يسمع ولا يرى، والغاشية:

(١) ينظر: إسفار الفصيح: ٦٩٥/٢.
(٢) ينظر: أنوار التنزيل: ٤٢/١.
(٣) ينظر: الكشاف: ٣٥٧/٤.
(٤) أنوار التنزيل: ٤٢/١.

السّؤال الّذين يغشونك يرجون فضلك ومعروفك، والغاشية: اسم من أسماء القيامة في القرآن، والغشيان كناية عن إتيان الرّجل المرأة، والفعل غشيها يغشاها غشيانًا(١).

وزاد الأزهريّ أنّ معنى غشاوة في قوله تعالى: ﴿**وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ**﴾، قرئ: (غشْوة) كأنّه ردّ إلى الأصل؛ لأنّ المصادر كلها تردّ إلى فِعْلَة، والقراءة المختارة غشاوة، وكلّ ما كان مشتملا على الشّيء فهو مبنيّ على فِعالة نحو: الغِشاوة والعِمامة والعِصابة، وكذلك أسماء الصناعات لاشتمال الصّناعة على كلّ ما فيها نحو الخياطة والقصارة(٢).

وزاد البيضاويّ ((بنيت لما يشتمل على الشّيء، كالعصابة والعمامة ولا ختم ولا تغشّيه على الحقيقة، وإنّما المراد بهما إن يحدث في نفوسهم هيأة تمرنهم على استحباب الكفر والمعاصي، واستقباح الإيمان والطّاعات بسبب غيّهم، وانهماكهم في التّقليد، وإعراضهم عن النّظر الصّحيح، فتجعل قلوبهم بحيث لا ينفذ فيها الحقّ، وأسماعهم تعاف استماعه فتصير كأنّها مستوثق منها بالختم))(٣). وذكر بعض العلماء أنّ صيغة فِعَالة تستعمل للدّلالة على الحرفة والولاية(٤).

وقيل: إنّها تدلّ على المبالغة ((بالمداومة والاستمرار والكثرة، والحرفة لابدّ فيها من المبالغة؛ ولكنّ معنى المبالغة أشمل؛ لأنّ ثمّة مصادر على هذه الصّيغة لا تكون للحرفة؛ وإنّما هي للمبالغة))(٥).

وقال الزّجّاج: ((غشاوة: كلّ ما كان مشتملا على الشّيء فهو في كلام العرب مبنيّ على (فِعَالة) نحو الغشاوة، والعمامة، والقلادة والعصابة، وكذلك أسماء الصّناعات

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ١٤٥/٨ (غ ش).
(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٤٥/٨ (غ ش).
(٣) أنوار التنزيل: ٤٢/١.
(٤) ينظر: الكتاب: ١١/٤، والأصول في النحو: ٩٢/٣، والشافية: ٢٦.
(٥) العموم الصرفي في القرآن الكريم: ١٧.

لأنّ معنى الصّناعة الاشتمال على كلّ ما فيها نحو الخياطة والقصارة، وكذلك على كلّ من استولى على شيء ما استولى عليه الفعالة نحو الحلاقة والإمارة))[١].

فالمعنى اللّغويّ يساعد على بيان البناء الصّرفيّ للمفردة، والعكس صحيح، فقد تنبّه البيضاويّ على ذكر البناء الصّرفيّ، كي يدعم المعنى اللّغويّ للمفردة، فالغشاوة وزنها فِعَالة التي تدلّ على المبالغة فِي مَدَى كُفْرِهِم وعصيانهم.

الذُّرِّيَّة:

بيّن البيضاويّ البناء الصّرفيّ في أثناء بيانه المعنى اللّغويّ للفظة (الذّريّة) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ**﴾[البقرة:١٢٤]. إذ قال: ((الذّريّة نسل الرّجل، فُعْلِيّة أو فُعْوِلّة قلبت راؤها الثّانية ياءً كما في تقضيت. من الذّرّ بمعنى التّفريق، أو فُعُوْلَة أو فُعِّلْيَّة قلبت همزتها من الذّرة بمعنى الخلق))[٢].

وقال صاحب جمهرة اللّغة: ((الذّرء: مصدر ذَرأ اللّهُ الخلقَ يذرؤهم ذرءًا، وقد يترك الهمز فيقال: الذّرو ... وذَرَى الرجلُ الحبَّ وغيره يذرّوه ويذريه ذروًا وذريًا، وذروة: موضع. وذروة كلّ شيء: أعلاه، والمذروان: طرفا الأليتين، ولا يكادون يفردونه. ويقال: جاء الرجل ينفض مذرويه، إذا جاء متهدّدًا. قال الشّاعر[٣]:

أحَولي تَنفُضُ استُكَ مِذرَوَيها لِتَقتُلَني فَها أَنا ذا عُمارا

والمذروان: مؤخّر الرّأس في بعض اللّغات. والوذر: فدر اللّحم، الواحدة وذرة، والجمع وذر))[٤].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٨٣/١.

(٢) أنوار التنزيل: ١٠٤/١.

(٣) ديوان عنترة: ٦٤.

(٤) جمهرة اللغة: ٦٩٥/٢، (ذرأ).

كذلك قال الأزهريّ: ((والذّرّيّة من ذرأ اللّه الخلق أي خلقهم، وقال أبو إسحاق النّحويّ: الذّرّية غير مهموز، قال: وفيها قولان، قال بعضهم: هي فُعْلِيّة من الذّر، لأن اللّه تعالى أخرج الخلق من صلب آدم كالذّر حين أشهدهم على أنفسهم:﴿**أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى**﴾[الْأَعْرَاف:١٧٢]. وقيل: أصلها ذرّورة على وزن فُعْلُولَة، ولكن التّضعيف لما كثر أبدل من الرّاء الأخيرة ياء، فصارت ذرّوية ثمّ أدغمت الواو في الياء فصارت ذرّية؛ قال: والقول الأوّل أقيس وأجود عند النّحويين))[١].

وقال الطبريّ: ((الذّريّة: الفُعْلِيّة، من قول القائل: ذرأ اللّه الخلق، بمعنى خلقهم، فهو يذرؤهم، ثمّ ترك الهمزة فقيل: ذرأ الله، ثمّ أخرج الفعليّة بغير همز، على مثال العبّيّة))[٢].

وزاد بأنّ معنى الذرية في كلام العرب: أنّها أعقاب من نسبت إليه من قبل الرّجال والنّساء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ**﴾ [الْإِسْرَاء:٣]، ومثما قال: ﴿**وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ**﴾ ،ثمّ قال بعد: ﴿**وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ**﴾[الْإِنْعَام:٨٤،٨٥]، فجعل من كان من قبل الرّجال والنّساء من ذرّيّة إبراهيم[٣].

وفسّر أبو بكر الأنباريّ (ت٣٢٨هـ) معنى الذّرّيّة فقال: ((الذرية: الأولاد وأولاد الأولاد، والذّرّيّة فيها ثلاثة أوجه: **الأوّل**: أن تكون مأخوذة من: ذرأ اللّه الخلق، فيكون أصلها: ذروءة، ترك همزها، وأبدل من الهمزة ياء، فصارت: ذُرْوِية، فلمّا اجتمعت الياء والواو، والسّابق ساكن، أبدل من الواو ياء، وأدغمت في الياء الّتي بعدها، وكسرت الرّاء لتصبح الياء. والثّاني: أن تكون منسوبة إلى الذّر. والثّالث: أن تكون مأخوذة من ذروت، فتكون: فُعْلُولة، ويكون أصلها: ذُرّوْرة فأبدل من الرّاء الّتي بعد الواو ياء، وأبدل

(١) تهذيب اللغة: ١٤/٢٩١، (ذرأ).
(٢) جامع البيان: ١٢/١٢٧.
(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٥/١٦٦.

من الواو ياء، وأدغمت في الياء الّتي بعدها. ومن العرب من يكسر الذّال فيقول: هؤلاء ذرّيّة فلان، قال اللّه عزّ وجلّ: ﴿**ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنا مَعَ نُوحٍ**﴾[الإسراء:٣]، وقرأ زيد بن ثابت (ذرّيّة من حملنا مع نوح) بفتح الذّال وتخفيف الرّاء؛ فأخرجها مخرج: البريّة))[١].

كذلك ذكر ابن جنيّ أنّ الذّريّة أخذت من الذّرّ وتحتمل خمسة أوجه: الأوّل: أن يكون فُعْلِيّة كبُخْتِيّة وقُمْرِيّة. الثّاني: أن تكون منسوبة إلى الذّرّ، إلّا أنّه غير أوّلها؛ لما قد يعرض من التّغيير لياءي الإضافة، كقولهم في الإضافة إلى أمس: أمسي، وإلى الأفق: أفقي، والثّالث: أن تكون ذرّيّة فعّيلة كمرّيقة؛ إلّا أن أصلها ذرّيرة على هذا، فلمّا كثرت الراءات أبدلوا الآخرة ياء وأدغموا فيها ياء فعّيلة الّتي قبلها، ونحو منه ممّا أبدل فيه أحد الأمثال ياء هربًا من تكريرها قولهم: قصّيتُ أظفاري، وتفضّيت من الفضّة وأصل قَصّيْتُ أظفاري قَصَصْتُ، ويمكن أنْ يكون أخذت من أقاصيها فلا يكون مبدلًا، وأصل تقضيت تقضّضت، وقالوا: فأبدالوا مع الاثنين في أمللت الكتاب: أمليت، يريد: أملّه، فأبدلوا الثّاني منها ياءً للتكرير، ثمّ أبدلت الياء ألفًا؛ فصار أملاه، فأصل ذرّيّة على هذا ذرّيرة فعّيلة كمرّيقة، فأبدلت الرّاء الأخيرة لما ذكرنا ياء، وأدغمت فيها ياء فعّيلة؛ فصارت ذرّيّة. والرّابع: أن تكون فُعّولة كجُبّورَة وكسُبّوح وقُدّوس، وأصله على هذا ذرّورة، فأبدلت الرّاء الأخيرة –لما ذكرنا من اجتماع الأمثال– ياءً؛ فصارت ذرّوية، ثمّ أبدلت الواو؛ لوقوعها ساكنة قبل الياء ياء والضّمّة قبلها كسره، وأدغمت في الياء المبدّلة من الرّاء؛ فصارت ذرّية[٢].

وبهذا نلحظ أنّ البيضاويّ يتّفق مع اللّغويّين والمفسّرين في بيان أصل اللّفظة فهو يختصر للقارئ ما أصاب اللّفظة من إعلال أو إقلاب بإرجاعها إلى أصلها وبيان

(١) الزاهر في معاني كلمات الناس: ١١٥/٢.
(٢) ينظر: المحتسب: ١٥٦/١.

معناها السّابق والمعنى الجديد لها؛ لأنّ الزّيادة في المبنى تؤدّي إلى زيادة في المعنى والعكس صحيح.

أَوَّلَ:

أوضح البيضاويّ أصل لفظة (أوّل) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَآمِنُوا بِما أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِما مَعَكُمْ وَلا تَكُونُوا أَوَّلَ كافِرٍ بِهِ وَلا تَشْتَرُوا بِآياتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ** ﴾ [البقرة:٤١]، فقال: ((أوّل (أفْعَل) لا فعل له، وقيل: أصله أوأل من وأَل، فأبدلت همزته واوًا تخفيفًا غير قياسيّ أو أأول من آل فقلبت همزته واوًا وأدغمت))[١].

ومعناها المعجمِيّ عند أهل اللّغة: آلَ يَئِلُ لا يطّرد في سَعَة المعاني اطّراد آل يؤول إليه، إذا رجع إليه، تقول: طبخت النّبيذ والدّواء فآل إلى قدر كذا وكذا، إلى الثّلث أو الرّبع، أي: رجع. والآل: السّراب. وآل الرّجل: ذو قرابته، وأهل بيته. وآل البعير: ألواحه وما أشرف من أقطار جسمه، قال الأخطل[٢]:

مِنْ اللّواتي إذا لانَتْ عَرِيكَتُها يَبْقَى لَها بَعْده آلٌ ومجلودُ

وآل الخيمة: عمدها، وآل الجبل: أطرافه ونواحيه[٣].

وألّ يئلّ ويؤلّ أليلًا وألاّ، والأليلة: الاسم، وهو ما يجد الإنسان من وجع الحمّى ونحوها في جسده دون الأنين، وألّ الرّجل يَؤلّ ويَئِلّ ألًّا إذا أسرع، وألّ لونه يؤلّ ألًّا، إذا صفا وبرق. والألّة: أداة الحرب، وكلّ الأدوات التي يعمل بها ألّة. والألّة: الحربة ونحوها من الأسنّة التي تتّخذ على هيأة رأس الحربة، والجميع: الألّ والإلال[٤]، قال

(١) أنوار التنزيل: ١ /٧٦.
(٢) ديوانه: ٩٨/١.
(٣) ينظر: العين: ٣٥٩/٨.
(٤) ينظر: التبيان في إعراب القرآن،٣٦١/٨.

سيبويه: ((وأمّا أوّل فهو أَفْعَل. يدلّك على ذلك قولهم: هو أوّل منه، ومررت بأوّل منك))[١].

وعند التّوجّه تلقاء المفسّرين نجد أنّ ابن عطيّة يذكر ما قاله أهل اللّغة، قال: ((قال سيبويه: أوّل افعل لا فعل له؛ لاعتلال فائه وعينه، وقال غير سيبويه: هو أوال من وال إذا نجا، خفّفت الهمزة وأبدلت واوًا وأدغمت، وقيل: إنّه من آلَ فهو أأول، قلب فجاء وزنه أعفل، وسهل وأبدل وأدغم، ووحّد كافر وهو بنيّة الجمع لأنّ أَفْعَلَ إذا أضيف إلى اسم متصرّف من فعل جاز إفراد ذلك الاسم، والمراد به الجماعة)) [٢].

واستشهد بقول الشّاعر[٣]:

وَإِذَا هَمَّ طَعِمُوا فَالْأُمّ طَاعِم وَإِذَا هَمَّ جَاعُوا فشرّ جِيَاعٌ

وزاد ابن عطية أنّ سيبويه يرى أنّها نكرة مختصرة من معرفة كأنّه قال ولا تكونوا أوّل كافرين به وقيل معناه: ولا تكونوا أوّل فريق كافر به[٤].

وذكر العُكبريّ (ت٦١٦هـ) ما قاله سيبويه أيضًا وبعض الكوفيّين، كالّذي ذكره ابن عطيّة وأضاف على ذلك بقوله (((أوّل): تأنيثها أولى، وأصلها (ولّى) فأبدلت الواو همزة لانضمامها ضمًّا لازمًا، ولم تخرج على الأصل كما خرج وقّتت ووجوه، كراهية اجتماع الواوين))[٥].

(١) الكتاب: ١٩٥/٣.
(٢) المحرر الوجيز: ١٣٤/١.
(٣) ينظر: نوادر أبي زيد: ١٥٢، لرجل جاهلي، ومعاني القرآن للفراء ٣٣/١.
(٤) ينظر: المحرر الوجيز: ١٣٤/١.
(٥) التبيان في إعراب القرآن: ٥٧/١.

وقال بعض الكوفيّين: ((أصل الكلمة من وَأَلَ يَئِلُ إذا نجا، فأصلها أوأل، ثمّ خفّفت الهمزة بأن أبدلت واوا، ثمّ أدغمت الأولى فيها، وهذا ليس بقياس، بل القياس في تخفيف مثل هذه الهمزة أنْ تلقى حركتها على السّاكن قبلها وتحذف))[1].

كما توقف عند هذه اللفظة صاحب الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد قال:((أوْل) وزنه (أَفعَلُ)، والهمزة فيه مزيده بدلالة أنّه لا يخلو من أنّ يكون أفعلا، أو فَوْعلًا، أو فَعّلًا . فلا يجوز أن يكون فَوْعلًا ولا فَعّلًا، لأجل أنّك تقول: هذا أوّل من هذا، فتتّصل به (من)، كما تتّصل بأفعل الّتي للتّفضيل في قولك: هو أفضل من زيد، وذلك لا يكون إلّا في مثال (أفعَلَ)، وإذا كان كذلك ثبت أنّ الهمزة فيه مزيدة، وإنَ وزنه ما ذكرت، وهو إذا كان اسمًا ينوّن، فيقال: ما تركت له أولًا ولا آخرًا، كما تقول: لا قديمًا ولا حديثًا، لأنّه إذا كان اسما لم يكن فيه إلّا سبب واحد، وهو وزن الفعل. وإذا كان وصفا لم ينوّن، نحو قولك: مررت برجل أوّل منك، لأنّ فيه الوصف ووزن الفعل ... وقيل: أفعل من آلَ يَؤُوْلُ، وأصله (آول) ثمّ قلبت بأن جعل الفاء مكان العين، والعين مكانه، وفعل به ما فعل بالوجه الّذي قبله من القلب والإدغام، فوزنه على هذا أعفَلُ))[2].

وهنا يتبين لنا أنّ البيضاويّ يتفق مع اللّغويّين والمفسّرين في إيراد أصل اللّفظة وبيان البنية الصّرفيّة لها إذ التزم بالتّحليل الدّقيق للصيغة الصّرفيّة لتوضيح أثرها في الكشف عن المعنى.

(١) التبيان في إعراب القرآن للعكبري: ٧٦/١.
(٢) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢٤٣/١.

الرِّبَاط:

أوضح البيضاويّ المعنى اللّغويّ للفظة (الرّباط) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ**﴾ [الأنفال:٦٠]. قال: ((رِبَاط: الخيل اسم للخيل الّتي تربط في سبيل اللّه، (فِعَال) بمعنى (مَفْعول) أو مصدر سمّي به يقال: رَبَط رَبْطًا ورِبَاطًا ورَابَط مُرَابَطةً ورِبَاطًا، أو جمع رَبِيط كفَصِيل وفِصَال))[١].

قال الصّاحب بن عبّاد (ت٣٨٥هـ): ((الرِّباط: الشيء الّذي يربط به، والجميع الرّبط، رَبط يَربِط ويربط ربطًا. والرّباط: ملازمة ثغر العدو، ورجل مرابط. والمرابطات: جماعة الخيول الّذين رابطوا. وقوله عزّ وجلّ: ﴿**اصْبِرُوْا وَصَابِرُوْا وَرَابِطُوْا**﴾[آل عمران:٢٠٠]، من رباط الجهاد. وقيل: واظبوا على الصلاة في مواقيتها، والرّباط: المداومة على الشيء وجمعها الرّبط. وربط الله وجعه عنه: أي أبرأه من مرضه. وفلان رابط الجأش. وربط جأشه: اشتد قلبه. ومنه قولهم: ربط الله على قلبه بالصّبر. لاذا وضع التمر في الجرار فصب عليه الماء فهو: الربيط. والمترابط من الماء: الذي لا يخرج من مجتمعه))[٢].

وقد ذكرها ابن درستويه (ت٣٤٧هـ) في كتابه باب فَعلت بفتح العين إذ قال: ((ربط يربط، فهو بمعنى شدّ الحبل والخيط ونحوهما، إذا عقد عليه وقد يقال ذلك في القلب السّاكن ألم؛ يقال: قد ربط جأشه. ويقال للمصاب: ربط اللّه على قلبك، ومنه ارتباط الخيل، وهو اقتناؤها، وحبسها ورباطها، ومنه قول الشّاعر[٣]:

---

(١) أنوار التنزيل: ٦٥/٣.

(٢) المحيط في اللغة: ٣١٩/٢.

(٣) لم اهتدِ لقائله كذلك ورد في: أساس البلاغة: ٣٣١/١.

فِينَا رِبَاط جِيَادِ الْخَيْلِ مُعَلِّمِه وَفِي كُلَيْب رِبَاط اللَّوْم

وإنّما ذكره؛ لأنّ في مستقبله لغتين، وهما: الضّمّ والكسر والعامّة تختار الضّمّ، والفصحاء لا يكادون يقولونه إلّا بالكسر لخفّته؛ فلذلك اختار الكسر، وليس الضّمّ بخطأ))[1].

وجاء في المخصّص لابن سيّده (ت٤٥٨هـ) إذ ذكر ما قاله أهل اللّغة في بيان معنى الرّباط، فقال: ((ربطت الدابةّ أربطها، وأربطها ربطًا وارتبطتها، ودابة ربيط مربوطة، نعم الرّبيطة هذا يعني الفرس، والمربط والمربطة ما ربط به وقيل: المَرْبَط بالفتح موضع ربطها وهذا غير قويّ إنّما والمِربَط بالكسر كذلك حكاه سيبويه، وهو القياس، وقيل: الرّباط الخمسة من الخيل فما فوقها، ومنه الرّباط والمُرابطة لملازمة ثغر العدوّ وأصله أن يربط كلّ واحد من الفريقين خيله ثمّ صار لزوم الثّغر رباطًا، وربّما سمّيت الخيل أنفسها رباطًا))[2]، وقوله تعالى: ﴿**وصَابِرُوا ورَابِطُوا**﴾ [آل عمران:٢٠٠]: قال الرازيّ (ت٦٠٦هـ): ((وأصل الرّباط من الرّبط وهو الشّدّ، يقال: لكلّ من صبر على أمر ربط قلبه عليه، وقال آخرون: الرّباط هو اللّزوم والثّبات، وهذا المعنى أيضًا راجع إلى ما ذكرناه من الصّبر وربط النّفس، ثمّ هذا الثّبات والدّوام يجوز أن يكون على الجهاد، ويجوز أن يكون على الصّلاة واللّه أعلم))[3].

وجاء في تفسير الهمذانيّ (ت٦٤٣): ((الرباط: اسم للخيل الّتي تربط في سبيل اللّه، ويقال: لفلان رباط من الخيل، كما تقول: تلاد، وهو أصل خيله، والرّباط أيضا: المرابطة، وهو ملازمة ثغر العدوّ))[4].

---

(١) تصحيح الفصيح وشرحه : ٥٥.

(٢) المخصص: ٢ /١٠٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ٩/٤٧٤.

(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد : ٣/٢٢٣.

أمّا المحدَثون فقال محيي الدّين درويش: ((ربطه ربطًا –من باب ضَرَب ومن باب قَتَل– لغة شدّة، والرّباط ما يربط به القربة وغيرها، والجمع ربط مثل كتاب وكتب، ويقال للمصاب: ربط اللّه على قلبه بالصّبر، كما يقال: أفرغ اللّه عليه الصّبر أي الهمّة، والرّباط اسم من رابط مرابطة– من باب قاتل– إذا لازم ثغر العدوّ، والرّباط الّذي يبنى للفقراء، مولد ويجمع في القياس على ربط بضمّتين ورباطات ونرى أنّ المطابق للقوّة الّتي هي الرّمي أن يكون الرّباط على بابه واللّه أعلم))[1].

نلحظ من ذلك أنّ البيضاويّ وافق أهل اللّغة والمفسرين في الكشف عن معنى اللّفظة وبيان البناء الصّرفيّ لها لما له أثر في بيان معنى اللّفظة.

الصَّيِّب:

بيّن البيضاويّ المعنى اللّغويّ للفظة (الصيّب) الواردة في قوله تعالى: ﴿**أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّماءِ فِيهِ ظُلُماتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصابِعَهُمْ فِي آذانِهِمْ مِنَ الصَّواعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكافِرِينَ**﴾[البقرة:١٩]، فقال: ((فَيْعَل من الصّوب، وهو النّزول، يقال للمطر وللسحاب، قال الشّمّاخُ[2]:

وأسْحَم دانٍ صادقِ الرَّعدِ صَيَّبِ

وفي الآية يحتملها، وتنكيره لأنّه أريد به نوع من المطر شديد))[3].

وجاء في تاج العروس ((الصَّوْبُ: الانْصِبَابُ من صَبَّه إِذَا أَراقَه فانْصَبْ كالانْصِبَاب. يُقَالُ: صَابَ المَطَرُ صَوْبًا، وانْصَابَ كِلَاهُمَا بمَعْنَى انْصَبَّ. والصَّوْبُ:

(١) إعراب القرآن وبيانه: ٣٣/٤.
(٢) ديوانه: ٤٣٢.
(٣) أنوار التنزيل: ٥١/١.

الصَّيِّبُ كَسَيِّدٍ. يُقَالُ: مَطَر صَوْبٌ وصَيِّبٌ كالصَّيُّوبِ وَهُوَ شَذٌّ، خَصَّه أَكْثَرُ مَنْ نَقَلَه بالضَّرُورَة .... وصَيُّوبٌ، مِثَالُ تَتُّور، فَيَعْوُل من الصَّوْب أَي كَثِير الانْسِكاب))[1].

وفي حديث الاستسقاء: اللّهمّ اسقنا غيثًا صيّبًا[2]، أي منهمرًا متدفّقًا. وفي لسان العرب: ((الصّيّب: السّحاب ذو الصّوب))[3]. قال سيبويه :((وذلك قولك في فَيْعِل: سَيّد وصَيّب، وإنّما أصلهما سَيْوِد وصَيْوِب. وكان الخليل يقول: سَيّد فَيْعِل وإنْ لم يكن فَيْعِل في غير المعتل، لأنّهم قد يخصّون المعتل بالبناء لا يخصّون به غيره من غير المعتل ... وقال غيره: هو فَيْعِل، لأنّه ليس في غير المعتل فَيْعِل. وقالوا: غيّرت الحركة لأنّ الحركة قد تقلب إذا غيّر الاسم. ألا تراهم قالوا بصريّ، وقالو أمويّ، وقالوا أختٌ، وأصله الفتح. وقالوا دهريٌّ. فكذلك غيّروا حركة فَيْعِل))[4].

كذلك قال نشوان الحميريّ (ت٥٧٣هـ): ((الصّيّب: السّحاب ذو الصّوب؛ وهو المطر، وأصل (صيّب) عند البصريّين (صيوب) مثل (ميّت)؛ وقال الكوفيّون: أصله صُوَيْبٌ))[5].

وعند التوجه تلقاء المفسّرين نجد ما قاله الزّجّاج: ((الصيّب في اللّغة المطر وكلّ نازل من عُلُوّ إلى أسفل فقد صاب يَصُوْب، قال الشّاعر[6]:

كَأَنَّهُم صَابَت عَلَيْهِم سَحَابَةٌ صواعقها لطيرهن دَبِيب

وهذا أيضًا مثل يضربه اللّه (عزّ وجلّ) للمنافقين؛ كان المعنى: أو كأصحاب صيب. فجعل دين الإسلام لهم مثلًا فيما ينالهم من الشّدائد والخوف، وجعل ما

---

(١) تاج العروس: ٢١١/٣، (صوب).
(٢) ينظر: سنن أبي داود: ٤٢٨/٧.
(٣) لسان العرب: ٥٣٥/١، (صوب).
(٤) الكتاب: ٣٦٥/٤.
(٥) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم: ٣٨٧١/٦.
(٦) ديوان علقمة: ٣٠.

يستضيئون به من البرق مثلا لما يستضيؤون به من الإسلام، وما ينالهم من الخوف في البرق بمنزلة ما يخافونه من القتل))[١].

وجاء في تفسير الطبريّ ((الصّيْب الفَيعل، مِنْ قَوْلِكَ: صَاب الْمَطَر يُصَوِّب صَوبًا: إِذَا انْحَدَرَ وَنَزَل))[٢].

ومنه الحديث ((اللهم اسقنا في أرضنا صيبًا))[٣]، وكان في الأصل صَيْوِبًا فأبدل فأدغم، وقال الفرّاء: هو صَوِيْب مثل فَعِيل، وقال شمر: قال بعضهم: الصّيب الغيم ذو المطر وقال الأخفش: هو المطر وصاب السّهم أي قصد))[٤].

وبعد البحث في كتب اللّغة والتّفسير يتّضح أن البيضاويّ عند بيانه معنى اللّفظة وذكر وزنها جاء متطابقًا مع ما ذكر في كتب اللّغة والتّفسير، فكلمة الصيّب جاءت على هذا البناء، لمّا تدلّ عليه من معنى الشّدّة والغزارة في النّزول، كما يقال عند غزارة الأمطار: صُبّتِ السّماءُ علينا صبًّا عند غزارتها أي قوّتها وكثرة كميّتها.

الحثيث:

قال تعالى: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّراتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ**﴾ [الأعراف:٥٤].

قال البيضاويّ: ((الحَثِيث (فَعِيْل) من الحثِّ ،وهو صفة مصدر محذوف أو حال من الفاعل بمعنى حاثًّا، أو المفعول بمعنى محثوثًا))[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٩٤/١.
(٢) جامع البيان: ٣٣٣/١.
(٣) الغريبين في القرآن والحديث: ١١٠١/٤.
(٤) المصدر نفسه: ١١٠١/٤.
(٥) أنوار التنزيل: ١٦/٣.

وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس: ((الحَثيث جاءت إمّا من: حثَثْته على الشّيء أحثّه. ومنه الحثيث، يقال ولّى حثيثًا، أي مسرعًا. قال سلامة[١]:

وَلَّى حَثِيثًا وَهَذَا الشَّيْبُ يَطْلُبُهُ لَوْ كَانَ يُدْرِكُهُ رَكْضُ الْيَعَاقِيبِ

ومنه الحَثْحَثَة، وهو اضطراب البرق في السّحاب، وأمّا الآخر فالحثّ وهو الحطام اليبيس، ويقال الحثّ الرّمل اليابس الخشن))[٢]. كقول الشاعر[٣]:

حَتَّى يُرَى فِي يَابِسِ الثَّرْيَاءِ حُثْ يَعْجِزُ عَن رَيِّ الطَّلَيِّ المُرْتَغِث

وتدلّ صيغة (فَعِيل) المصدريّة ((على معنى المبالغة تنصيصا سواء أكانت مادّة الكلمة دالّة على معنى (السير) أم دالّةً على معنى (الأصوات) أم دالّةً على معانٍ أُخر))[٤]. فجاء البناء الصّرفيّ متطابقًا مع ما تشير إليه اللّفظة من معنى وهو المبالغة في الاستعجال في حصول الشّيء.

وعند تتبّع المعنى عند أهل التّفسير نجد أنّ الماورديّ يفسّرها بمعنى السّرعة إذ قال: ((يطلبه حثيثًا، لأنّ سرعة تعاقب الليل والنهار تجعل كل واحد منهما كالطالب لصاحبه))[٥].

وقال الواحديّ: ((الحثيث: المعجّل السّريع، يقال: حَثَثت فلانًا إذا أمرته بالعجلة، قال ابن عبّاس: يطلب اللّيل النّهار لا غفلة له؛ والمعنى: أنّ اللّيل يستمرّ في طلب النّهار على منهاج من غير فتور يوجب التّأخّر عن وقته))[٦].

---

(١) ديوان سلامة بن جندل: ١١.

(٢) مقاييس اللغة: ٢/٢٩، (حَثَّ).

(٣) الرجز بلا نسبة في جمهرة اللغة: ١/٨٢، ومقاييس اللغة ٢/٢٩، ومجمل اللغة: ٢/٣١، ولسان العرب: ٢/١٣٠، (حثث)، وتاج العروس: ٥/٢٠٤، (حثث).

(٤) العموم الصرفي في القرآن الكريم: ١٦٣.

(٥) النكت والعيون: ٢/٢٣٠.

(٦) التفسير الوسيط: ٢/٣٧٦.

نلحظ من ذلك أنّ البيضاويّ استعمل البناء الصّرفيّ للفظة الحثيث في بيان المعنى اللّغويّ لها عن طريق دعم المعنى بالوزن الصّرفيّ الّذي يعمل على تكشيف المعنى اللّغويّ للفظة.

شَنَآنُ:

يسعى البيضاويّ إلى بيان كلّ ما يتعلق بالألفاظ القرآنيّة لبيان معناها اللّغويّ، فقد وقف على لفظة (شَنَآنُ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقابِ**﴾ [المائدة:٢].

فقال: ((شنآن قوم شدّة بُغْضِهم وعَداوتهم وهو مصدر أضيف إلى المفعول ... وهو أيضًا مصدر كـ ليَّان أو نعت بمعنى: بغيض قوم، وفَعلَان في النّعت أكثر كعَطْشَان وسَكْرَان))[(١)].

وعند التّوجّه للمعاجم نلحظ أنّ الجوهريّ أخرجها بمعنى البغض، فقال: ((شنأ: الشناءة، مثال: الشناعة: البُغْض. وقد شنأته شَنْئًا، وشُنْئًا، وشِنْئًا، ومَشْنًا، وشَنَآنًا، بالتّحريك، وشَنْآنا، بالتّسكين، وقد قرئ بهما قوله تعالى: ﴿**شَنَآنُ قَوْمٍ**﴾، وهما شاذّان، فالتحريك شاذّ في المعنى، لأنّ فعلان، إنّما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب، كالضّرَبَان، والخَفَقَان، والتّسكين شاذّ في اللّفظ، لأنّه لم يجئ شيّ من المصادر عليه، وشَنِئ الرجلُ، فهو مَشْنُوء، أي مبغض، وإن كان جميلًا. ورجل مَشْنأ، على مَفْعَل، بالفتح، أي: قبيح المنظر. ورجلان مَشْنأ، وقَوْم مَشْنأ. والمِشْنَاء، بالكسر، على مِفْعَال، مثله. وتشانؤوا، أي تباغضوا))[(٢)].

---

(١) أنوار التنزيل: ١١٤/٢.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٥٧/١ (شنأ).

أمّا سيبويه فقد ذكر أنّ الشنآن بفتحتين شاذ؛ لأنّ فعله تعدى الفاعل الى المفعول نحو: (شنئته شنآنا)[١].

أمّا بالنسبه لعلماء التفسير، فقال أبو عبيدة في (شنآن قوم): ((أي بغضاء قوم، وبعضهم يحرّك حروفها، وبعضهم يسكّن النّون الأولى. كما قال الأحوص[٢]:

وما العيشُ إلّا ما تلذُّ وتَشْتَهى وإن لامَ فيه ذو الشَّنَآنِ وفَنّدَا

وبعضهم يقول: (شنآن قوم) تقديره (أبان)، ولا يهمزه، وهو مصدر شَنَيْت، وله موضع آخر معناه: شَنِئْت حقّك أقررت به وأخرجته من عندي))[٣].

وقال السّيوطيّ: ((شنآن بالتّحريك والتّسكين وقرئ بهما وهما شاذّان فالتحريك شاذّ في المعنى؛ لأنّ فعلان إنّما هو من بناء ما كان معناه الحركة والاضطراب كالضَّرَبَان والخَفَقَان والتّسكين شاذّ في اللّفظ؛ لأنّه لم يجئ شيء من المصادر عليه))[٤].

نلحظ من ذلك أنّ معنى شنآن هو البغض كما عرّفه البيضاويّ متفقًا مع علماء اللّغة والتّفسير في بيان معناها داعمًا ذلك المعنى من خلال ذكر وزن الكلمة، فقال هي على وزن فَعَلَان الّتي تعدّ من المصادر الّتي تدلّ على الحركة والاضطراب والتقلب؛ لأنّ الشّنان فيه اضطراب النّفس كأنّ نفوسهم تغلي وتفور متحرّكة من شدّة بغضهم.

كَظِيمٌ:

بين البيضاويّ المعنى اللّغويّ للفظة (كظيم) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ** ﴾ [يوسف:٨٤]،

(١) ينظر: الكتاب: ١٥/٤.
(٢) شعره: ٥٨.
(٣) مجاز القرآن: ١٤٨/١.
(٤) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١٨٤/١.

فقال: ((فهو كظيم مملوء من الغيظ على أولاده مُمْسِك له في قلبه لا يظهره، فَعِيل بمعنى مفعول كقوله تعالى: وهو مكظوم من كَظِم السّقاء إذا شدّه على ملئه، أو بمعنى فاعل كقوله: والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ إذا اجترعه، وأصله كظم البعير جرّته إذا ردها في جوفه))[١]، متفقًا مع ما جاء به الخليل[٢].

قال ابن دريد: ((الكظم: مصدر كَظِم على غيظه وكظم غيظه يكظم كظما فهو كاظم وكظيم، إذا سكت عليه؛ وفي التّنزيل: ﴿**وَالْكَاظِمِين الغَيْظَ**﴾ [آل عمران:١٣٤] وكاظمة: موضع معروف، والكَظَامَة: قناة في باطن الأرض يجري فيها الماء، وكظامة الميزان: المسمار الّذي يدور فيه اللّسان))[٣].

أمّا الصاحب بن عباد فقال: ((الكظم: مخرج النّفس، أخذ بكظمه، وهو كظيم مكظوم: أي مكروب، والكظوم: السكوت))[٤].

وجاء في المخصّص لابن سيّده ((كظم غيظه يكظمه كظمًا: ردّه. وقال كظمني الأمر: كربني، ورجل مكظُوم وكظِيم، ويقال: أخذ فلان بكظمه، ولا يقال غير ذلك، ولكن كظم عليه أي: ضيّق فهو مكظوم وكظيم، ومنه اشتقّت الكظامة من كظائم المياه بالحجاز))[٥].

وبالبحث في كتب النّحو والصّرف نلحظ ما جاء به المحدّثون، فهذا بهجت عبد الواحد صالح يقول: ((وهي من صيغ المبالغة فعيل بمعنى فاعل. بمعنى ظلّ وجهه مسودًّا من الغيظ والغمّ وهو مُمْسِك على غمّه مخفيا إيّاه))[٦].

---

(١) أنوار التنزيل: ١٧٤/٣.
(٢) ينظر: العين: ٣٤٥/٥ (كظم).
(٣) جمهرة اللغة: ٩٣٣/٢، (كظم).
(٤) المحيط في اللغة: ٤٢/٢.
(٥) المخصص: ٨١/١.
(٦) الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل: ٤٣٤/١٠.

قال مجاهد: ((فهو كظيم، فيه أربعة أوجه: **أحدها:** أنّه الكمد[1]، قاله الضحاك. الثاني: أنه الذي لا يتكلّم، قاله ابن زيد. الثالث: أنه المقهور، قاله ابن عباس، والرابع: أنّه المخْفِيّ لحزنه، قاله مجاهد وقتادة، مأخوذ من كظم الغيظ وهو إخفاؤه))[2].

ففعيل بمعنى مفعول أي مكظوم فهو كما جاء في يونس (عليه السّلام) إذ نادى وهو مكظوم، وجاء في البحر المحيط: أنّ فعيلًا بمعنى مفعول لا ينقاس، فصيغة مفعول تقال لمَن حصل الفعل عليه ومَن سيقع عليه الفعل فيراد به الاستقبال، ويجوز أنْ يكون بمعنى فاعل[3].

يتبيّن من بعد هذا البحث فيما يخصّ لفظة (كظيم) أنّ هناك فاعلًا قام بعمل ما في حال معيّنة ولكنّه أكثر منه وبالغ في فعله، أمّا القول بأنّ الكظيم والكاظم بمعنى واحد ففيه نظر، لأنّ دَلالة (فاعل) غير دلالة (فعيل)، والفرق بين فاعل وغيره من تلك الصّفات أنّ الأصل في فاعل قصد الحدوث وقصد الثّبوت طارئ، و(فعيل) من أبنية المبالغة الّذي يدلّ على الثّبوت أي: مَن وقع عليه الفعل فيدلّ على معاناة الأمر حتّى أصبح كأنّه خلقه في صاحبه وطبيعة فيه كعليم، أي: لكثرة نظره وتبحّره في العلم أصبح سجيّة ثابتة في صاحبه كالطبيعة فيه، ويعقوب (عليه السلام) في أوّل الأمر كان كاظمًا عند ذهاب يوسف وأخوته مع خوفه عليه منهم، وصار كظيمًا عندما رَجَعوا من دونه وعانى قساوة فراقه حتّى أصبح الكظم سجيّة فيه، الأمر الّذي أدّى إلى ذهاب بصره.

قَرْنَ:

من الألفاظ التي تنبه عليها البيضاويّ لفظة (قَرْنَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِيَّةِ الْأُولى وَأَقِمْنَ الصَّلاةَ وَآتِينَ الزَّكاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ**

(١) الكَمَدُ: حُزنٌ وهمٌّ لَا يُسْتَطَاع إمْضاؤُهُ، ينظر: تهذيب اللغة: ٧٦/١٠ (كمد).
(٢) النكت والعيون: ٧٠/٣.
(٣) ينظر: معاني الأبنية في العربية: ١١٧ .

وَرَسُولَهُ إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، فأرجع اللّفظة إلى أصلها؛ لكي يتوضّح معناها اللّغويّ، قال: ((وقرن في بيوتكنّ من وقر يقرّ وقارًا أو من قرّ يقرّ حذفت الأولى من راءي اقْرَرْنَ ونقلت كسرتها إلى القاف، فاستغني عن همزة الوصل ويؤيّده قراءة نافع وعاصم بالفتح من قرّرت أقرّ وهو لغة فيه، ويحتمل أنْ يكون من قَارّ يَقارّ إذا اجتمع))[١].

وجاء في العين أنّ الوقار: السكينة والوداعة، ورجل وَقُور ووَقّار ومُتَوَقّر: ذو حلم ورزانة. ووقّرت فلانًا: بجلته ورأيت له هيبة وإجلالًا، والتّوقير: التبجيل[٢]. وزاد الخليل أنّ قوله تعالى: ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ**﴾ ((مِن قَرّ يقِرّ ومن قَرَى، وقَرَن بالفتح من وَقّر يقِرّ. والوقير: القطيع من الضّأن، ويقال: الوقير شاء أهل السّواد، فإذا أجدب السّواد سيقت إلى البرّيّة، فيقال: مرّ بنا أهل الوقير))[٣]، قال ذو الرمّة[٤]:

مولعة أَدْمَاء لَيْس بِنَعْجَة يُدْمِن أَجْوَاف الْمِيَاه وَقيرُهَا

فعند البحث في كتب التّفسير عن هذه اللّفظة نجد أنّ أهل التّفسير اتّفقوا على أنّ هذه اللّفظة تحتمل قراءتين كلّ واحدة تعطي معنى مختلفًا بحسب الاختلاف بالحركات الّتي ترجع اللّفظة إلى معناها الأصليّ، قال الزّجاج: ((وقِرْنَ – بكسر القاف– فمن قرأ بالفتح فهو من قررت بالمكان أقرّ. فالمعنى، وأقْرَرْنَ فإذا خففت صارت وقَرْنَ حُذفت الألف لثقل– التّضعيف في الرّاء، وأُلقيت حركتُها على القاف. والأجود وقِرْنَ في بيوتكِنّ –بكسر القاف– وهو من الوقار، تقول: وَقَرَ يَقِرُّ في المكان؛ ويصلح أنْ يكون من

(١) أنوار التنزيل: ٤/٢٣١.
(٢) العين: ٥/٢٠٨، (وقر).
(٣) المصدر نفسه: ٥/٢٠٨، و٢٠٧، (وقر).
(٤) ديوانه: ٣٠٧، ورواية الديوان: مولعة خنساء

قَرَرْتُ في المكان أقرّه فيحذف على أنّه من (واقْرِرْنَ) بكسر الراء الأولى، والكسر من جهتين، من أنّه من الوقار، ومن أنّه من القرار جميعا))[١] .

والى مثل هذا ذهب الثعلبيّ والبغويّ (ت٥١٦هـ)، فقولهم: الوعد عِدْنَ ومن الوصل صِلْنَ، أي كنّ أهل وقار وسكون، من قولهم وَقَر فلان يَقِرّ وقورًا إذا سكن واطمأنّ[٢].

كما ذكر أبو عليّ الفارسيّ (ت٣٧٧هـ) من قال: قِرْن بكسر القاف احتمل أمرين: أحدهما: أنْ يكون من التوقّر في بيوتكنّ، وأن لا يخرجن منها، وقِرْنَ مثل عِدْنَ، وزِنّ، ونحو ذلك، ممّا تحذف منه الفاء، وهي واو، فيبقى من الكلمة علن. والثاني: يحتمل أنْ يكون من قَرّ في مكانه يَقُرّ، فإذا أمر من هذا قال: أقرّر فيبدل من العين الياء؛ كراهية التّضعيف كما أبدل من قيراط ودينار، فيصير لها حركة الحرف المبدل منه، ثمّ لا تلقى الحركة على الفاء، فتسقط همزة الوصل لتحرّك ما بعدها فتقول: (قرن) لأنّ حركة الرّاء كانت كسرة في يقرّ [٣].

نرى من بعد ذلك أثر البناء الصّرفيّ في توجيه المعنى اللّغويّ للفظة (قَرْنَ)، فإرجاع اللفظة الى أصلها يوضّح معناها اللّغويّ وما أصابها من حذف أو إقلاب، لكي تدلّ على المعنى الذي جاءت لأجله، وأرى أنّ الصّواب في توجيه بناء القراءتين أنّه من (قَرَرْتُ بالمكان) أو (قَرِرْتُ)، فهما لغتان كما نقل عن الكسائيّ، وأمّا الوقار والطّمأنينة فهو يأتي من لزوم المرأة بيتها، وليس الأمر بالعكس، فالوقار لا يجلب لزوم المكان، وعدم الخروج منه، فالوَقَار بالنّسبة للمرأة من نتائج لزوم البيت، فمعناه أنّ الوقار يكون عليكنّ عند استقراركنّ في البيوت، والله أعلم.

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٢٢٥/١
(٢) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٣٤/٨، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٠/١.
(٣) ينظر: الحجة للقراء السبعة: ٤٧٦/٥.

الوَزِير:

بين البيضاويّ المعنى اللّغويّ للفظة (الوزير) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي**﴾[طه:٢٩] فلجأ إلى الاشتقاق لمعرفة دلالتها المعجمِيّة فقال: ((اشتقاق الوزير أمّا من الوِزْر لأنّه يحمل الثّقل عن أميره، أو من الوَزَر وهو الملجأ، لأنّ الأمير يعتصم برأيه ويلتجئ إليه في أموره، ومنه الموازرة، وقيل: أصله أَزِير من الأَزْر بمعنى القوة، فعيل بِمَعْنَى مُفَاعِلٍ كالعشير والجليس قلبت همزته واوًا كقلبها في مُوَازِر))[١].

وقال الخليل: ((الوَزَر: الجبل يلجأ إليه، يقال: ما لهم حصن ولا وَزَر. والوِزْر: الحمل الثّقيل من الإثم، وقد وَزَر يَزِر، وهو: وَازِر، والمفعول: مَوْزُور. والوزِير: الذّي يستوزره الملك، فيستعين برأيه))[٢].

قال الزجاج: ((فأمّا الوزير في اللغة فاشتقاقه من الوَزَرِ، والوَزَرُ الجَبلُ الذي يُعْتَصَم به ليُنْجِيَ مِنَ الهكلَةِ، وكذلك وزير الخليفة معناه الذي يَعْتمد عليه في أمُورِه وَيلْتَجِئ إلى رأيه))[٣].

وجاء في جمهرة اللغة ((إنّ اشتقاق الوزير من آزره، وكان في الأصل أَزِير فقالوا: وَزير، وجمع وِزْر أَوْزَار. وفي التّنزيل: ﴿**يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ**﴾[الأنعام:٣١]، أي أثقالهم، ووضعت الحرب أوزارها، والوزر: الإثم. وزعم بعض أهل اللّغة أنّ اشتقاق الوزير من هذا كأنّه يحمل الوزر عن صاحبه. والوزر: كلّ ما لجأت إليه))[٤].

وذكر ابن عصفور (ت٦٦٩هـ) مسألة قلب الهمزة واوًا فقال: ((فتبدل من الهمزة باطّراد، إذا كانت مفتوحة وقبلها حرف مضموم، نحو: جؤن وسؤلة، تقول في تخفيفهما:

---

(١) أنوار التنزيل: ٢٦/٤.
(٢) العين: ٣٨٠/٧، (وزر).
(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٥٧/٣.
(٤) جمهرة اللغة: ٧١٢/٢، (وزر).

جون وسولة))[١].

أمّا الفخر الرازيّ فذكر مسائل عدّة توضح معنى لفظة الوزير من بينها: ((الوزير من الوزر، لأنّه يتحمّل عن الملك أوزاره ومؤنه أو من الوَزَر وهو الجبل الّذي يتحصّن به لأنّ الملك يعتصم برأيه في رعيّته ويفوّض إليه أموره أو من الموازرة وهي المعاونة، والموازرة مأخوذة من إزار الرّجل وهو الموضع الّذي يشدّه الرّجل إذا استعدّ لعمل أمر صعب قاله الأصمعيّ وكان القياس أزيرا فقلبت الهمزة إلى الواو))[٢].

وقال الطّيبيّ (ت٧٤٣هـ): ((وزير الملك: الّذي يوازِره أعباء المُلْك، أي يُحَامِلُه، وليس من المؤازرة؛ لأنّ واوها عن همزة، وفَعِيل منها: أَزِير، يقال: آزره، أي: شدّ به أزرة... وإذا ثبت أنّه أخو المؤازر فكما قلبت الهمزة في أخيه، وهو المؤازر، واوًا. وقيل: مؤازر، لانضمام ما قبله، تُقلب فيه، وإنْ لم ينضمّ ما قبله حملًا للنظير على النّظير، ونُظِر إلى المضارع منه والمصدر، وهما: يؤازر والمؤازرة، فقوله: ونظرًا إلى يؤازر، عطف على قوله: إنّ فعيلًا جاء من حيث المعنى))[٣].

وجاء في روح المعاني أنّ الوزير ((اشتقاقه من الوِزْر بكسر فسكون بمعنى الحمل الثّقيل، فهو في الأصل صفة من ذلك ومعناه صاحبُ وِزْرٍ أي حامل حمل ثقيل، وسمّي القائم بأمر الملك بذلك؛ لأنّه يحمل عنه وزر الأمور وثقلها أو ملجأ اعتصم برأيه على أنّ اشتقاقه من الوَزَر بفتحتين وأصله الجبل يتحصّن به ثمّ استعمل بمعنى الملجأ))[٤] مطلقًا كما في قوله[٥]:

شَرُّ السِّبَاعِ الضَّوَارِي دُونَه وِزْرٌ وَالنَّاس شَرِّهِم مَا دُونَهُم وِزْرٌ

(١) الممتع الكبير في التصريف: ٢٤٠. جؤنة: سلة مستديرة يجعل فيها الطيب، والسؤلة: الكثير السؤال.
(٢) مفاتيح الغيب: ٤٤/٢٢.
(٣) ينظر: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب:١٦٥/١٠.
(٤) روح المعاني: ٤٩٨/٨.
(٥) البيت بلا نسبة في البحر المحيط: ٣٢٨/٧.

بعد استعراض آراء علماء اللّغة والتّفسير حول بيان معنى هذه اللّفظة نلحظ أنّ البيضاويّ اعتمد في تفسيره على الأقدمين إذ سار على خطاهم في بيان المعنى اللّغويّ موضّحًا ذلك المعنى بذكر البناء الصّرفيّ للفظة، لما له من أثر في الكشف عن المعنى فقال: فَعِيل بمعنى مُفَاعِل: لما تدلّ عليه لفظه الوزير من المشاركة والتّعاون على الشّيء كما في قوله كالعَشِيْر والجَلِيْس بمعنى المُعَاشِر والمُجَالس، فعن طريق البحث تبين لي أنّه يكثر في اللّغة إتيان الفعيل بمعنى المفاعل كالأكيل والشريب بمعنى: المؤاكل والمشارب فحمل الشّيء على نظيره.

المِحَال:

علَّق البيضاويّ على لفظة (المحال) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّواعِقَ فَيُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ وَهُمْ يُجادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحالِ**﴾ [الرعد:١٣]، فقال: ((المحال المماحلة المكايدة لأعدائه، من مَحَلَ فلانٌ بفلان إذا كَايَده وعَرّضَه للهَلاك، ومنه تَمَحّل إذا تكلّف استعمال الحيلة))[١].

وقيل: المِحال مأخوذ من قول العرب محل فلان بفلان أي سعى به إلى السّلطان وعرّضه لأمر يهلكه، وقد تعدّدت معاني لفظة التمحّل في اللغة، فجاء التمحّل بمعنى السّعي، كأنه يسعى في طلبه ويتصرّف فيه. والمَحَلّ: السّعاية من ناصح وغير ناصح، ومعنى المكر والكيد. والمِحَال: المَكْرُ بالحقّ. وفلان يُمَاحِل عن الإسلام أي يُمَاكِر ويُدَافِع ومعنى المحال: الغضب. والتّدبير، والمُمَاحَلة: المُمَاكرة والمُكَايدة [٢]. كما تعني المحال ((الحِذق وجودة النّظر والقدرة على دقة التّصرّف في الأمور))[٣].

(١) أنوار التنزيل: ١٨٣/٣.
(٢) ينظر: لسان العرب: ٦١٨/١١، (محل).
(٣) المعجم الوسيط: ٢٠٩/١.

وبيَن البيضاويّ أصل اللّفظة ووزنها فقال: ((ولعلّ أصله المحلّ بمعنى القحط. وقيل فِعَالٌ من المحلّ بمعنى القوّة. وقيل مَفْعَل من الحول أو الحيلة أعلّ على غير قياس ويعضّده أنّه قرئ بفتح الميم على أنّه مَفْعَل من حَال يَحُول إذا احتال، ويجوز أنْ يكون بمعنى الفقار فيكون مثلًا في القوّة والقدرة كقولهم: فساعد اللّه أشدّ وموساه أحدّ))[١]. وجاء في المخصّص لابن سيده ((أنّ المحال معتلّ وذلك خطأ؛ لأنّه لو كان ذلك لصحّت الواو فقيل: مُحوُل كما صحّت في مُحُور والصّحيح أنّ الكلمة من (م ح ل) وقد مَحَل به يَمْحَل مِحالًا كاده بسعايته إلى السّلطان))[٢].

وعند تتبّع اللّفظة في كتب التّفسير نجدها تعني الشّدّة والقوّة أو الحيلة وأكثرهم اعتمدوا على ما جاء به الزّجاج بتوضيح معنى اللّفظة إذ قال: ((ويقال في اللّغة مَاحَلْتُه مِحالًا، إذا قاويته حتّى يتبيّن له أيّكما أشدّ؛ والمِحَلّ في اللّغة الشّدّة))[٣].

قال أبو عبيدة: ((المحال العقوبة والمكروه))[٤]، واستشهد بقول الأعشى[٥]:

فَرْعُ نبعٍ يهتزّ فِي غُصْنِ الْمَجْـ د غَزِير النّدى شَدِيدٌ الْمِحَال

وتابع محمّد صدّيق خان القنّوجيّ (ت١٣٠٧هـ) رأي ابن قتيبة[٦]، إذ قال: ((أي شديد الكيد وأصله مَفْعل من الحَوْل أو الحِيلة جعل الميم كميم المكان وأصله من الكون ثمّ يقال تمكّنت فَاعِلٍ على غير قياس ويعضّده أنّه قرئ بفتح الميم على أنّه مَفْعَل من حال يحول إذا احتال))[٧].

---

(١) أنوار التنزيل: ١٨٤/٣، وينظر: الكشاف: ٥٢٠/٢.
(٢) المخصص: ٢٩١/١.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ١٤٣/٣.
(٤) مجاز القرآن: ٣٢٥/١.
(٥) ديوانه: ٧.
(٦) ينظر: غريب القرآن: ٢٢٦.
(٧) فتح البيان في مقاصد القرآن: ٣٣/٧.

وقد غلّط الأزهريّ ما قاله ابن قتيبة، إذ قال: ((أصل المِحَال الحِيلة غلط فاحش، وأحسبه توهّم أنّ ميم المِحال ميم مِفعل وأنّها زائدة، وليس الأمر كما توهّمه؛ لأنّ مِفْعلًا إذا كان من بنات الثّلاثة فإنّه يجيء بإظهار الواو والياء مثل المِزْوَد والمِرْوَد والمِجْوَل والمِحْوَر والمِزْيَل والمِعْيَر وما شاكلها، وإذا رأيت الحرف على مثال فِعال أوله ميم مكسورة فهي أصليّة، مثل ميم مِهاد ومِلاك ومِراس ومِحال وما أشبهها))[1].

وأنا أرى من بعد البحث والتمحص في كتب اللغة والتفسير أنّ لفظة المحال بكسر الميم تعني شديد الأخذ، أو شديد القوة، أو شديد الانتقام، أمّا بفتح الميم فإنّه بمعنى الحول، والمحاولة بمعنى المغالبة، والمكايدة. أي أنّه (عزّ وجلّ) قاهر أعدائه بالقوّة والشدّة والإهلاك؛ كذلك سياق الآية يشير إلى معنى القوة؛ لأنّ الرعد والصواعق جعل الله (عزّ وجلّ) فيها رهبة وخوفًا للناس، فكيف جعلها الله سبحانه تسبح بحمده من خيفته، فحاشا لله من الاحتيال أو المبالغة في التكلف باستعمال الحيلة ولكنه شديد القوة مع من يعصيه.

تَثْرِيبَ:

بيّن البيضاويّ المعنى اللّغويّ للفظة (تثريب) الواردة في قوله تعالى: ﴿**قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾ [يوسف:٩٢]، فقال: ((لا تأنيب عليكم تَفْعيل من الثّرب وهو الشّحم الّذي يغشى الكِرْش للإزالة كالتجليد، فاستعير للتّقريع الّذي يمزّق العرض ويذهب ماء الوجه))[2]. المشتقّة من الثّرب الّتي تعني ((شحم رقيق يغشّي الكرش والأمعاء، والجمع ثُرُوب. وقوله (عزّ وجلّ): ﴿**لَا تَثْرِيبَ**

(١) تهذيب اللغة: ٦٢/٥، (محل).
(٢) أنوار التنزيل: ١٧٥/٣.

عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، أي لا لوم عليكم، والتّثريب: الإفساد، والتّثريب بالذّنب، لا أثرب عليك))[١].

كما جاءت لفظة (ثَرْب) بشكل مفصّل في المحيط في اللغة، قال الصاحب بن عباد: ((أَثْرِبُ ويَثْرِبُ: اسم موضع، وثبر: الثَّبْرَةُ: أرض حجارتها كحجارة الحرّة إلاّ أنّها بِيْضٌ. والنّقرة في الجبل، ومناقع الماء في القِيْعان والسّهول، وجمعها ثَبَرَات وثِبَار، ثَبِرْتُه ثَبْرًا: حبسته، وما ثبرك عنّي: أي ما حبسك، والمثبور: الممنوع من الخير، وقيل: هو الملعون. والمثبّر: المحدود المحروم، وثبّرته عن كذا: عوّقته عنه، واثْبَارَرْتُ عنِ الأمر: تَثَاقَلت عنه، والثُّبُور: الهَلاك، والمُثَابر: المداوم، وثابر على أمره))[٢].

كلّما اختلف البناء اختلف المعنى وهذا واضح في أعلاه فالجذر (ثرب) تولّدت منه كلمات ذات معانٍ مختلفة، ففي إكساب سيبويه المباني معاني وعي منه ومن النّحويين القدماء بالعلاقة الوطيدة الّتي تجمع بين المكوّن الصّرفيّ والمكوّن الدّلاليّ.

وبالانتقال لأهل التّفسير نلحظ أنّ هنالك ترابطًا بين ما يذكره أهل اللّغة وأهل التّفسير فنبدأ بأبي عبيدة، إذ قال: ((أي لا تخليط ولا شغب ولا إفساد ولا معاقبة))[٣].

وقال ابن قتيبة: ((وأصل التّثريب: الإفساد. يقال: ثرّب علينا؛ إذا أفْسَدَ. وفي الحديث: إذا زَنَتْ أَمَةُ أحدِكم: فليجلدها الحدّ، ولا يثرّب. أي: لا يعيّرها بالزنا))[٤].

كما تطرّق السّمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ) لهذه اللّفظة وبين معناها متفقًا مع ما جاء به الخليل وأضاف ((التّثريب التّفعيل فيه للسّلب، نحو قرّدْتُ البعيرَ، أي: أزلت قُرَادَه، ويجمع الثّرب على ثُرُوب، وثُرُوب على أَثَارِب))[٥].

---

(١) العين: ٢٢٢/٨، (ثرب).
(٢) المحيط في اللغة: ٤١٠/٢.
(٣) مجاز القرآن: ٣١٨/١.
(٤) غريب القرآن: ٢٢٢، والحديث في مسند أحمد: ٢٠٣/٧.
(٥) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ: ٢٧٧/١.

وقال أبو العباس الفيوميّ (ت٧٧٠هـ): ((ثَرَبَ عليه يَثْرِب من باب ضَرَب عتب ولام وبالمضارع بياء الغائب سمّي رجل من العمالقة وهو الّذي بنى مدينة النّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) فسمّيت المدينة باسمه، قاله السّهيليّ وثَرّبَ بالتّشديد مبالغة وتكثير ومنه قوله تعالى: ﴿**لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ**﴾ والثّرب وزان فَلْس شَحْمٌ رَقِيْق على الكِرْش والأمعاء))[١].

فالبناء الصّرفيّ للفظة بذكر وزن اللّفظة أو أصلها له أثر كبير في فهم معناها اللّغويّ، فقول البيضاويّ لوزنها (تَفْعيل)، لما تدلّ عليه اللّفظة من معنى مكثّف على سبيل المبالغة والتّكثير بما يتناسب مع المعنى الّذي تؤدّيه المفردة؛ لأنّ اللّفظة ترتبط بها دلالة يتحكّم في إسنادها إليها شكلها الصّيغيّ، فلا يصحّ أنْ تُصَاغ أيّة مفردة للتّعبير عن أيّ معنى بل تدلّ المفردات على المعاني الّتي تتواضع الجماعة اللّغويّة على أنْ تسندها إلى الإشكال المرتبطة بها.

يَثْنُونَ:

تنبّه البيضاويّ إلى ذكر البناء الصّرفيّ للفظة (يَثْنُونَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**لا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَما يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ**﴾ [هود:٥] كما ذكر أصل اللفظة ومعناها اللّغويّ فقال: ((يثنونى بالياء والتاء من اثْنَوْنَى، وهو بناء مبالغة، و(تثنُوَنّ) وأصله (تثنونن) من الثن وهو الكلأ الضعيف، أراد به ضعف قلوبهم أو مطاوعة صدورهم للثّنِيّ، و(يثنئن) من اثنأن كابيأضّ بالهمزة وتَثْنوِي))[٢].

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: ٨١/١.
(٢) أنوار التنزيل: ١٢٨/٣.

قال ابن فارس: ((ثني الثاء والنّون والياء أصل واحد، وهو تكرير الشيء مرّتين أو جعله شيئين متواليين أو متباينين ... والثّني: الأمر يُعاد مرّتين))[١]. وأبان الراغب الأصفهانيّ دَلالة اللفظ القرآنيّ (يثنون) في ضوء الاستعمال القرآنيّ، وهو عبارة عن التّنكّر والإعراض وضَعْف القلوب[٢].

وعند التّوجّه تلقاء المفسّرين نلحظ أنّ الفرّاء يفسّرها بمعنى الخفاء فيقول: ((نزلت في بعض مَنْ كان يلقى النّبيّ (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) بما يحبّ، وينطوي له على العداوة والبغض. فذلك الثّني هو الإخفاء. وقال اللّه تبارك وتعالى:﴿**أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ**﴾ يعلم اللّه ما يخفون من عداوة محمّد صلّى الله عليه [وآله] وسلّم))[٣].

وجاء في الكشّاف ((واثنونى افْعَوْعَل من الثّنيّ، كاحلولى من الحلاوة، وهو بناء مبالغة، قرئ بالتّاء والياء. وعن ابن عبّاس لتثنونِي. وقرئ تثنونّ وأصله تثنونن تَفْعَوعل من الثّنّ، وهو ما هشّ وضعف من الكلأ، يريد: مطاوعة صدورهم للثني، كما ينثني الهشّ من النّبات. أو أراد ضعف أيمانهم ومرض قلوبهم. وقرئ: تثنئن، من اثنان، أفعال منه، ثمّ همز كما قيل: ابيأضت، وادهأمت، وقرئ: تثنوي، بوزن ترعوي))[٤].

أمّا بالنّسبة للمحدَثين فاعتمدوا في تأصيلهم للفظه على ما جاء به الأقدمون، فهذا محمّد عبد الخالق عضيمة (ت١٤٠٤هـ) يقول: ((يَثْنَون وزنه يَفْعَوعَل من (الثَّنّ)، بنى منه (افعوعل) وهو ما هشّ وضعف من الكلأ. وأصله (تثنونن) يريد مطاوعة نفوسهم للثني، كما ينثني الهشّ من النّبات، أو أراد ضعف أيمانهم ومرض قلوبهم))[٥].

---

(١) مقاييس اللغة: ٣٩١/١، (ثني).
(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن: ١٧٨.
(٣) معاني القرآن: ٣/٢.
(٤) الكشاف: ٣٧٩/٢.
(٥) دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٦٩٠/٤.

إذن تبيّن لنا بعد ذلك أن ذكر أصل اللّفظة وما أصابها من إعلال أو إقلاب له أثر كبير في بيان معناها اللّغويّ، لذلك تفطّن البيضاويّ وغيره من المفسّرين لذكر البناء الصّرفيّ للفظة، فقد يكون البناء للفظة متطابقًا مع المعنى الّذي تشير إليه، فأيّ زيادة في المبنى تؤدّي إلى زيادة في المعنى.

فقد أبدع البيضاويّ في استعمال البناء الصّرفيّ لبعض الألفاظ حال بيانه المعنى المعجمِيّ للّفظ، وكان في هذا دلالة على تمكّنه ومعرفته بقواعد اللّغة العربيّة ونظامها، وقد ساقه ذلك إلى الاعتماد على التّفسير اللّغويّ في بيان القرآن، معتمدًا على ضابط عام في أثناء تفسيره للقرآن الكريم وهو أنْ لا يكون التّفسير خارجًا عن ما قاله أهل اللّغة وأهل التّأويل من الصّحابة والتّابعين واتّباعهم، وقد سار على هذا المنهج في كتابه، ولم يخرج عن هذا الضابط إلاّ في النّادر القليل جدًّا.

المبحث الثاني

القياس على الضدّ والنظير:

لم يقف البيضاويّ على حدود المفردة لبيان معناها المعجمِيّ فقط؛ بل يتعدّى إلى ذكر الضّدّ أو النظير للمفردة، وذلك زيادة في وضوح معنى المفردة وترسيخها في ذهن القارئ، فقد أشار في كتابه إلى هذا الصّنيع اللغويّ، ووقف عنده كغيره من المفسّرين الذين عُنُوا بهذه الظاهرة اللغوية، ففي ما يخص الأضداد فهو واضح عنده، إذ يذكر اللفظة ونقيضها، أمّا في ما يخصّ التناظر في الألفاظ ففي بعض الأحيان يذكرها في أثناء تفسيره للفظة ويبين نظيرها، وبعض الأحيان يفسّر ألفاظًا عدّة ترد في آيات مختلفة بالمعنى نفسه، كما سيأتي، ومن الأمثلة على ذلك.

المطلب الأول: القياس على الضّدّ:

العَظِيْم :

أوضح البيضاويّ معنى (العظيم) الواردة في قوله تعالى: ﴿**خَتَمَ اللَّهُ عَلى قُلُوبِهِمْ وَعَلى سَمْعِهِمْ وَعَلى أَبْصارِهِمْ غِشاوَةٌ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ**﴾[البقرة:٧]، فقد أوضح معناها من خلال ذكر نقيضها، فقال: ((العظيم نقيض الحقير، ومعنى التَّوصيف به أنّه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر عنه جميعه وحقر بالإضافة إليه))[(١)]. وجاء في المعاجم عَظُم الشيء عِظَمًا فهو عظيم، والعَظَامَةُ: مصدرُ الأمرِ العظيمِ. عَظُمَ الأمرُ عَظامَةً. وعَظَّمَهُ يُعَظِّمُهُ تعظيمًا، أي: كبّره. وسمعت خبرًا فأَعْظَمتُه، أي: عَظُمَ في عيني. ورأيت شيئًا فاستعظمته. واستعظمْتُ الشيء: أخذت أُعَظِّمُهُ واستعظمتُه: أنكرته[(٢)].

(١) أنوار التنزيل: ٤٣/١.
(٢) ينظر: العين: ٩١/٢، (عظم).

وعُظْمُ الشيءِ: أعظمُهُ وأكبرُهُ ومُعْظَمُ الشيءِ أكْثَرُهُ. مثل مُعْظَم الماء وهو تبلّده. والعُظْم: جلّ الشيء وأكثره، والعَظَمَةُ من التَعَظُّمِ والزّهو والنّخوة. وعَظُمَ الرّجُلُ عظامةً فهو عظيمٌ في الرأي والمجد. والعظيمةُ: المُلِمَّةُ النّازلةُ الفظيعة[١].

والحَقيرُ: الصغير الذليل. تقول منه: حَقُرَ بالضّمّ حَقارَةً. وحَقَرَه، واحْتَقَرَهُ، واستحقره: استصغره. وتَحاقَرَتْ إليه نفسُه: تصاغرت. والتحقيرُ: التصغير. والمُحَقَّرات: الصغائر. ويقال: هذا الأمر مَحْقَرَةً بك، أي حَقارَةٌ[٢].

قال الرازيّ: ((وَيُسْتَعْمَلَانِ فِي الْجُثَثِ وَالْأَحْدَاثِ جَمِيعًا، تَقُولُ: رَجُلٌ عَظِيمٌ وَكَبِيرٌ تُرِيدُ جُثَّتَهُ أَوْ خَطَرَهُ))[٣]. ووصف العذاب بالعظيم تنبيه على أنّه إذا قيس بسائر ما يجانسه قصر جميعه عنه[٤].

وزاد البيضاويّ أنّ الحقير دون الصغير[٥]، ((فالحقير من كلّ شيء ما نقص عن المقدار المعهود لجنسه، يقال هذه دجاجة حقيرة إذا كانت ناقصة الخلق عن مقادير الدجاج، ويكون الصغر في السن، وفي الحجم تقول: طفل صغير وحَجَر صغير، ولا يقال: حَجَر حقير؛ لأنّ الحجارة ليس لها قدرٌ معلومٌ، فإذا نقص شيء منها عنه سُمّي حقيرًا، كما أنّ الدّجاج والحِجْل وما أشبهها لها أقدار معلومة فإذا نقص شيء من جملتها عنه سمي حقيرًا، والصغير يكون صغيرًا بالإضافة إلى ما هو أكبر منه وسواء كان من جنسه أو لا فالكوز صغير بالإضافة إلى الجرة والجمل صغير بالإضافة إلى الفيل، ولا يقال للجمل صغير على الاطلاق، وإنّما يقال هو صغير بجنب الفيل))[٦].

---

(١) ينظر: العين: ٢/٩١، (عظم).
(٢) ينظر: الصحاح في اللغة والعلوم: ١٠٦٩، (عظم).
(٣) مفاتيح الغيب: ٢/٢٩٦.
(٤) ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني: ١/٩٣.
(٥) أنوار التنزيل: ١/٤٣.
(٦) الفروق اللغوية : ١٩٤.

كما بيّن البيضاويّ أنّ العظيم فوق الكبير[١]، فالعظيم قد يكون من جهة الكثرة ومن غير جهة الكثرة، ولذلك جاز أنْ يوصف الله تعالى بأنّه عظيم، وإنْ لم يوصف بأنّه كثير، وقد يعظم الشيء من جهة الجنس ومن جهة التضاعف[٢].

نلحظ أنَّ البيضاويّ كشف عن معنى اللفظ بالاعتماد على الضّدّ وهو أسلوب اعتمده في مواضعَ كثيرةٍ.

الفساد:

من الأضداد التي توقف البيضاويّ عليها هي الفرق بين الفساد والصلاح في تفسيره لقوله تعالى: ﴿**وَإِذا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قالُوا إِنَّما نَحْنُ مُصْلِحُونَ**﴾ [البقرة:١١]، فقال: ((الفساد: خروج الشيء عن الاعتدال. والصلاح ضدّه وكلاهما يعمان كلّ ضارّ ونافع))[٣].

جاء في المعاجم فَسَدَ: فَسادًا وفُسودًا ضِدُّ صَلُحَ، فهو فاسِدٌ وفَسيدٌ من فَسْدَى، ولم يُسْمَعْ: انْفَسَدَ، والفَسادُ: أَخْذُ المالِ ظُلْمًا، والجَدْبُ، والمَفْسَدَةُ: ضِدُّ المَصْلَحَةِ، وفَسَّدَه تَفْسيدًا: أفْسَدَه، وتَفاسَدوا: قَطَعوا الأَرْحامَ، واسْتَفْسَدَ: ضِدُّ اسْتَصْلَحَ[٤].

وصلَحَ يَصلُح، صَلاحًا وصَلاحِيةً وصُلُوحًا، فهو صالِح، والمفعول مصلوحٌ له، وصلَح الشَّيء: زال عنه الفساد، ضدّ فسَد، صلَحت حالُ المريض كقوله تعالى: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ**﴾[الرعد:٢٣] من آمن وعمل صالحًا.

---

(١) أنوار التنزيل: ٤٣/١.

(٢) الفروق اللغوية: ٣٦١.

(٣) أنوار التنزيل: ٤٦/١.

(٤) ينظر: القاموس المحيط: ٣٠٦، (صلح).

وصلَح له الأمرُ: ناسبه ولاءمه ووافقه، هذا الأمر يَصْلُح لك: يوافقك ويحسُن بك- هذه الأرض تَصْلُح لزراعة الموالح[١].

وعند التوجه تلقاء علماء القرآن نجد أنّهم اتفقوا مع أهل اللغة في بيان معنى الفساد والصلاح، قال الزمخشري: ((والفساد: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعًا به، ونقيضه الصلاح، وهو الحصول على الحالة المستقيمة النافعة))[٢]، وإلى مثل هذا الرأي ذهب النسفيّ[٣]، وقال أبو السعود: ((والفسادُ خروجُ الشيء عن الحالة اللائقة به والصلاحُ مقابلُه))[٤]، وقال الزركشي (٧٩٤هـ): ((الْفَسَادِ هُوَ مَا يَنْبَغِي تَرْكُهُ مِمَّا هُوَ مَضَرَّةٌ وَأَنَّ الصَّلَاحَ مِمَّا يَنْبَغِي فِعْلُهُ مِمَّا هُوَ مَنْفَعَةٌ))[٥].

إذًا الفساد نقيض الصلاح؛ لأنّ الفساد في النّفس، والبدن، والأشياء الخارجة عن الاستقامة إذا تعدت مدة صلاحيته، ويصبح فيه ضرر للإنسان، وإنّ إصلاح الأرض هو تخليصها من الفساد وبناؤها أو تعميرها، فأيّ إصلاح يتحتّم التّخلّص من الفساد. ومن هنا فإنّ البيضاويّ تنبّه على معنى الفساد في ضوء بيان دلالة ضدّه وهو الصلاح.

القَصْم:

من الألفاظ التي تنبّه عليها البيضاويّ لفظة (القَصْم) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ كانَتْ ظالِمَةً وَأَنْشَأْنا بَعْدَها قَوْمًا آخَرِينَ**﴾[الأنبياء:١١]، فقال: ((وَكَمْ قَصَمْنا مِنْ قَرْيَةٍ واردة عن غضب عظيم، لأنّ القصم كسر يبيّن تلاؤم الأجزاء بخلاف

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٣١١/٢، (صلح).
(٢) الكشاف: ٦٢/١.
(٣) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٥٠/١.
(٤) إرشاد العقل السليم: ٤٣/١.
(٥) البرهان في علوم القرآن:١٧٠/٢.

الفصم))[١]، فبيّن المعنى للفظة القصم وأكد المعنى عن طريق بيان الضدّ للفظة القصم وهو الفَصْم.

فالقصم بِالْقَافِ الْكسر مَعَ الْإِبَانَة، والقَصْم مصدر قَصَمْتُ الشَّيْء قَصْمًا، إِذا كَسَرْته، والقَصْمَة من الشَّيْء الْقطعَة مِنْهُ وَالْجمع قَصم. والفصم بِالْفَاءِ كسر من غير إبانه، وانفصم الشَّيْء انفصامًا، إِذا تصدع وَلم ينكسر وَمِنْه قَوْله تَعَالَى: ﴿**فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا**﴾[البقرة:٢٥٦] وَلم يُقَل لَا انقصامَ لَهَا؛ لِأَنّ الانفصام أبلغ فِي مَا أُرِيد بِهِ هَهُنَا، وذلك أَنّه إِذا لم يكن لَهَا انفصام كَانَ أَحْرَى أَنْ لَا يكون لَهَا انقصام[٢]، والانفِصامُ: الانقِطاع، واذا انصَدَعَتْ ناحيةٌ من البيت قيل: فُصِمَ. والدُرَّةُ تَنْفَصِمُ اذا انصَدَعُتْ ناحيةٌ منها[٣].

وبيّن الفرّاء أنّ أصل القصم هو الكسر[٤]، وإلى هذا ذهب ابن قتيبة[٥]. قال الزّجّاج: ((ومعنى قصمنا أهلكنا وأذهبنا، يُقَال قَصَم اللَّه عُمْرَ الكافِرِ أي: أذْهبَهُ))[٦].

ومن المحدَثين مَن قال: ((القصم: هو التحطيم))[٧]، ومنهم مَن قال: ((أصل الفَصْم: القطع. وقيل الفصم بالفاء القطع بلا إبانة، والقاف القطع بإبانة، فذكر بالفصم إشارة إلى أنّ الملك فارقه ليعود مرة أخرى))[٨]، فقد ذكروا المعنى نفسه الذي جاء به الأقدمون.

---

(١) أنوار التنزيل :٤٧/٤.
(٢) ينظر: الفروق اللغوية: ١٥٠.
(٣) ينظر: العين: ١٣٩/٧، (فصم).
(٤) معاني القرآن للفراء: ٢٠٩/١.
(٥) ينظر: غريب القرآن: ٢٣٤.
(٦) معاني القرآن وإعرابه: ٣٨٦/٣.
(٧) الأصلان في علوم القرآن: ٢٢٠.
(٨) تاريخ نزول القرآن: ٢٧.

الطّيّ:

كانت للبيضاوي وقفة عند لفظة الطّيّ الواردة في قوله تعالى: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنا إِنَّا كُنَّا فاعِلِينَ**﴾ [الأنبياء:١٠٤]، فقال: ((المراد بالطّيّ ضدّ النشر، أو المَحْو من قولك: اطْوِ عنّي هذا الحديث، وذلك لأنّها نشرت مظلة لبني آدم، فإذا انتقلوا قوضت عنهم))[١]. فقد بيّن معنى المفردة عن طريق ذكر الضدّ لها.

وفي المعاجم يتبيّن معناها اللغوي، قال الخليل: ((طوي: تقول: طَوَيْتُ الصَّحيفةَ أطويها طيًّا، فالطّيّ: المصدر، وطَوَيْتها طَيَّةً واحدة، أي مرةً واحدةً ... ويُقال: طوى اللهُ لك البُعدَ، أي: قرّبة. وفلانٌ يَطْوي البلاد، أي: يَقطَعُها بلدًا عن بلدٍ. وقد تُخَفَّفُ الطيّة في الشِّعْر))[٢]، كما قال الطِّرِمّاح[٣]:

ولا كِفْلَ الفُرُوسةِ شاب غُمرًا أصمَّ القَلْبِ حَوْشِي الطّيّاتِ

أمّا فيما يخص النشر فقال الخليل: ((نشر: النَّشر: الرِّيحُ الطَّيبة ... ونشرت الثَّوب والكتاب نشرًا: بسطته. والنُّشور: الحياة بعد الموت. يُنشرهم الله إنشارًا. ونَشَرت الأرضُ تنشرُ نُشورًا، إذا أصابها الربيعُ فأنبتت، فهي ناشرةٌ))[٤].

أمّا أهل التفسير فقد أبرقَ الراغب الأصفهانيّ بتبيان دلالة لفظتي (الطّوي، النشر) قال: ((طَوَيْتُ الشيءَ طَيًّا، وذلك كَطَيِّ الدَّرَجِ وعلى ذلك قوله: ﴿**يَوْمَ نَطْوِي السَّماءَ كَطَيِّ السِّجِلِ**﴾[الأنبياء:١٠٤]، ومنه: طَوَيْتُ الفلاةَ، ويعبّر بِالطَّيِّ عن مُضِيِّ العمر. يقال: طَوَى اللهُ عُمرَهُ))[٥].

---

(١) أنوار التنزيل: ٤/٦١-٦٢.
(٢) العين: ٧/٤٦٤، (طوي).
(٣) ديوانه: ٢٠.
(٤) العين: ٦/٢٥١-٢٥٢، (نشر).
(٥) المفردات في غريب القرآن: ٥٣٣.

والنَّشْرُ، نَشَرَ الثوبَ، والصَّحِيفَةَ، والسَّحَابَ، والنِّعْمَةَ، والحَدِيثَ: بَسَطَهَا. قال تعالى: ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾[التكوير:١٠]، وقال: ﴿**وهو الّذي يرسل الرّياح نُشْرًا بين يدي رحمته**﴾[الأعراف:٥٧]، ﴿**وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ**﴾[الشورى:٢٨]، وقوله: ﴿**وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا**﴾[المرسلات:٣]، أي: الملائكة التي تَنْشُرُ الرياح، أو الرياح التي تنشر السَّحابَ، ويقال في جمع النَّاشِرِ: نُشُرٌ، وقُرِئ: نَشْرًا وقيل: نَشَرَ اللَّهُ المَيِّتَ وأَنْشَرَهُ بمعنًى، والحقيقة أنّ نَشَرَ اللَّهُ الميِّت مستعارٌ من نَشْرِ الثَّوْبِ[١]، كما قال الشاعر[٢]:

طَوَتْكَ خُطُوبُ دَهْرِكَ بَعْدَ نَشْرٍ كَذَاكَ خُطُوبُهُ طَيًّا وَنَشْرًا

وقوله تعالى: ﴿**وَجَعَلَ النَّهارَ نُشُورًا**﴾[الفرقان:٤٧]، أي: جعل فيه الانتشارَ وابتغاء الرزقِ، وانْتِشَارُ الناس: تصرُّفهم في الحاجاتِ. قال تعالى: ﴿**ثُمَّ إِذا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾[الروم:٢٠].

المطلب الثاني: القياس على النظير:

النّزْغ:

اعتمد البيضاويّ –أحيانًا– في بيان معنى اللفظ عن طريق لفظ آخر يشترك معه في المعنى، وهذه من الآليات المعتمدة في تعريف الألفاظ، كما هو في لفظة النّزغ الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأعراف:٢٠٠] فقال: ((وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطانِ نَزْغٌ ينخسنك منه نخس أي وسوسة تحملك على خلاف ما أمرت به كاعتراء غضب وفكر، والنّزغ والنّسغ والنّخس الغرز شبه وسوسته للناس إغراء لهم على المعاصي وإزعاجًا بغرز السائق ما يسوقه))[٣].

(١) ينظر: الموسوعة القرآنية : ٥٥٧/٨.

(٢) ديوان أبي العتاهية: ٤٩١. ورواية الديوان: كذلك خطوبه نشرًا وطيًا.

(٣) أنوار التنزيل: ٤٧/٣.

وجاء في الصحاح ((النّسْغُ مثل النَّخْس. يقال: نَسَغَهُ بالسَّوْط، أي نَخَسه، وكذلك أنْسَغَهُ، ونَسَغَهُ. ونَسَغَهُ بكلمةٍ مثل **نَزَغَهُ**. ونَسَغَتِ الواشمةُ، إذا غرزتْ في اليد بالإبرة. والمِنْسَغَةُ: الإضبارةُ من ذَنَب الطائر يَنْسَغُ بها الخبَّازُ خُبزَه؛ وكذلك إذا كان من حديد. وأَنْسَغَتِ الشجرةُ، إذا نبتتْ بعد ما قُطِعَتْ))[1].

وبيّن ابن دريد النَّزْغ بأنّه ((مصدر نزغتُ الرجلَ أنزغه نَزْغًا، إذا ذكرته بقبيح. قَالَ أَبُو زيد: لَا يكون النَّزْغ إِلَّا كالغِيبة. ونَزَغَ الشيطانُ فِي قلبه، إِذا أَلْقى فِيهِ سوءا. والمِنْزَغ من قَوْلهم: رجل ينزِغ النَّاس، فَهُوَ نزّاع ومِنْزَغ))[2].

وقال ابن فارس: ((النُّونُ وَالْخَاءُ وَالسِّينُ كَلِمَةٌ تَدُلُّ عَلَى بَزْلِ شَيْءٍ بِشَيْءٍ حَادٍّ. وَنَخَسَهُ بِعُودٍ أَوْ حَدِيدَةٍ نَخْسًا. وَمِنْهُ النَّخَّاسُ. وَالنَّاخِسُ: جَرَبٌ يَكُونُ عِنْدَ ذَنَبِ الْبَعِيرِ أَوْ صَدْرِهِ، كَأَنَّهُ نُخِسَ بِهِ وَبَعِيرٌ مَنْخُوسٌ. وَمِمَّا شَذَّ عَنْهُ النَّخِيسَةُ))[3]، هذا ما جاء في المعاجم، وعند البحث في كتب التّفسير نلحظ أنَّ المفسّرين اختلفوا في بيان معنى النّزغ، فجاء في تفسير الماتريديّ أقوال عدّة تخص لفظة النّزغ: الأول: النّزغة أدنى أفعال المعصية؛ وكذلك فسّره ابن عَبَّاس، يقول: إذا أذنبت ذنبًا فاستعذ باللَّه تعالى. والثاني ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ**﴾ أي: يستخفنك، ويقال: نزغ شيئًا: إذا أفسده. والثالث: النزغ: التحريك للفساد. والرابع ﴿**وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ**﴾ أي: يوسوسك الشيطان وسوسة فاستعذ باللَّه[4].

أمّا الواحدي فعنده ((نزغ الشيطان وساوسه ونخسه في القلب بما يسوّل للإنسان من المعاصي، ... وقال بعض أهل المعاني: معنى النزغ: الإزعاج، وأكثر ما يكون

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٣٢٧/٤.
(٢) جمهرة اللغة: ٨٢٠/٢.
(٣) مقاييس اللغة: ٤٠٥/٥.
(٤) ينظر: تأويلات أهل السّنّة: ١٢١/٥.

عند الغضب، وأصله الإزعاج بالحركة إلى الشّرّ، وهذه نزغة من الشيطان للخصلة الحاملة عليه))[1].

وقد سبق الزمخشري إلى ما جاء به البيضاويّ –من قبلُ– في بيان أنّ النزغ والنسغ واحد، قال: ((الغرز والنخس، كأنه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي، وجعل النزغ نازغًا، كما قيل جدّ جدّه))[2].

نلحظ من ذلك أنّ القياس على النظير في بيان المعنى بين (النزغ والنسغ والنخس) هو الدفع أو الحركة في حصول الأفعال، فالنزغ يكون عن طريق وسوسة الشيطان ودفعه لعمل المعاصي، ففيه نوع من الحركة التي تؤدّي لحصول الفعل، كذلك النسغ والنخس هو الدفع بقوة على حصول الشيء وبغزارة كالنسغ أو النخس بالسّوط، والضّرب بالسّوط يتطلب الإجبار بقوة على حصول الشيء؛ وهذا من باب النظير في المعنى بين الألفاظ التي تنبه عليها البيضاويّ.

الرُّعْب:

فسّر البيضاويّ بعض الألفاظ بالمعنى نفسه، أي: أرجعها الى معنًى واحدٍ، من ذلك لفظة الرّعب والرّهبان بمعنى الخوف، لأنّ الرعب يأتي من شدّة الخوف، فهذا هو التناظر بين الألفاظ، قال البيضاويّ في تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا**﴾[الأحزاب:٢٦]، فقد فسر الرعب بمعنى الخوف، قال: ((وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ الخوف، وقرئ بالضم، كذلك قوله تعالى: ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يا أُولِي الْأَبْصارِ**﴾[الحشر:٢] وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ

(١) التفسير البسيط: ٩/٥٤٥.
(٢) الكشاف: ٢/١٩٠.

الرُّعْبَ وأثبت فيها الخوف الذي يرعبها أي يملؤها))[1]، فمصدر الرّعب من شدّة الخوف، كذلك قوله تعالى: ﴿**سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِما أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطانًا وَمَأْواهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ**﴾[آل عمران:١٥١]، فقال: ((سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يريد ما قذف في قلوبهم من الخوف))[2].

وقد بيّن البيضاويّ معنى (الرهبان) في قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ قَفَّيْنا عَلى آثارِهِمْ بِرُسُلِنا وَقَفَّيْنا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْناهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبانِيَّةً**﴾[الحديد:٢٧]، قال: ((الرّهبان وهو المبالغ في الخوف من رَهِب كالخشيان من خَشِيَ، وقُرِئت بالضم كأنها منسوبة إلى الرّهبان وهو جمع راهب كرَاكب ورُكبان))[3].

وعند التوجه لأهل المعاجم لمعرفة المعنى اللغوي للألفاظ، قال الخليل: ((الرُّعْبُ: الخوف. رَعَبْتُ فلانًا رُعْبًا ورُعُبًا فهو مرعوب مُرْتَعِبٌ، أي: فَزِع. والحمام الرّعبيّ والرّاعبيّ: يُرَعِّبُ في صوته ترعيبًا، وهو شدّة الصوت. ويقال: إنّه لشديد الرَّعب))[4]، مستشهدًا بقول رؤبة[5]:

ولا أجيبُ الرّعب إنْ دُعِيْتُ

وجاء في المعجم المؤصل الاشتقاقيّ ((ومن الأصل: الخَوف: الفَزَع. خافَه يَخَافُه خَوْفًا وخِيفة. كأن الذي يَخَافُ مَنْخُوبُ الفؤاد؛ وخوفه جَعَلَ فيه الخوفَ وكذلك جَعَلَ الناسَ يخافونه. ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾[آل عمران:١٧٥] أي يجعلكم

(١) أنوار التنزيل: ١٩٨/٥، وينظر: إتحاف فضلاء البشر: ١٨٥.
(٢) أنوار التنزيل: ٤٢/٢.
(٣) المصدر نفسه: ١٩٠/٥.
(٤) العين: ١٣٠/٢، (رعب).
(٥) ديوانه: ٢٦.

تخافون أولياءه. ﴿**وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[قريش:٤] ﴿**تَضَرُّعًا وَخِيفَةً**﴾[الأعراف:٢٠٥]. وسائر ما في القرآن من التركيب هو من الخوف ضد الأمن))[١].

أما بالنسبة للرهبة فبيّن الجوهريّ معناها إذ قال: ((ورَهِبَ، بالكسر، يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْبًا بالضم، ورَهَبًا بالتحريك، أي خاف. ورجُل رَهَبوتٌ. يقال: رَهَبوتٌ خيرٌ من رَحَموتٍ، أي لأنْ تُرْهَبَ خيرٌ من أنْ تُرْحَمَ. وتقول: أَرْهَبَهُ واسترهبه، إذا أخافَه))[٢].

وعند البحث في كتب التفسير عن معنى الرّعب والرّهبة والخوف ومعرفة مدى التناظر بينهما، قال الزمخشريّ في بيان معنى الرّعب: ((والرّعب: الخوف الذي يرعب الصدر، أي يملؤه، وقذفه: إثباته وركزه))[٣].

وقيل: ((وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، أي: أنزله إنزالًا شديدًا فيها، لدلالة مادة (القذف) عليه، كأنه مقذوف الحجارة))[٤]، و((الرّعب: الخوف الذي يملأ الصدر))[٥]، كذلك تنبه ابن عاشور الى بيان معنى الرعب فقال: ((والرُّعْبَ: شِدَّةُ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ. واستدل بقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ)، أَيْ بِرُعْبِ أَعْدَاءِ الدِّينِ))[٦].

كما قال الزمخشريّ: ((والرّهبانية: ترهبهم في الجبال فارّين من الفتنة في الدين، مخلصين أنفسهم للعبادة، وذلك أنّ الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى، فقاتلوهم ثلاث مرات، فقتلوا حتّى لم يبقَ منهم إلا القليل، فخافوا أنْ يفتنوا في دينهم، فاختاروا الرهبانية: ومعناها الفِعْلة المنسوبة إلى الرّهبان؛ وهو الخائف: فَعَلَان من

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٥٨٤/١.
(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٤٠/١، (رهب).
(٣) الكشاف: ٤٩٩/٤.
(٤) محاسن التأويل: ١٨٣/٩.
(٥) تفسير المراغي: ٣٢/٢٨.
(٦) التحرير والتنوير: ٧١/٢٨، والحديث في مسند أحمد: ٤٩٦/١.

رَهَبَ، كخَشَيَان من خَشِيَ. وقُرِئَ: ورُهْبَانِيّة بالضم، كأنها نسبة إلى الرّهْبان: وهو جمع رَاهِب كرَاكِب ورُكْبَان، وانتصابها بفعل مضمر))[1].

الخُشُوع:

قام البيضاويّ ببيان الفرق بين لفظتي الخُشُوع والخُضُوع عند تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّها لَكَبِيرَةٌ إِلاّ عَلَى الْخاشِعِينَ**﴾[البقرة:٤٥]، فقال: ((والخُشُوع الإخبات، ومنه الخَشْعَة للرملة المتطامنة. والخُضُوع اللّين والانقياد، ولذلك يقال الخشوع بالجوارح والخضوع بالقلب))[2]. والخشوع مشتقة من (خَشَعَ): خَشَعَ الرجلُ يَخْشَعُ خُشُوعًا فَهُوَ خَاشِع، وللخُشوع مَوَاضِع، فالخَاشِع: المستكين، والخاشِع: الرَّاكِع فِي بعض اللُّغَات، وخشع الْإِنْسَان ببصره إِذا غضه فَهُوَ خاشع. والخاشع: المطمئن من الأَرْض[3].

والخُضُوع: التواضُع والتَّطامُن. خَضَع يَخْضَع خَضْعًا وخُضُوعًا واخْتَضَع: ذَلَّ. وَرَجُلٌ أَخْضَعُ وامرأَة خَضْعاء: وَهُمَا الرَّاضِيانِ بِالذُّلِّ؛ وأَخْضَعَتْني إِليك الحاجةُ، وَرَجُلٌ خيْضَعٌ؛ والخُضوع: الانْقِيادُ والمُطاوعةُ، والخَضَعُ: تَطامُن فِي الْعُنُقِ ودُنُوّ مِنَ الرأْس إِلى الأَرض، خَضعَ خَضعًا، فَهُوَ أَخْضَعُ بيِّن الخَضَع، والأُنثى خَضْعاء، وَكَذَلِكَ الْبَعِيرُ وَالْفَرَسُ. وخَضَع الإِنسان خَضْعًا: أَمالَ رأْسَه إِلى الأَرض أَو دَنَا مِنْهَا. والأَخْضعُ: الَّذِي فِي عُنقه خُضُوع وتطامُن خِلْقَةٍ. يُقَالُ: فَرَسٌ أَخضَعُ بيِّن الخَضَعِ[4]. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿**فَظَلَّتْ أَعْناقُهُمْ لَها خاضِعِينَ**﴾[الشعراء:٤].

---

(١) الكشاف: ٤/٤٨١.

(٢) أنوار التنزيل: ١/٧٨.

(٣) ينظر: جمهرة اللغة: ١/٦٠١، (خشع).

(٤) ينظر: لسان العرب: ٨/٧٢، و٧٣، (خضع).

من هذا تبيّن أنّ هنالك اختلافًا بين الخُضُوع والخُشُوع عند أهل اللغة. أمّا أهل التفسير فمنهم من فسّر الخُشُوع بمعنى الخُضُوع، قال الزّجّاج: ((أصل الخُشُوع في اللغة الخُضُوع والتَواضع، ودليل ذلك قوله: ﴿**وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا**﴾[طه:١٠٨] وقيل: خاشِعون خائفون))[١]. كذلك قال: السمرقنديّ: ((الخشوع أصله التذلّل وكذلك الخُضُوع، وقد فرّق بعض أهل اللغة بين الخشوع والخضوع، فقال الخضوع في البدن خاصة، والخشوع يكون في البدن والبصر والصَّوت والقلب))[٢].

وقال الجصّاص: ((إنَّ الرُّكُوعَ وَالْقِيَامَ وَالصِّيَامَ وَالْحَجَّ وَسَائِرَ الْعِبَادَاتِ خُضُوعٌ وَلَا يُسَمَّى سُجُودًا؛ لِأَنَّهُ خُضُوعٌ عَلَى صِفَةٍ إذَا خَرَجَ عَنْهَا لَمْ يُسَمَّ بِهِ))[٣]، وَرُوِيَ عَنْ جَمَاعَةٍ: الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ أَنْ لَا يُجَاوِزَ بَصَرُهُ مَوْضِعَ سُجُودِهِ. أو: الْخُشُوعُ السُّكُونُ. وقيل: سُئِلَ عَلِيٌّ (عليه السلام) عَنْ قوله: ﴿**الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾ قَالَ: الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ وَأَنْ تَلِينَ كَنَفَك لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ وَلَا تَلْتَفِتُ فِي صَلَاتِك، وذُكر أيضًا: الْخُشُوعُ يَنْتَظِمُ هَذِهِ الْمَعَانِيَ كُلَّهَا مِنْ السُّكُونِ فِي الصَّلَاةِ وَالتَّذَلُّلِ وَتَرْكِ الِالْتِفَاتِ وَالْحَرَكَةِ وَالْخَوْفِ[٤].

السّفْك:

أشار البيضاويّ في تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة:٣٠] إلى بيان لفظة السّفك من خلال

(١) معاني القرآن وإعرابه: ٦/٤.
(٢) بحر العلوم: ٢٧٦/١.
(٣) أحكام القرآن للجصاص: ٦٣٥/٣.
(٤) ينظر: أحكام القرآن للجصاص: ٣٢٩/٣.

بيانه الألفاظ التي تشترك معها في أصل المعنى، لكن لكلّ واحدة خاصيّة في المعنى تميزها، فقال: ((السُفْكُ والسَّبْكُ والسَّفْحُ والشَّنُّ أنواع من الصّبّ، فالسّفك يقال في الدم والدمع، والسبك في الجواهر المذابة، والسّفح في الصّبّ من أعلى، والشّنّ في الصّبّ من فم القربة ونحوها، وكذلك السن))[١]. كذلك جاء في المعاجم ((سفك: السَّفْكُ: صَبّ الدّماءَ. فلان سفّاكٌ للدّماء وللكلام. وسَفَكَتِ العينُ الدمَ: حَدَرَتْهُ))[٢].

وقال أبو بشر البَندنيجي: ((السفك: الصب، يقال: سفك دمه أي صبه كما يسفك نحي السمن أي يهريقه))[٣].

وسبك: سبكت الْفضة وَغَيرهَا أسبكها سبكا إِذا أذبتها. والمصدر السّبك وَالجّمع سبائك وَالشَّيْء سبيك وَمَسْبُوك. والسبيكة: الْقطعَة من الْفضة وَغَيرهَا إِذا استطالت[٤].

أمّا السفح في اللغة فهو الصبُّ. قال الله عز وجل: ﴿**أو دمًا مسفوحًا**﴾ [الأنعام:١٤٥]، أي: مصبوبًا[٥]. والشَّنُّ: السِّقاء البالي. والشَّنينُ: قطرانُ الماء من الشَّنَةِ. شيء بعد شيء[٦]، قال الشاعر[٧]:

يا مَنْ لدمعٍ دائمِ الشّنين تَطَرّبًا والشّوْقُ ذو شُجُون

واتفق أهل التفسير مع أهل اللغة في بيان معنى السّفك، فقال فيه الهمذاني (ت٦٤٣هـ): ((السَّفْك: الصَّبُّ، يقال: سَفَكَ الشيءَ يَسْفِكُ سَفْكًا، إذا صبّه وهَرَقه))[٨].

---

(١) أنوار التنزيل: ٦٨/١.
(٢) العين: ٣١٥/٥، (سفك).
(٣) التقفية في اللغة: ٦١٣.
(٤) ينظر: جمهرة اللغة : ٣٣٩/١، (سفك).
(٥) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٦٦/٢.
(٦) ينظر: العين: ٢١٩/٦،(شنّ).
(٧) البيت بلا نسبة في العين: ٢١٩/٦.
(٨) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٢١٧/١.

كذلك قال ابن الهائم (ت٨١٥هـ): ((وَيَسْفِكُ الدِّماءَ: يصبّها، السّفك: الصّبّ والإراقة ولا يستعمل إلا في الدم))[١].

تبيّن من ذلك أنّ البيضاويّ تنبّه على ذكر التّشابه بين الألفاظ في بيانه لمعنى السّفك، ففسّر اللفظة بذكر الألفاظ التي تشبهها بأصل المعنى (الصّبّ)، ولكن الاختلاف يكون بحسب القرينة التي تجاور اللفظ.

(١) التبيان في تفسير غريب القرآن: ٦٤.

المبحث الثالث

اصطفاء معنى من معانٍ عدّة

مِن السّمات المهمّة لألفاظ القرآن وتراكيبه هي تعدد معاني تلك الألفاظ والتراكيب، أي تتماز اللفظة بتضمنها معانٍ عدّة. وكلّ واحد من هذه الألفاظ قد تتعدّد دلالته في سياقاته، وهذا التعدّد على ضربين:

الأول: هو ما تتعدّد دلالته تعدّدًا حقيقيًّا؛ فلا يمكن الجمع بين معانيه في وجه واحد، والآخر: يكون ثمة تعارض بين معانيه من حيث الظاهر يقتضي طلب الترجيح بينها.

إنّ رصد فكرة اتساع المعنى في القرآن تبرز أهميتها في تنبيه القارئ لهذا الكتاب الكريم للتفرقة بين معاني اللفظ الواحد التي قد يظنّ بها التعدّد والاختلاف، وحقيقتها الانسجام والائتلاف، وبين تلك المعاني التي تشتمل على تعدد حقيقي يقتضي الترجيح بينها، أو عدّها وجوهًا معتبرة للفظ الواحد.

فالناظر في الدلالة المعجمِيّة في القرآن الكريم يجدها بيّنة في تعدد المعنى للفظ الواحد، أو ما يسمى باتساع الدلالة المعجمِيّة.

فبيان دقّة القرآن الكريم في اختيار موادّه المعجمِيّة التي تحمل عن طريق تفاعلها مع سياقاتها دلالات ثرية متعدّدة، لكنها متعاضدة غير متعارضة، مؤتلفة غير مختلفة؛ بحيث تمثّل فروعًا متآزرة، وأغصانًا وارفة تُعطي ظلالًا متعدّدة ممتدة لمعنى أصلي واحد، أو تُعَدّ وجوهًا معتبرة يقتضيها السياق للّفظ الواحد.

ففي هذا المبحث سنتطرق لظاهرة تعدد المعاني المعجمِيّة للألفاظ وكيفية اصطفاء معنى من معانٍ عدّة للفظة بما يتناسب مع سياق الآية الكريمة.

فقد كان للبيضاوي وقفة في تفسيره، فهو يصطفي معنى للفظ من معانٍ عدّة ذكرها أصحاب المعاجم، فيتلاءم مع بقية الألفاظ الموجودة في الآية القرآنية.

وفي ما يأتي بعض من هذه الألفاظ:

الصَّرِيم:

كانت للبيضاويّ وقفة عند لفظة (الصّريم) الواردة في قوله تعالى: ﴿**فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ**﴾[القلم:٢٠]، فقال: ((كَالصَّرِيمِ كالبستان الذي صرم ثماره، بحيث لم يبق فيه شيء. فعيل بمعنى مفعول، أو كالليل باحتراقها واسوادها، أو كالنهار بابيضاضها من فرط اليبس، سمّيا بالصريم؛ لأنّ كلا منهما ينصرم عن صاحبه أو كالرمل))[(١)].

وأصل اللفظة في المعاجم مشتقة من (صرم): الصَّرْمُ دَخيلٌ. والصَّرْمُ: قَطعٌ بائِنٌ لحَبْل وعِذْقٍ ونحوه. والصِّرامُ: وقت صِرام النّخْل، وصَرَمَ العِذْقُ عن النَّخْلة، وأصْرَمَ النَّخْلُ اذا حان وقتُ اصطِرامِه. والصَّريمة: إحكامُكَ أمرًا والعَزْمُ عليه ... والصَّريمةُ: الرأيُ النافِذُ. والصريمة: الرَّمْلُ المُتَصَرِمُ من مُعظَم الرَّملِ[(٢)].

و((سيف صارم، ثمَّ كثر ذَلِك حَتَّى قَالُوا: لِسَان صارم، وَرجل صارم بِّين الصرامة. وَركب فلَان صريمةَ أمره، إِذا جَدَّ فِيهِ؛ وصرْم من النَّاس: جمَاعَة، وَالْجمع أصرام، وَكَذَلِكَ الصِّرمة من الْإِبِل، وَهِي مَا بَين الثَّلَاثِينَ إِلَى الْأَرْبَعين. وَقَالَ الْأَصْمَعِي: الصِّرمة من الْإِبِل: مَا بَين الْعشْرَة إِلَى بضعَ عشرةَ، وَأَرْض صَرْماء: لَا مَاء فِيهَا، وناقة صَرْماء: لَا لبنَ لَهَا، وَمِنْه قيل للرجل الْقَلِيل المَال مُصْرِم))[(٣)].

وممّا يتّضح فيه الجفاف والجفاء الصريم: العود يُعرْض على فم الجدي أو الفصيل ثم يُشَدّ إلى رأسه لِئَلّا يرضع (يقطعه عن الرضاع)، وأكل الصَيْرم أي الوجبة وهي الأكلة الواحدة في اليوم، وقالوا: الصّريم الصبح لانقطاعه عن الليل، والليل لانقطاعه عن النهار. فتضادّ المعنى الذي أشاروا إليه راجع إلى اختلاف الاعتبار والنسبة، وليس

(١) أنوار التنزيل: ٥/٢٣٥.
(٢) ينظر: العين: ٧/١٢٠، (صرم).
(٣) جمهرة اللغة: ٢/٧٤٤، (صرم).

له صِلَةٌ بالدّلالة الأصلية؛ ومن معاني الصرْم: الصَرْمُ: الهجران في موضعه، والصريمة العزيمة على الشيء وقطع الأمر إحكامك أمرًا وعزمك عليه. والصُّرام كصُداع: من أسماء الحرب والداهية[١].

واختلف أهل التأويل في الذي عُني بالصريم، فقال بعضهم: عُني به الليلُ الأسودُ، وقال بعضهم: معنى ذلك: فأصبحت جنّتهم محترقة سوداء كسواد الليل المظلم البهيم[٢]، وذهب الزجاج إلى نحو ذلك، أي فأصبحت كالليل سوادًا[٣].

وذكر الماورديّ أنَّ الصّريم فيه ثلاثة أوجه[٤]:

أحدها: كالرماد الأسود. والثاني: كالليل المظلم مستشهدًا ببيت من الشعر[٥]:

تطاولَ ليلُكَ الجَوْنُ البهيمُ فما يَنْجَابُ عَنْ صُبْحٍ، صَرِيمُ

والثالث: كالمصروم الذي لم يبق فيه ثمر.

نلحظ أنَّ اللفظة تحتمل معاني عدّة ذكرها البيضاويّ، أبرزها معنى البستان الذي صرم ثماره بحيث لم يبق فيه شيء. إذ أكد المعنى عن طريق ذكره للبناء الصرفي فعيل بمعنى مفعول، أي المبالغة بالإبادة؛ لأنّ الله (عزّ وجلّ) أباد بستانهم، أي: صرمها فصارت سوداء كسواد الليل أو كالرماد.

من هنا فإنّ البيضاويّ قد انتقى دلالة الانقطاع والذهاب من مجموعة من الدّلالات التي ذُكرت من قبلُ.

---

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١٢٢٠/٣، (صرم).

(٢) ينظر: جامع البيان: ٥٤٤/٢٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٠٨/٥.

(٤) ينظر: النكت والعيون: ٦٨/٦.

(٥) البيت منسوب إلى أبي عمرو في لسان العرب: ٣٣٧/١٢، وتاج العروس: ٤٩٩/٢٣.

تَفْتَأَ:

بيّن البيضاويّ المعنى اللّغويّ للفظة (تفتأ) الواردة في قوله تعالى: **﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾** [يوسف:٨٥]، فقال: ((تَفْتَؤُا: تَذْكُرُ يُوسُفَ، أي لا تفتأ ولا تزال تذكره تفجعًا عليه))[١].

ونجد في المعاجم معنى لفظة (فتأ) في اللغة تحمل معاني عدّة، ولكن اصطفى لها معنى واحد يتناسب مع سياق الآية المباركة، ((فتأ: فتأَه عن الأمر: سكّنه، والنارَ: أطفأها. فَتِئْتُ عن الأمر أفتأ: إذا نسيته وانقدعت))[٢].

وعند تتبع أهل التفسير يتبين معناها، ذكر الفراء أنّ معناه لا تزال تذكر يوسف [٣]. وعند أبي جعفر النحاس فتأت وفتئت بمعنى أفعل ذلك أي ما زلت[٤].

نلحظ من ذلك أنّ القدماء اتفقوا مع ما ذكره البيضاويّ في اصطفاء معنى واحد، وهو عدم النسي، أي لا يزال تذكره.

ولكن من المفسرين المحدثين مَن يذكر أنّ (فتأ) لها ثلاثة معانٍ، هي سكّن وأطفأ النار ونَسي. وفاقد العزيز سكن بمجرد مرور الزمن، فمن مات له ميت يسكن بعد مدّة، لكن الله تعالى أراد من يعقوب ألّا ينسى ولا يكفّ، بدليل قوله تعالى: **﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾** [يوسف:٨٤]، وفاقد العزيز كأنما هناك نارٌ تحرق جنبيه، ويقال حرق قلبي، والنار التي بين جنبي يعقوب عليه السلام لم تنطفئ مع مرور الأيام، ولم تزل النار ملتهبة مستعرة في قلب يعقوب (عليه السلام)، وهو لم ينسَ، وفاقد العزيز ينسى بعد مدّة، ولذا يدعو له المعزّون بالصّبر والسّلوان.

---

(١) أنوار التنزيل: ١٧٤/٣.

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١٦٢١/٣.

(٣) ينظر: معاني القرآن: ٥٤/٢، ومجاز القرآن: ٣١٦/١، وتأويل مشكل القرآن: ١٤٢.

(٤) إعراب القرآن: ٢١٣/٢.

إذًا (تفتأ) جمعت كلّ هذه المعاني المرادة هنا في الآية ولا يؤدي أي لفظ آخر هذه المعاني مجتمعة غير هذه الكلمة(١).

الدّنُوّ:

بيّن البيضاويّ المعنى المعجمِيّ للفظة (الدّنُوّ) الواردة في قوله تعالى: **﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾** [البقرة:٦١]، قال: ((أصل الدنو القرب في المكان، فاستعير للخسة كما استعير البعد للشرف والرفعة، فقيل بعيد المحل بعيد الهمة، وقرئ (أدنأ) من الدناءة))(٢).

وجاءت اللفظة في المعاجم تحمل معاني عدّة؛ قال أحمد بن فارس: ((دنا: الدنيء من الرجال: الدون، وهو مهموز، والدنيء: القريب غير مهموز، من دنا يدنو، وسميت الدنيا لدنوها، والنسبة إليها دنياوي، والمُدْنِي من الرجال: الضعيف، ودانيت بين الأمرين: قاربت بينهما، ...، والأدنأ: الذي فيه انكباب على صدره، ويقال: رجل دنيء، وقد دنأ يدنأ، ويدنؤ دناءة، وقد دَنُؤَ، وأدنت الفرس، وغيرها، إذا دنا نتاجها، والدّنيّة: النقيصة، وفي الحديث ((إذا أكلتم فدنوا))(٣)؛ أي: كلوا مما يليكم، ويحكى: لقيته أدنى دني، أي: أول كل شيء))(٤).

وإذا ما توجهنا تلقاء المفسرين نجد أنّ الأصفهانيّ قد سبق البيضاويّ في بيان معنى (أَدْنى) إذ قال: ((الدّنوّ: القرب بالذّات، أو بالحكم، ويستعمل في المكان والزّمان والمنزلة. قال تعالى: **﴿وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِها قِنْوانٌ دانِيَةٌ﴾**[الأنعام:٩٩]، وقال تعالى:

(١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: ٦٧٥.
(٢) أنوار التنزيل: ٨٤/١.
(٣) غريب الحديث لابن قتيبة ٣: /٧٤٥.
(٤) مجمل اللغة: ٣٣٦.

﴿ثُمَّ دَنا فَتَدَلَّى﴾ [النجم:٨]، هذا بالحكم. ويعبّر بالأدنى تارة عن الأصغر، فيقابل بالأكبر نحو: ﴿وَلا أَدْنى مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْثَرَ﴾ [المجادلة:٧]، وتارة عن الأرذل فيقابل بالخير، نحو: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١]، وعن الأوّل فيقابل بالآخر، نحو: ﴿خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ﴾[الحج:١١]، وقوله: ﴿وَآتَيْناهُ فِي الدُّنْيا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [النحل:١٢٢]، وتارة عن الأقرب، فيقابل بالأقصى نحو: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوى﴾[الأنفال:٤٢]، وجمع الدّنيا الدّني، نحو الكبرى والكبر، والصّغرى والصّغر. وقوله تعالى: ﴿ذلِكَ أَدْنى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهادَةِ﴾[المائد:١٠٨]، أي: أقرب لنفوسهم أنْ تتحرّى العدالة في إقامة الشهادة))[١].

ويقال: ((دَانَيْتُ بين الأمرين، وأَدْنَيْتُ أحدهما من الآخر، وأَدْنَتِ الفرسُ: دنا نتاجها. وخصّ الدّنيء بالحقير القدر، ويقابل به السّيّئ، يقال: دنيء بيّن الدّناءة))[٢].

واتفق البيضاويّ مع الزمخشري في بيان معنى لفظة (أدنى)، فقد قال: ((الَّذِي هُوَ أَدْنى الذي هو أقرب منزلة وأدون مقدارًا، والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال: هو دانى المحل وقريب المنزلة، كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال: هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرّفْعة والعُلُوّ))[٣].

فالبيضاويّ اصطفى لهذه اللفظة معنى من معانٍ عدّة وهو معنى الأقل منزلة، فقال استعير معنى القرب للخسة، وإذا ما أمعنا النظر في المعاجم نجد أنَّ البيضاويّ قد وافق أصحاب المعاجم فيما ذهبوا إليه، إذ تحمل معنى القرب والقلة والخسة في الأخلاق.

(١) المفردات في غريب القرآن : ٣١٨، ٣١٩.
(٢) المصدر نفسه : ٣١٩.
(٣) الكشاف: ١/١٤٥.

أزِفَتِ:

سعى البيضاويّ لبيان معنى لفظة (أَزِفَتِ) الواردة في قوله تعالى: **﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾** [النجم:٥٧]، فقال: ((دنت الساعة الموصوفة بالدنو في نحو قوله: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ))[١].

وبعد البحث في كتب اللغة وجدت أنّها تحمل معاني عدّة، ولكن البيضاويّ اصطفى لها معنى الدّنُوّ.

قال الصاحب بن عباد: ((كُلّ شَيْء اقْتَرَبَ فَقَدْ أزِفَ أزَفًا وأزُوْفًا. وقَوْلُه: (أزِفَتِ الأزِفَةُ) أي: القيامَةُ، وأزِفَ الخُرُوج وأزَفَ وأزُفَ. والأزْفَى: السرْعَةُ والنَّشَاطُ. والمَآزِفُ: العَذِرَاتُ والأقْذارُ، الواحِدَةُ مَأزُفَةٌ. والأزَفُ: سُوْءُ العَيْشِ والضيْقُ فيه. والأزَفُ: البَرْدُ. والشِّدةُ. والمُتَآزِفُ: المَكَانُ الضَّيّقُ. والرَّجُلُ الضَّيِّقُ الخُلُقِ. والذي قَصُرَتْ عِظَامُه. والمَزَادَةُ المُتَآزِفَةُ: الصغِيْرَةُ في المَنْظَرِ))[٢]، كما جاءت بمعنى التعجل[٣]، قال ابن فارس: ((الْهَمْزَةُ وَالزَّاءُ وَالْفَاءُ يَدُلُّ عَلَى الدُّنُوِّ وَالْمُقَارَبَةِ، يُقَالُ: أَزِفَ الرَّحِيلُ: إِذَا اقْتَرَبَ وَدَنَا))[٤]، كما جاءت بمعنى: حضَر ووقَع أو ذهب وانصرم[٥].

وفسّرها أهل التأويل بالدّنُوّ أو الاقتراب أيضًا، قال الطبريّ: ((دَنَت الدّانية: وإنّما يعني: دَنَتِ القيامة القريبة منكم أيها الناس، يقال منه: أَزِفَ رَحِيلُ فلانٍ. إذا دنا وقَرُب))[٦]، كما قال نابغة بني ذُبيان[٧]:

أَزِفَ الترَحُّلُ غَيرَ أنَّ رِكَابِنا لَمَّا تَزَلْ بِرَحالِنا وكأنْ قَد

---

(١) أنوار التنزيل: ١٦٢/٥.
(٢) المحيط في اللغة: ٣٠٧/٢.
(٣) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٣٣٠/٤، (أزف).
(٤) مقاييس اللغة : ٩٤/١، (أزف).
(٥) ينظر: تقويم اللسان: ٧١.
(٦) جامع البيان: ٥٥٧/٢٢.
(٧) ديوانه: ٨٩.

وقال الرازي: ((إِنَّ يَوْمَ الْآزِفَةِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَالْآزِفَةُ فَاعِلَةٌ مَنْ أَزِفَ الْأَمْرُ إِذَا دَنَا وَحَضَرَ لِقَوْلِهِ فِي صِفَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْمَقْصُودُ مِنْهُ التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَرِيبٌ وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾** [الْقَمَرِ:١]، قَالَ الزَّجَّاجُ إِنَّمَا قِيلَ لَهَا آزِفَةٌ لِأَنَّهَا قَرِيبَةٌ وَإِنِ اسْتَبْعَدَ النَّاسُ مَدَاهَا، وَمَا هُوَ كَائِنٌ فهو قريب))[(١)].

في ضوء ما تقدّم من استعراض دلالات لفظة (الدّنُوّ) في بيانات أصحاب المعاجم والمفسّرين بدا أن البيضاويّ قد اصطفى دلالة القرب والمأتي على معنى السّرعة التعجيل.

حُوبًا:

اصطفى البيضاويّ معنى للفظة (حُوبًا) من معانٍ عدّة الواردة في قوله تعالى: **﴿وَآتُوا الْيَتَامى أَمْوالَهُمْ وَلا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾** [النساء:٢[، فقال: ((كانَ حُوبًا كَبِيرًا، ذنبًا عظيمًا. وقُرِئ حَوْبًا، وهو مصدر حَاب حُوبًا وحابًا كقال قُوْلًا وقالًا))[(٢)]، المشتقة من حابَ يحوبُ حوبًا. ولها معانٍ كثيرة ذكرها اللغويون وهي: الإثم، والدعاء، والظلم، والوحشة، والتعبد، والتوجّع، والحاجة المسكنة، والزجر للإبل، والمكان الواسع، والبئر، والماء والأبوان والأُخت والبنت وكل ذي رحم، ورقة قلب الأُم[(٣)].

وبالرجوع لأهل التأويل نجد ما قاله الفرّاء: ((الحُوْب: الإثم العظيم. ورأيت بني أسد يقولون الحَائِب: القاتل، وقد حَابَ يَحُوب))[(٤)].

---

(١) مفاتيح الغيب: ٥٠٢/٢٧.

(٢) أنوار التنزيل: ٥٩/٢.

(٣) ينظر: العين: ٣٠٩/٣، (حوب)، ومقاييس اللغة: ٣٢٣/١ (حوب)، والصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية: ١١٦/١ (حوب)، ولسان العرب: ٣١٥/١، (حوب).

(٤) معاني القرآن: ٢٥٣/١.

وقولهم: حَابَ حُوبًا وحَوْبًا وحِيَابَةً، والأصل فيه حوب لزجر الإبل، وفلان يَتَحَوَّبُ من كذا، أي: يتأثّم، وقولهم: ألحق الله به الحَوْبَةَ، أي: المسكنة والحاجة. وحقيقتها: هي الحاجة التي تحمل صاحبها على ارتكاب الإثم، وقيل: بات فلان بِحَيْبَةِ سوء، والحَوْبَاء قيل هي النّفس، وحقيقتها هي النّفس المرتكبة للحوب(١).

والحوب المصدر، وكذلك الحيابة، والحوب الاسم، وقرأ أبيّ بن كعب (حابًا) على المصدر، مثل القال، ويجوز أنْ يكون اسمًا مثل الزّاد، والحَوْأب (بهمزة بعد الواو) المكان الواسع، والحوْأبُ ماءٌ أيضًا، ويقال: ألحَقَ الله به الحَوْبَة أي المسكنة والحاجة، ومنه قولهم: بات بحيبة سوء، وأصل الياء، الواو، وتَحَوّبَ فلانٌ: أي تعبّد وألقى الحوب عن نفسه، والتحُوُّب أيضًا التحزّن، وهو أيضًا الصياح الشديد، كالزّجر، وفلان يتحوب من كذا أي يتوجع(٢).

وقال طفيل(٣):

فَذُوْقُوا كَمَا ذُقْنَا غَدَاةَ مُحْجرٍ مِنَ الغَيْظِ في أكْبَادِنَا والتّحوُّب

وبهذا قال المفسرون من المتقدمين على البيضاويّ والمتأخرين عنه، ذكر الطبريّ في قوله تعالى: **﴿إِنَّهُ كانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾** إنّ أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم حوب كبير، والهاء في قوله (إنّه) دالة على اسم الفعل، أعني الأكل. وأمّا الحوب فإنّه الإثم، يقال منه: حاب الرجل يحوب حُوْبًا: وحَوْبًا وحِيَابَة، ويقال منه ومنه قيل نزلنا بحوبة من الأرض وبحِيبة من الأرض إذا نزلوا بموضع سوء منها(٤).

(١) ينظر: المفردات في غريب القرآن : ٢٦١.
(٢) ينظر: الكشاف: ٤٦٦/١، والجامع لأحكام القرآن: ١٤/٥، و١٥.
(٣) ديوانه: ٣٢.
(٤) ينظر: جامع البيان: ٢٨٦/٤، و٢٨٧.

فنلحظ أنَّ البيضاويّ اصطفى من المعاني الكثيرة للفظة (حُوبا) في النصّ القرآنيّ موضع البحث معنى الذّنب العظيم، وهو اصطفاء يتناغم ويتناسبُ مع المعنى اللّغويّ ومع السياق القرآنيّ كذلك.

مدخل:

يهدف هذا الفصل إلى تبيان جهود البيضاويّ في الكشف عن المعاني بلحاظ الأثر المعجميّ الذي توسّل به في ممارسته البيانيّة التفسيريّة، وهذا الكشف الدّلاليّ للألفاظ القرآنيّة سيكون في ظلّ الأنساق والألفاظ البنائيّة القرآنيّة، وبدا لي في ظلّ معاينة ما ينسجم من المطلوب أنْ يكون هذا الفصل في ثلاثة مباحث: هي المركّبات الإضافيّة، والمعنى الاحتماليّ واثر القراءات في تحديد المعنى.

المبحث الأول

المركّبات الإضافيّة والوصفيّة

انمازت الألفاظ المركّبة في القرآن الكريم بفعاليتها في التعبير عن المعنى، فاللفظ المفرد يتضمّن معاني محددة تعبر عن حالة معينة، والترابط بين لفظتين يكوّن تركيبًا لفظيًا يجعل المعنى أكثر دقّة ووضوحًا. فقد أوجد الاستعمال القرآنيّ تراكيب صنعها من ألفاظٍ عدّة، فقد صنع القرآن الكريم لغة إسلاميّة واضحة في اللغة العربيّة التي نزل بها، فالأصل فصل الكلمة من الكلمة، لأنّ كل كلمة تدلّ على معنى غير معنى الكلمة الأخرى، فكما أنّ المعنيين متميزان فكذلك اللفظ المعبّر به عنهما متميز[١].

وللمركّبات دلالتها على معناها التركيبي بالعقل لا بالوضع، فإنّ من عرف مسمّى (زيد) وعرف مسمّى (قائم) وسمع (زيد قائم) بإعرابه المخصوص فهم بالضرورة معنى هذا الكلام، وهو نسبة القيام إلى زيد، نعم يصح أنّ يقال: إنّها موضوعة بلحاظ أنّها متوقفة على معرفة مفرداتها التي لا تستفاد إلا من جهة الوضع، ولأنّ للّفظ المركّب أجزاءً مادية وجزءًا صوريًّا وهو التأليف بينهما، وكذلك لمعناه أجزاء مادية وجزء

(١) ينظر: المطالع النصرية: ٩٦.

صوريّ، والأجزاء المادية من اللفظ تدلّ على الأجزاء المادية من المعنى، والجزء الصوريّ منه يدلّ على الجزء الصوري من المعنى بالوضع(١).

فاللفظ المركب تكون فيه فوائد التأليفات والامتزاجات ما يخيل للسامع أنّ هذه الألفاظ ليست تلك التي كانت مفردة، فالقرآن الكريم يأتي بلفظة تحمل من المعاني ما يجعلها تتزاوج مع اللفظة التي قبلها أو التي بعدها ليصبحا تركيبًا مزدوجًا تتولد منه معانٍ جديدة تؤدي أثرًا جديدًا يتلاءم مع الموقف الذي سيقت من أجله اللفظتان.

وقد شكّل المركّب الإضافي ((وهو ما تركّب من المُضاف والمضاف إليه مثل: كتاب التلميذِ، خاتم فضّةٍ، صوم النهارِ))(٢)، بوصفه بِنية حدّيّة مدمجة وسبيكة لغويّة علامة محوريّة في النصّ، فهو مركّب ((قائم على مبدأ الاقتصاد وعلى محليّة العمليات الاشتقاقيّة))(٣). وكذلك المركبات الوصفيّة، وهي تلك التعبيرات اللغويّة ذات الدلالات المختلفة على أنّها تتألّف من كلمتين، أي من الصفة والموصوف(٤).

وتتحصّل من المركّبات الإضافيّة والمركّبات الوصفيّة دلالات من نحو: التقييد والتخصيص والتضييق والمتانة والنسبة(٥). وسأورد في هذا المبحث الألفاظ المركبة أو المتزاوجة فيما بينها؛ لأنّ كلّ لفظة تساعد على بيان المعنى اللغوي للفظة الأخرى.

أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ:

كشف البيضاويّ عن المعنى اللغويّ للفظة (أضغاث) الواردة في قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ﴾**[يوسف:٤٤]، فقال: ((أضغاث

(١) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٣٨/١.
(٢) جامع الدروس العربيّة: ١٥/١.
(٣) المركّبات الاسميّة والحدّيّة في اللّسانيّات المقارنة: ٥٠
(٤) جامع الدروس العربيّة: ١٥/١.
(٥) ينظر: البحث النحويّ عند الأصوليين: ٢٧٤.

أحلام وهي تخاليطها جمع ضغث، وأصله ما جمع من أخلاط النبات وحزم، فاستعير للرؤيا الكاذبة، وإنّما جمعوا للمبالغة في وصف الحلم بالبطلان كقولهم: فلان يركب الخيل، أو لتضمنه أشياء مختلفة))[١].

وعند البحث في كتب أهل اللغة نرى أنَّ أصحاب المعاجم فرقوا بين اللفظ في حالة المفرد واللفظ في حالة الجمع، فذهبوا إلى أنَّ الضغث هو قبضة يجمعها أصل واحد مثل الأسل والكراث والثُّمام، وهو ما قام على ساق واستطال ثم جمعته وكلّ مقبوض عليه بجمع الكف ضغث[٢]. قال ابن فارس: ((الضّاد والغين والثّاء أصل واحد يدلّ على التباس الشّيء بعضه ببعض))[٣].

أمّا الجمع فالأضغاث الرؤيا التي لا تأويل لها[٤]، ((وأضغاث الأحلام ما لا يستقيم تأويله لدخول بعض ما رأى في بعض كأضعاث من بيوت مختلفة يختلط بعضها ببعض))[٥] والأضغاث الأحلام الملتبسة[٦].

والذي يبدو لي أنّ اللفظ المفرد إذا ما أضيف فهو الحزمة من النباتات، أما إذا أضيف أو وصف فسيغيّر معناه، فالعرب تقول: كلام ضغث لا خير فيه، وأتانا بضغث خبر، وأضغاث أخبار أي ضروب منه وهو مجاز[٧]. وهذا ما تنبه عليه البيضاويّ واعتمد عليه في تفسير هذا اللفظ.

---

(١) أنوار التنزيل: ١٦٥/٣.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة: ٤٩/٨، (ضغث)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٢٨٥/١، (ضغث).
(٣) مقاييس اللغة: ٣٦٣/٣، (ضغث).
(٤) ينظر: جمهرة اللغة ٤٢٥/١، (ضغث).
(٥) تهذيب اللغة ٤٩/٨، (ضغث).
(٦) ينظر: مقاييس اللغة: ٣٦٣/٣، (ضغث).
(٧) ينظر: تاج العروس: ٢٩٠/٥، (ضغث).

قال الطبريّ: ((يعنون أنها أخلاط رؤيا كاذبة لا حقيقة لها))[١]، وذهب الزّجّاج إلى أنّ الأضغاث في اللغة الأشياء المختلطة[٢].

وتعني عند السمرقنديّ الأباطيل[٣]، وأوضح الثعلبيّ أنّ واحد الأضغاث ضغث، وأصله الحزمة من الزرع والحشيش[٤]، وأحسب أنّ إضافة الأضغاث إلى الأحلام هو الذي أضفى هذا المعنى الذي ذكره البيضاويّ، والدليل على هذا أنّ الضغث هو كل ما قبض عليه من الحشيش وغيره[٥]. والإضافة بمعنى (مِنْ) أي: أضغاث من أحلام، والمعنى: هي أضغاث أحلام، والحقيقة هو حلم واحد، فلم قالوا أضغاث أحلام فجمعوا ؟ هو كقول العرب: فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخَزّ، لمن لا يركب إلا فرسًا واحدًا وما له إلا عمامة فردة، تزيّدا في الوصف، فهؤلاء أيضًا تزيدوا في وصف الحلم بالبطلان، فجعلوه أضغاث أحلام[٦] ((وإنّما جمعوا أحلام للمبالغة في وصف الحلم بالكذب))[٧].

ويرى الفخر الرازيّ أنّ الأضغاث جمع ضغث وهو الحزمة من أنواع النّبت والحشيش بشرط أن يكون ممّا قام على ساق واستطال[٨]. ويستدل على هذا بقوله تعالى: **﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾** [ص:٤٤].

---

(١) جامع البيان: ٣٨٤/١٦.
(٢) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٨٤/٣.
(٣) ينظر: بحر العلوم: ١٩٥/٢.
(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ٢٢٦/٥.
(٥) ينظر: تفسير السمعاني: ٣٥/٣.
(٦) ينظر: الكشاف: ٤٧٥/٢.
(٧) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٦٠١/٢.
(٨) ينظر: مفاتيح الغيب: ٤٦٣/١٨.

وذهب شهاب الدين الخفاجيّ (ت١٠٦٩هـ) إلى أنّ ضغث الحديث خلطه؛ لأنّ المتبادر منه المجاز المتعارف وإن كان يطلقه على غيره فيه، وذلك أنّ الأحلام وإن تخصصت بالباطلة فالمراد بها هنا مطلق المنامات والمستعار له الأحلام الباطلة وهي مخصوصة، ويرى أنّ الاستعارة هنا ليست استعارة أضغاث الأحلام للمنامات بل استعارة الأضغاث لأباطيل المنامات، وتخاليطها(١).

وأرى أنّ الإضافة والجمع قد تضافرا لإكساب اللفظ هذا المعنى. ما يدلّ على عظمة النظم القرآني وجزالته.

دَابِرُ القَوْمِ:

بيّن البيضاويّ المعنى المعجمِيّ للفظة (دابر) الواردة في قوله تعالى: ﴿**فَقُطِعَ دابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ**﴾ [الأنعام:٤٥]، فقال: ((فقطع دابر القوم الّذين ظلموا، أي آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد من دَبَرَه دَبْرًا ودُبُورًا إذا تَبِعَه))(٢).

وعند البحث عن لفظة (دابر) في كتب أهل اللغة نرى أنّ أصحاب المعاجم فرّقوا بين اللفظ في حالة المفرد واللفظ في حالة الجمع، فذهبوا إلى أنّ الدبر هو ((كلّ شيء خلاف قبله والدابِر: التابِع، ودَبَرَ يَدْبر دبرًا أي: تَبِع الأثر))(٣). أي هو ما كان خلف الشيء، ويقال: ((جعلت كلامه دَبْر أذني أي: أعرضت عنه، ولم ألتفت إليه))(٤)

(١) ينظر: حاشية الشهاب على أنوار التنزيل: ١٨١/٥.
(٢) أنوار التنزيل: ١٦٢/٢.
(٣) العين: ٣١/٨-٣٢، (دبر).
(٤) تهذيب اللغة: ٨٠/١٤، (دبر).

هذا إذا كان اللفظ مفردًا، أمّا إذا أضيف إلى لفظة أخرى فقد تكسبه معنى آخر، فمثلا يقال الدبر: لكثير من الصنعة والمال، رجل كثير الدَّبْر، وعليه مالُ دَبْر[١] ((وبعير أَدْبَر وناقة دَبْرَاء، وأَدْبَر الرّجلُ: دَبَرَتْ دابتُه، فهو مدبر، وأدبر أمر القوم: تولى. ودبر النهار: ذهب، ودابرت فلانًا: عاديته. ودابر فلان: إذا مات، فهو مدابر. والدّبرة والدبار: الكردة من المزرعة والمبقلة. وقد استدبر من أمره ما فاته. والدبر: زنابير النّحل وغيرها. والدَّبر: المال الكثير، لا يثنى ولا يجمع، ويقال: دبر))[٢].

أمّا أهل التفسير فقد ذهبوا مذهب أهل اللغة في بيان معنى اللفظة، قال مقاتل بن سليمان الأزديّ (ت١٥٠هـ): ((فقطع دابر القوم، يعني أصل القوم الّذين ظلموا يعني أشركوا فلم يبق منهم أحد))[٣]، وقال أبو عبيدة: ((أي آخر القوم الذي يدبرهم))[٤]، كما يقال: أصلهم [٥] أي قطع الله خلفهم من نسلهم وغيّرهم فلم تبق لهم بقية، وتنبه الطبريّ على هذا التركيب فقال: ((دابر القوم: الذي يدبرهم، وهو الذي يكون في أدبارهم وآخرهم، يقال في الكلام: قد دَبَرَ القومُ فلان يَدْبُرهم دَبْرًا ودُبُورًا، إذا كان آخرهم))[٦]، مستشهدًا بقول أمية[٧]:

فَأُهْلِكُوا بِعَذَابٍ حَصَّ دَابِرَهُمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ صَرْفًا وَلا انْتَصَرُوا

فنلحظ من ذلك أنّ الدابر آخر كل شيء، وقد استعمل القرآن الكريم من هذا المعنى تركيبَ (فقطع دابر القوم) ليدلّ به على العقاب الذي ينزله الله تعالى بالقوم

(١) ينظر: الجراثيم: ٣٥٨/١
(٢) المحيط في اللغة: ٣٤٦/٢.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦١/١.
(٤) مجاز القرآن: ١٩٢/١.
(٥) ينظر: غريب القرآن: ١٥٤.
(٦) جامع البيان: ٣٦٤/١١.
(٧) ديوانه: ٣٢.

الكافرين الذين وصفهم بالظالمين في الآية الكريمة، وعقاب الاستئصال خاص بالأقوام الكافرة السابقة لأمة محمد صلى الله عليه وآله، وأكد تخصيصه بالأمم السابقة له فاستعمله بهذا المعنى، فأضفى من تركيب اللفظين مصطلحًا له معنى جديد.

ومن هنا فإنّ البيضاويّ أبانَ عن دلالة المركّب الإضافيّ (دابر القوم) بوصفه بِنية مدمجة وسبيكة بنائيّة، وهو ملمح لغويّ تنبّه عليه البيضاويّ.

طَيْرًا أَبَابِيْل:

من التراكيب التي وردت في القرآن الكريم التي يوجد بينها مزاوجة في المعنى هي وصف الطيور بهذه اللفظة (طيرًا أبابيل) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ**﴾ [الفيل:٣]، وقد تنبّه البيضاويّ على معناها اللغويّ فقال: ((وأرسل عليهم طيرا أبابيل جماعات جمع إبالة وهي الحزمة الكبيرة، شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها. وقيل لا واحد لها (كعباديد وشماطيط))[١]. وبيّن البيضاويّ دلالة المركّب الوصفيّ (طيرًا أبابيل) بوصفه بِنية مدمجة تؤدي دلالات الاقتصاد والتخصيص والتقييد، وهذا ما نلمحه في قوله: شبهت بها الجماعة من الطير في تضامّها.

قال ابن منظور: ((الأبابيل جماعة في تفرقة، واحدها إبّيل وإبّول؛ والأبيل: العصا: والأبيل والأبيلة والإبالة: الحزمة من الحشيش والحطب، والأبيل: رئيس النّصارى، وقيل: هو الرّاهب، وقيل: الرّاهب الرّئيس، وقيل: صاحب النّاقوس، وهم الأبيلون))[٢].

قال أبو عبيدة: ((أبابيل جماعة في تفرقة، يقال: جاءت الخيل أبابيل أبابيل من هاهنا وهاهنا))[٣]، وهل لهذه اللّفظة واحد أو لا؟ فيه قولان: الأوّل: وهو قول الأخفش[٤]

(١) أنوار التنزيل: ٣٣٩/٥، والعباديد: الخيل المتفرقة في ذهابها ومجيئها، والشماطيط: القطع المتفرقة.
(٢) لسان العرب: ٦/١١.
(٣) مجاز القرآن: ٣١٢/٢.

الأخفش[١] والفرّاء[٢] أنّه لا واحد لها وهو مثل الشّماطيط والعباديد، لا واحد لها. والثّاني: أنّه له واحد، ثمّ على هذا القول فيه ثلاثة أوجه: أحدها: زعم أبو جعفر الرّؤاسيّ أنّه سمع واحدها إبّالة، وفي أمثالهم: ضغث على إبّالة، وهي الحزمة الكبيرة سمّيت الجماعة من الطّير في نظامها بالإبّالة. وثانيها: قال الكسائيّ: كنت أسمع النّحويّين يقولون: إبول وأبابيل كعجول وعجاجيل[٣].

وثالثها: قال الفرّاء: ((ولو قال قائل: واحد الأبابيل إيبالة كان صوابًا كما قال: دينار ودنانير))[٤].

فهذا التركيب هو أحد التراكيب التي أوجدها القرآن الكريم، فهنالك امتزاج بين اللفظتين، لفظة الطير جاءت نكرة وهي اسم جنس، ولكن اكتمل معناها بوصفها بلفظة أبابيل، وإنّ اقتران الأبابيل بالطير ساعد على تبيان هذ المعنى.

الكَاظِمِينَ الغَيْظ:

أشار البيضاويّ إلى قوله تعالى (الكاظمين الغيظ) في تفسيره قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [آل عمران:١٣٤]، قال: ((الكاظمين الغيظ: المُمْسكين عليه الكافّين عن إمضائه مع القدرة، والكظم: من كَظَمْتُ القِربة إذا ملأتها وشَدَدْتُ رأسها))[٥]، وعن

(١) ينظر: معاني القرآن للأخفش: ٥٨٢/٢.
(٢) ينظر: معاني القرآن: ٢٩٢/٣.
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب: ٢٩١/٣٢.
(٤) معاني القرآن: ٢٩٢/٣.
(٥) أنوار التنزيل: ٣٨/٢.

النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ((من كَظَمَ غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا))[١].

ودلالة هذا المركّب الإسناديّ تنبّه على ذكر دلالة الراغب الأصفهانيّ فقال: ((وكَظْم الغيْظ: حبسُه، قال:﴿ **وَالْكاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾))[٢].

وأبان البيضاويّ مرّة أخرى عن دلالة هذا المركّب (الكاظمين الغيظ) في تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ**﴾ [يوسف:٨٤]: ((والكاظمين الغيظ من كظم الغيظ إذا اجترعه، وأصله كظم البعير جرته إذا ردها في جوفه))[٣].

قال ابن فارس: ((الكاف والظّاء والميم أصل صحيح يدلّ على معنى واحد، وهو الإمساك والجمع للشّيء. من ذلك الكَظْم: اجتراع الغيظ والإمساك عن إبدائه، وكأنّه يجمعه الكاظِم في جوفه، والكُظُوم: السّكوت. والكظوم: إمساك البعير عن الجرَّة. والكَظَم: مَخْرج النَّفَس. يقال أخذ بِكَظَمِه، لأنّه كأنّه مَنَعَ نَفْسَه أن يخرج. والكَظَائِم: خُرُوق تُحْفر يجري فيها الماء من بئر إلى بئر. وإنّما سمّيت كظامة لإمساكها الماء. والكظامة أيضًا: الحَلْقة الّتي تجمع خيوط حديدةِ الميزان؛ وذلك من الإمساك أيضًا. والكِظَامَة: سَيْرٌ يُوْصَل بِوَتَرِ القوس العربيّة ثمّ يُدار بطرف السَّية العُليا. والقياس في جميع ذلك واحد))[٤].

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ٢٩٣/١، وينظر: أنوار التنزيل: ٣٨/٢.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ٧١٢.
(٣) أنوار التنزيل: ١٧٤/٣.
(٤) مقاييس اللغة: ١٨٤/٥، و١٨٥ (كظم).

أمّا الغيظ فمشتقة من غيظ: يقال: غظته أغِيْظُه غَيْظًا. والمغايظة: فِعْلٌ في مُهْلةٍ، أو منهما جميعًا. والتّغيّظ: الاغتياظ[١]، و((الغيظ: غَضَبٌ كَامِنٌ للعاجز. يقال: غَاظَه فهو مُغِيظ))[٢].

وقال النسفيّ: ((والممسكين الغيظ عن الإمضاء يقال كظم القربة إذا ملأها وشدَّ فاها، ومنه كظم الغيظ وهو أن يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له أثرًا، والغيظ توقد حرارة القلب من الغضب))[٣].

وقد تنبه القرطبيّ على وجود تلازم بين الغيظ والكظم، فقال: ((وكظم الغيظ ردّه في الجوف، يقال: كَظَم غيظَه أي سكت عليه ولم يظهره مع قدرته على إيقاعه بعدوه، وكَظِمْتُ السقاء أي ملأته وسددت عليه، والكظامة ما يسدّ به مجرى الماء، ومنه الكِظام للسّير الّذي يسدّ به فم الزّقّ والقربة. وكظم البعير جرّته إذا ردّها في جوفه، وقد يقال لحبسه الجرّة قبل أن يرسلها إلى فيه: كظم، ويقال: كظم البعير والنّاقة إذا لم يجترّا، ومنه قول الرّاعي[٤]:

فَأَفَضْنَ بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ مِنْ ذِي الأبارق إذ رَعَيْنَ حَقِيلَا

... ومنه: رجل كَظِيم ومَكْظُوم إذا كان ممتلئًا غمًّا وحزنًا. وفي التّنزيل:**﴿وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾**، **﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾** [النحل:٥٨]، **﴿إِذْ نادى وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾** [القلم:٤٨]، والغيظ أصل الغضب، وكثيرًا ما يتلازمان، لكنّ فرقان ما بينهما، أنّ الغيظ لا يظهر على الجوارح، بخلاف الغضب فإنّه يظهر في الجوارح مع

(١) ينظر: العين: ٤/٤٣٩، (غيظ).
(٢) الصحاح في اللغة والعلوم: ٣٧٨٣.
(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل: ١/٢٩٣.
(٤) ديوانه: ٥٢، والْحَقِيلُ: مَوْضِعٌ. وَالْحَقِيلُ: نَبْتٌ.

فعل ما، ولهذا جاء إسناد الغضب إلى اللّه تعالى، إذ هو عبارة عن أفعاله في المغضوب عليهم. وقد فسّر بعض النّاس الغيظ بالغضب، وليس بجيّد))[١].

وأرى أنّ الترابط بين اللفظتين هو أشبه بالشيء الذي له غطاء أو حاجز يحفظ ما بداخله من الظهور، فالكَظْم هو الغِطاء الذي يمنع خروج الغيظ وكتمانه أو رده في الجوف، وكلما تحلى المؤمن بالصبر والقوة واليقين فإنّ هنالك بقعة ضوء وهو الفرج من الله (عزّ وجلّ) كلما زاد سمك هذا الغطاء؛ لأنه سبحانه يعلم ما في الصدور.

أَسَاطِيرُ الأَوّلِين:

بيّن البيضاويّ معنى (أساطير الأوّلين) في تفسيره لقوله تعالى: **﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هذا إِلَاّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾** [الأنعام:٢٥] قال: ((الأساطيرُ الأباطيلُ جمع أُسْطُورَة أو أسطَارة أو أسْطَار جمع سَطْر، وأصله السّطر بمعنى الخط))[٢]، وفي قوله تعالى: **﴿لَقَدْ وُعِدْنا نَحْنُ وَآباؤُنا هذا مِنْ قَبْلُ إِنْ هذا إِلَاّ أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾** [المؤمنون:٨٣]، قال: ((أساطير الأوّلين إلا أكاذيبهم التي كتبوها، جمع أُسْطُورة؛ لأنّه يستعمل فيما يتلهى به كالأعاجيب والأضاحيك، وقيل أسطار جَمْع سَطْر))[٣].

وقال الجوهريّ: ((السّطر: الصّفّ من الشيء. يقال: بَنى سطرًا، وغَرَسَ سَطرًا. والسّطر: الخطّ والكتابة ... والسطر بالتحريك مثله، قال جرير[٤]:

مَنْ شاَء بايَعْتُهُ مالي وخُلْعَتَهُ ما تُكْمِلُ التَيمُ في ديوانهم سَطَرا

والجمع أسْطَار، مثل سَبَب وأسْبَاب. قال رؤبة[٥]:

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٠٧/٤.
(٢) أنوار التنزيل: ١٥٨/٢.
(٣)) المصدر نفسه: ٩٣/٤.
(٤) ديوانه: ٦٩٨.
(٥) ديوانه: ١٧٤.

إني وأسْطارٍ سُطِرْنَ سَطرًا لَقائلٌ يا نصر نصرا نَصْرًا

ثم يجمع على أساطِير، وجمع السّطْر أسْطُر وسُطُور، مثل أفْلُس وفُلُوس. والأساطير: الأباطيل، الواحد أُسْطُورة، بالضم، وإِسطارة بالكسر))[1].

فالأساطير كاصطفاف أفراد أو أشياء طوليًّا بانضباط، أو كالصّف من الشجر وغيره، ومنه ((سطر فلانًا: صرعه فامتد على الأرض، والكتاب: كتبه، سطر الكتابة صفّ من الكلمات متجاورة على امتداد واحد فتبدو مسترسلة الامتداد، فتوالي كلمات الصف على استقامتها يجعلها سطرًا كسطر النخل والشجر، والمعنى: الكتابة المسطورة، **﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا﴾**[الفرقان:٥]، هذا هو أصل الأساطير، ثم لما كانت أخبارا مكتوبة عن الأقدمين، غابت شواهدها الواقعة، فخفيت حقائقها على الحاضرين، تشكّكوا فيها؛ فلصق بمعنى اللفظ معنى الارتياب، وقالوا: الأساطير: الأباطيل))[2].

وعند البحث في كتب التفسير لمعرفة رأي المفسرين في بيان معنى الأساطير، إذ قال قتادة بن دعامة (ت١١٨هـ): ((أساطير الأولين، أي: كذب الأوّلين وباطلهم، وليس يقرّون أنّ اللّه أنزل كتابًا، ويقولون إنّ النّبيّ افتراه من عنده أو كذب الأوّلين وباطلهم))[3].

وقال الفرّاء: ((فبعضهم يزعم أنّ واحده أُسْطُورة، وبعضهم إسْطارة، ولا أراه إلّا من الجمع الذي ليس له واحد نحو: عباديد ومذاكير وأبابيل))[4].

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦٨٤/٢، (سطر).

(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١٠٠٨/٢.

(٣) تفسير يحيى بن سلام: ٥٨/١.

(٤) معانى القرآن للأخفش: ٢٩٦/١.

وجاء في تفسير الطبريّ ((الأساطير جمع إسْطارة وأُسطُورة مثل أفكُوهة وأضحُوكة، وجائز أنْ يكون الواحد أَسْطارًا مثل أبْيات، وأبَابيت، وأقْوال وأقَاويل، من قول الله تعالى ذكره: ﴿ **وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ**﴾ [الطور:٢]. من سَطَر يَسْطُر سَطْرًا))[١].

وأبان الراغب الأصفهانيّ عن دلالة هذا المركّب الإضافيّ (أساطير الأولين) قال: ((أي: شيء كتبوه كذبًا وميْنًا، فيما زعموا))[٢].

وأرى أنّ البيضاويّ اعتمد على أهل اللغة في تفسيره معنى الأساطير، فلماذا ترتبط الأساطير بالأولين؟ فعن طريق التنقيب أو البحث في كتب المعاجم تبين أن الأسطورة يراد بها الكلام الملفق الذي لا أصل له أو التّرهات، فزعم الكفار أنّ القرآن الكريم إنّما هو عبارة عن أساطير كتبها محمد (صلى الله عليه وآله) أو اختلقها.

شقّ الأَنْفُس:

كشف البيضاويّ عن معنى الشق في التركيب (بِشِقّ الأنفُس) الوارد في قوله تعالى: ﴿**وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بالِغِيهِ إِلاّ بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُفٌ رَحِيمٌ**﴾ [النحل:٧]، فقال: ((إلّا بشقّ الأنفس إلا بكلفة ومشقة، وقيل: المفتوح مصدر شَقّ الأمر عليه وأصله الصّدع والمكسور بمعنى النصف، كأنه ذهب نصف قوته بالتعب))[٣].

قال ابن فارس: ((الشّين والقاف أصل واحد صحيح يدلّ على انصداع في الشّيء، ثمّ يحمل عليه ويشتقّ منه على معنى الاستعارة. تقول شققت الشّيء أشقّه شقّا، إذا

(١) جامع البيان: ٣٠٨/١١.
(٢) المفردات في غريب القرآن: ٤١٠.
(٣) أنوار التنزيل: ٢٢٠/٣.

صدعته. وبيده شقوق، وبالدّابّة شقاق. والأصل واحد. والشّقّة: شظيّة تشظّى من لوح أو خشبة))[١].

قال الفرّاء: ((الشّقُّ المَشَقّة، والشّقّ: نصف الشيء، وكلا المعنيين في الشق سائغ؛ وقال أكثر القراء: على كسر الشين، ومعناه إلا بجهد الأنفس، وكأنه الاسم، وكأن الشّقّ فعل، قال: ويجوز في قوله: (إلّا بشقّ الأنفس) أنْ يذهب إلى أنّ الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه حتى يجعله قد ذهب بالنصف من بدنه أو قوته، فيكون الكسر على أنّه كالنصف، ويقال: المال بيني وبينكم بشقّ الشَّعر، وشقّ الشّعر، وهما متقاربان، وقال: شققت عليه شقّا))[٢]، و((شققت عليه شقّا، وشق الصبح، وشق بابه إذا طلع، شقوقا منهما، وشَقَقتُ الثوب شَقًّا لا غير؛ ويقال: شقّ عليّ ذلك الأمر مشقة، أي: ثقل عليّ، فجاء من هذا أنّ الشَّقّ بالفتح مصدر شقّ عليه الأمر، أي: أثقله عليه، وشقّ الأمر عليه مشقّة، فهو واقع))[٣]، ومنه قوله (صلى الله عليه وآله وسلّم): ((لولا أنْ أشقّ على أمتي))[٤]. وذهب الماورديّ إلى أنّ (شق الأنفس) فيه وجهان: أحدهما: جَهْد النّفس، مأخوذ من المشقة. والثاني: أنّ الشق: النصف فكأنه يذهب بنصف النفس[٥].

إذًا ارتباط المشقة بالنفس؛ لأنّ المشقة تلحق بالنفس والبدن وهي الصعوبة والمحنة والعناة. ونلحظ أنّ البيضاويّ تنبه لذكر معنى الشق بقوله هو الكسر أو النصف، وهو كشق العصا ونحوها؛ لأنّه ينال منها كالمشقة من الإنسان، فمراد الآية إنكم لم تكونوا بالغيه إلا بنقص من القوة وذهاب شق منها، أي لم تكونوا تبلغوه إلا بنصف قوى أنفسكم وذهاب النصف الآخر.

---

(١) مقاييس اللغة: ١٧٠/٣، (شق)

(٢) معاني القرآن: ٩٧/٢.

(٣) التفسير البسيط: ١٨/١٣

(٤) مسند أحمد: ٤٢٧/١.

(٥) ينظر: النكت والعيون: ٣ /١٨٠.

حَمّالَة الحَطَب:

وضّح البيضاويّ معنى (حمّالة الحطب) في تفسيره قوله تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ**﴾ [المسد:٤] فأبان عن معانٍ عدّة هي: الأوزار والنميمة والخصومة والشوك والحسك؛ إذ قال: ((حمّالة الحطب يعني حطب جهنم، فإنّها كانت تحمل الأوزار بمعاداة الرسول صلّى الله عليه وسلم وتحمل زوجها على إيذائه، أو النميمة فإنها كانت توقد نار الخصومة، أو حزمة الشّوك أو الحَسَك، فإنّها كانت تحملها فتنثرها بالليل في طريق رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم))[١].

وحمّالة مشتقة (حمل) والحمل: ما في البطن، والحمل ما على الظّهر، وأما حمل الشّجر فيقال: ما ظهر فهو حمل، وما بطن فهو حمل. وبعض يقول: حمل الشّجر ويحتجّون فيقولون: ما كان لازمًا فهو حمل، وما كان بائنًا فهو حمل. والحميل: المنبوذ يحمل فيربّى. وحميل السّيل: ما يحمل من الغثاء، والحميل: الولد في بطن الأمّ إذا أخذت من أرض الشّرك. والحمّالة والمحمل: علاقة السّيف، والحَمّالة: الدّية يحملها قوم عن قوم[٢].

قال ابن فارس: ((الحاء والميم واللّام أصل واحد يدلّ على إقلال الشّيء. يقال حملت الشّيء أحمله حملًا. والحمل: ما كان في بطن أو على رأس شجر))[٣].

وجاءت اللفظة على صيغة المبالغة دلالة على الكثرة والمبالغة في فعل الشيء فلم يقل حاملة الحطب على اسم الفاعل، لأنّ المعنى سيختلف سيكون حملها للحَطَبِ مرّات قليلة ولكن حمّالة أصبحت صفة ملازمة لها.

---

(١) أنوار التنزيل: ٣٤٥/٥.

(٢) ينظر: العين: ٢٤١/٣، (حمل).

(٣) مقاييس اللغة: ١٠٦/٢، (حمل).

والحَطَبُ: ما أعدّ من الشجر شَبُوبًا للنّار، وحَطَبَ يَحْطُبُ حَطْبًا وحَطَبًا: المخفّف مصدر، وإذا ثقّل، فهو اسم. واحْتَطَب احْتِطابًا: جمع الحطب. وحَطَبَ فلانٌ حَطبًا يحطُبه واحتطب له: جمعه له وأتاه به [١]، قال ذو الرُّمّة[٢]:

وهَلْ أَحْطِبَنَّ القَوْمَ، وَهْيَ عَرِيَّةٌ أُصُولَ أَلاءٍ فِي ثَرًى عَمِدٍ جَعْدِ

ورجل حاطب ليل: يتكلّم بالغثّ والسّمين، مخلّط في كلامه وأمره، لا يتفقّد كلامه، كالحاطب باللّيل الّذي يحطب كلّ رديء وجيّد، لأنه لا يبصر ما يجمع في حبله، وقد حَطَبَ وأحْطَبَ. واحْتَطَبَتِ الإبل: رَعت دقّ الحطب[٣]، قال الشّاعر[٤] وذكر إبلا:

إنْ أَخْصَبَتْ تَرَكَتْ مَا حَوْلَ مَبْرَكِها زَيْنًا، وتُجْدِبُ، أَحْيانًا، فَتَحْتَطِبُ

اختلف المفسّرون في لفظ (حمّالة الحَطَب) من قوله تعالى المتقدّم على قولين: الأوّل: حمّالة الحطَب: تَحملُ الشّوكَ، وتُلْقِيه في طريق الرّسول (صلّى الله عليه وآله)، وهذا قول ابن عبّاس[٥]، ومجاهد[٦]، واختاره الطّبريّ[٧]. والثاني: حمّالة الحطب: تمشي تمشي بالنّميمة، وهو قول مجاهد أيضًا[٨]، وقتادة[٩]، وبه قال الفرّاء: ((تحرّش بين

(١) ينظر: لسان العرب: ٣٢١/١، (حطب).
(٢) ديوانه: ٦٦٥.
(٣) ينظر: لسان العرب: ٣٢٢/١ (حطب).
(٤) البيت بلا نسبة في لسان العرب ٣٢٢/١، والمخصص ١٧/١٢، وتاج العروس: ٢٩١/٢.
(٥) ينظر: جامع البيان: ٦٧٨/٢٤.
(٦) ينظر: الدر المنثور: ٦٦٧/٨.
(٧) ينظر: جامع البيان: ٦٨٠/٢٤.
(٨) ينظر: تفسير مجاهد: ٧٥٩
(٩) ينظر: جامع البيان: ٦٧٩/٢٤.

النّاس، وتوقد بينهم العداوة))[١]، وابن قتيبة يعني: ((النميمة. ومنه يقال: فلان يحطب عليّ؛ إذا أغرى به))[٢].

والقول الأوّل هو القول المتبادر الأقرب إلى الذّهن، وهو المعنى الظاهر من اللّفظ، قال الطّبريّ: ((وأولى القولين عندي، قول من قال: كانت تحمل الشّوك، فتطرحه في طريق رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم؛ لأنّ ذلك هو أظهر معنى ذلك))[٣].

والمعنى الثاني أبعد عن الذّهن من المعنى الأوّل، غير أنّه معروف في اللّغة، قال ابن قتيبة: ((قال ابن عبّاس: الحطب: النّميمة، وكانت تورّش بين النّاس. ومن هذا قيل: فلان يحطب عليّ: إذا أغرى به، شبّهوا النّميمة بالحطب، والعداوة والشّحناء بالنّار؛ لأنّهما يقعان بالنّميمة، كما تلهب النّار الحطب))[٤].

هنالك علاقة بين الحمل والحطب، أي مزاوجة بين اللفظتين، فمن معاني الحطب هو الحقد والفتن والنميمة، والدلالة على اشتعال الفتن بين الناس، ومن معاني الحمل رفع الشيء كحمل المرأة طفلها في أحشائها، فامرأة أبي لهب تحمل في داخلها الكُرْه والحقد والنميمة، وحمل الحطب كناية عن النّمائم؛ لأنّها توقع بين الناس الشّرّ وتشعل بينهم النّيران كالحطب الذي يدلى به في النار، والعرب تقول لمن يسعى في الفتنة ويفسد بين الناس: هو يحمل الحطب بينهم، كأنّه بعمله يحرق ما بينهم من صلات.

(١) معاني القرآن: ٢٩٩/٣.
(٢) غريب القرآن: ٥٤٢.
(٣) جامع البيان: ٦٨٠/٢٤.
(٤) غريب القرآن: ٥٤٢،

دُلُوْك الشَّمْسِ:

تنبّه البيضاويّ على معنى (الدّلوك) الواردة في قوله تعالى: **﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾** [الإسراء:٧٨]، قال: ((وأصل التركيب للانتقال ومنه الدّالِك، فإنّ الدّالِك لا تستقر يده، وكذا كلّ ما تركّب من الدّال واللام: كدّلَجَ ودَلَح ودَلَع ودَلَف ودَلَه. وقيل: الدّلوك من الدّلْك؛ لأنّ الناظر إليها يَدْلُك عينيه؛ ليدفع شعاعها))[١]. ونبصُر أنّ البيضاويّ قد أشار إلى التركيب (دلوك الشمس).

والدلوك مشتقة من الدّلك: دَلَكْتُ السّنبل حتى انفرك قِشْرُه عن حبّه. والدّليك: طعام يتخذ من زبد ولبن، شبه الثّريد. ودَلَكَتِ الشمسُ دلوكة: غَربت، ويقال: إنّ الدلوك زوالها عن كبد السماء أيضا، والدّليك: نبيذ التمر يطبخ التمر ثم يدلك بالماء فيسمى دليكة. والمدلك: الشديد الدلك[٢].

كما أكّد البيضاويّ الترابط بين اللفظتين من خلال قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصلى بي الظهر))[٣].

وقد سبقه ابن عطية، إذ قال: ((إنّ الدّلوك هو الميل في اللغة، فأول الدّلوك هو الزوال، وآخره هو الغروب، ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دُلُوكًا، لأنّها في حالة ميل، فذكر الله الصلوات التي في حالة الدلوك وعنده، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب، ويصح أنْ تكون المغرب داخلة في غسق الليل، ومن الدلوك الذي هو الميل

(١) أنوار التنزيل: ٢٦٤/٣.
(٢) ينظر: العين: ٣٢٩/٥.
(٣) الدر المنثور: ٣٢١/٥.

قيل: أيُدَالِكُ الرجلُ امرأته، يريد أيميل بها إلى المطل في دينها؟ فقيل: نعم، إذا كان ملفجا، أي :عديما))[1]. واستدل على هذا المعنى ببيت من الشعر لذي الرُّمَّة[2]:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ باللّواتِي تقودها نُجُومٌ ولا بِالآفِلَاتِ الدّوَالِكِ

نلحظ أنّ هنالك ترابطًا في تركيب دُلُوك الشّمس، أي أنّ الدلوك يحمل معنى الزوال، وهذا المعنى مقترن بالشمس؛ لأنها تتصف بخاصية الزوال أو الغروب.

يتبين لنا من بعد هذا البحث إلى أهمية التراكيب اللغوية التي تساعد على استظهار المعنى وتوضيحه وسهولة فهمه؛ لأنّ بعض الألفاظ يصعب الفصل بينها؛ كون ذلك يؤدّي إلى غموضها؛ لنفي اكتمال المعنى الذي تكسبه عن طريق الترابط أو التزاوج مع بعضها.

(١) المحرر الوجيز: ٤٧٧/٣.

(٢) ديوانه: ٤٢٥.

المبحث الثاني

المعنى الاحتماليّ

يَرِدُ على اللَّفظِ في لغةِ العربِ احتمالُ الاشتراكِ، كما سبقَ، وقدْ تكونُ دلالةُ اللَّفظِ على المعنيينِ في درجةٍ قويَّةٍ من الاحتمالِ، وقبولِ السياقِ لهما، وقدْ تتفاوتُ هذه المعاني في هذا الاحتمالِ، فيكون اللَّفظُ دائرًا بين معنيينِ أحدهُما أشهرُ وأظهرُ في معنى اللَّفظِ من الآخرِ. وإذا دارَ الكلامُ بينَ هذينِ، قُدِّمَ الأشهرُ والأظهرُ من معاني اللَّفظِ والمقصودُ أنَّ هذا الاختلافَ وَقَعَ بسببِ احتمالِ هذا اللَّفظِ لِلْمَعْنَيَينِ على سبيلِ الاشتراكِ اللُّغويِّ.

والاحتمال في الاصطلاح ((ما لا يكون تصوّر طرفيه كافيًا، بل يتردّد الذهن في النسبة بينهما، ويُراد به الإمكان الذهنيّ))[1]، والمُراد نفي القطع بصحّة طرفٍ دون آخر، إلّا أنّ الاحتمال قد يُقدّم المعنى الأشهر والأظهر والمتبادر.

شُهَدَاء:

سعى البيضاويّ لبيان معنى لفظة (شهداء) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلى عَبْدِنا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَداءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ**﴾ [البقرة:٢٣]، قال: ((والشُهَدَاء جَمْعُ شَهِيْدٍ بمعنى الحاضر، أو القائم بالشهادة، أو الناصر، أو الإمام. وكأنه سُمّي به؛ لأنّه يحضر النوادي وتُبْرَم بمحضره الأمور، إذ التركيب للحضور، إما بالذات أو بالتصور، ومنه قيل: للمقتول في سبيل الله شهيد؛ لأنه حضر ما كان يرجوه، أو الملائكة حضروه))[2].

(١) التعريفات: ١٠٤.

(٢) أنوار التنزيل: ٥٧/١.

جاء في الْعين: شهِد عَلَيْهِ شَهَادَة فَهُوَ شَاهد وَكَذَلِكَ الْأُنْثَى وَالْجمع أشْهَاد وشُهُود وشهيد وَالْجمع شُهَدَاء، وشهْد اسْم للْجمع وأشهدْتهم عَلَيْهِ واستشهدْت الرجل، سَأَلته الشَّهَادَة[١].

قال ابن فارس: ((الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ))[٢]. و((الشاهِدُ والشَّهيدُ: الْحَاضِر، وَالْجمع شُهداءُ وشُهَّدٌ وشُهَّادٌ وأشْهادٌ وشُهودٌ))[٣].

وذكر المفسّرون أنّ هنالك ثلاثة تأويلات للفظة: أحدها: يعني أعوانكم، وهذا قول ابن عباس. والثاني: آلهتكم، لأنّهم كانوا يعتقدون أنّها تَشْهَد لهم، وهذا قول الفراء. والثالث: ناسًا يشهدون لكم[٤]. وبيّن الفخر الرازيّ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الشُّهَدَاءِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: الْمُرَادُ مَنِ ادَّعَوْا فِيهِ الْإِلَهِيَّةَ وَهِيَ الْأَوْثَانُ، وذكر لِأَنَّ الشُّهَدَاءَ جَمْعُ شَهِيدٍ بِمَعْنَى الْحَاضِرِ أَوِ الْقَائِمِ بِالشَّهَادَةِ فَيُمْكِنُ جَعْلُهُ مَجَازًا عَنِ الْمُعِينِ وَالنَّاصِرِ، وَأَوْثَانُهُمْ وَأَكَابِرُهُمْ مُشْتَرِكَةٌ فِي أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْتَقِدُونَ فِيهِمْ كَوْنَهُمْ أَنْصَارًا لَهُمْ وَأَعْوَانًا، وَإِذَا حَمَلْنَا اللَّفْظَ عَلَى هَذَا الْمَفْهُومِ الْمُشْتَرَكِ دَخَلَ الْكُلُّ فِيهِ والثَّانِي: الْمُرَادُ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَكَابِرُهُمْ أَوْ مَنْ يُوَافِقُهُمْ فِي إِنْكَارِ أَمْرِ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وآله وسلم)، وَالْمَعْنَى وَادْعُوا أَكَابِرَكُمْ وَرُؤَسَاءَكُمْ لِيُعِينُوكُمْ عَلَى الْمُعَارَضَةِ وَلِيَحْكُمُوا لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ فِيمَا يُمْكِنُ وَيَتَعَذَّر[٥].

نلحظ في ضوء البحث في كتب اللغة أنّ معنى لفظ (شهد) ليس بمعنى الرؤية أو للدلالة على القتل في سبيل الله فحسب، وإنّما بمعنى الحضور، وهذا من شروط الشهادة، فمعنى شهدائكم في الآية: ادْعُوا مَنْ يَشْهَد بَعْضُكم لبعض أو أكابركم لاتفاقكم على هذا الإنكار.

(١) ينظر: العين : ٣٩٨/٣، (شهد).
(٢) مقاييس اللغة: ٢٢١/٣، (شهد).
(٣) المحكم والمحيط الأعظم: ١٨١/٤.
(٤) ينظر: النكت والعيون: ٨٤/١.
(٥) ينظر: مفاتيح الغيب: ٣٥٠/٢.

المُسَوّمَة:

أوضح البيضاويّ لفظة (الْمُسَوَّمَةِ) في اللغة عند تفسيره قوله تعالى :﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّساءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعامِ وَالْحَرْثِ ذلِكَ مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ**﴾ [آل عمران:١٤]، قال: ((المُسَوّمَة المُعَلّمَة من السّومة وهي العَلَامة، أو المرعية من أَسَام الدابة وسَوْمها، أو المُطَهّمَة))[١].

عند النظر في بيانات البيضاويّ اللّغويّة فيما يتعلّق بالكشف عن معنى (المُسَوَّمة) نرى أنّه قد استعرض ثلاثة معانٍ، وهي: العَلامة، والمَرْعيّة، والمُطَهّمة (المكتنزة لحمًا) من ذوات الحُسْن.

وقد جاء السَوم في اللغة على معانٍ عدّة هي: العلامة، وتثمين الشيء، وسير الإبل، والمَرْعِيَّةُ، وهبوب الرياح إذا كان مستمرًا في السكونِ، كذلك المداومة في الإلحاح في عمل الشيء كقولك: سامَ فلانٌ فلانًا، وسَومَ الرَّجُلُ تَسْوِيْمًا: إذا أغَارَ على القَوْمِ إغَارَةً فَعَاثَ فيهم، وسَوَامَا الفَرَسِ: النُّقْرَتانِ أسْفَلَ من العَيْنِ تَسِيْلُ عليهما دُمُوْعُه وسَوَّمْتُ فُلانًا في مالي تَسْوِيمًا: أي حَكمْته فيه. وكذلك إذا خَلَّيْتَه وسَوْمَه. ومَثَّل: عَبْد وسُومَ في يَدَيْه، أي مُلكَ الأشْيَاءَ وسَومْنا عليهم الخَيْلَ فَسَامَتْ: أي مَضَتْ. واحْبِسْها عن سَوَامِها: وهو نَشَاطُها وسُرْعَتُها. والطيْرُ تَسُوْمُ على الشيْءِ: أي تَحُومُ عليه[٢].

وقال ابن فارس: ((السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى طَلَبِ الشَّيْءِ. يُقَالُ سُمْتُ الشَّيْءَ، أَسُومُهُ سَوْمًا))[٣]. ويرى أنّ معنى العَلامة في الشيء ممّا شذّ عن الباب[٤].

---

(١) أنوار التنزيل: : ٨٦/٢.

(٢) ينظر: المحيط في اللغة: ٢٨١/٢، و ٢٨٢، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٩٥٥/٥، (سوم).

(٣) مقاييس اللغة: ١١٨/٣، (سوم).

(٤) ينظر: مقاييس اللغة: ١١٨/٣، (سوم).

وعند البحث في كتب التفسير نلحظ أنَّ ما ذكره البيضاويّ قد أورده المفسرون، فقال بعضهم: الْمُصَوَّرَةُ حُسْنًا[١]، وقيل: الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ يعني السائمة وهي الراعية[٢]، أوهِيَ الْمُطَهَّمَةُ الْحِسَانُ [٣].

قال الطبريّ: ((المعلَّمة بالشِّيات، الحسان، الرائعة حسنًا من رآها. لأنّ التسويم في كلام العرب: هو الإعلام. فالخيل الحسان مُعلَّمةٌ بإعلام الله إياها بالحسن من ألوانها وشِياتها وهيآتها، وهي المطهَّمة أيضًا))[٤]. ومن ذلك قول نابغة بني ذبيان في صفة الخيل[٥]:

بِضُمْرٍ كَالقِدَاحِ مُسوَّماتٍ عَلَيْهَا مَعْشَرٌ أَشْبَاهُ جِنِّ

يتبيّن من بعد البحث أنّ اللفظ له معانٍ متعددة: الأول: سائمة تأكل كما تشتهي لا علاقة لها بما تأتي به، والثاني: مُسَوّمَة تعني معلَّمة فيها علامات كالغُرَر وما شابه ذلك من صفات تبرز جمالها وتجعلها مختلفة عن غيرها، أو المُعَلّمة أي مُرَوّضَة، لكي يُفَاد منها في تأدية احتياجات الإنسان كالتنقل والحَمْل وغيرها.

وبدا لنا أنّ البيضاويّ قد أعطى اللفظ معاني متعددة، وكلها تصلح وتتفق مع سياق الآية الكريمة، وما ذكره لا يخرج فيه عن رأي أهل اللغة، ووافقه فيه جمعٌ من المفسّرين.

(١) ينظر: تفسير مجاهد: ٢٤٩.
(٢) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٢٦٦/١.
(٣) ينظر: تفسير عبد الرزاق: ٣٨٤/١.
(٤) جامع البيان: ٢٥٤/٦.
(٥) ديوانه: ٨٦.

بَيَّتَ:

أوضح البيضاويّ المعنى المعجمِيّ للفظة (بَيَّتَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ طاعَةٌ فَإِذا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفى بِاللَّهِ وَكِيلًا**﴾ (النساء:٨١)، فذكر أنّ للفظ معاني عدّة، قال: ((والتّبْيِيت إمّا من البَيتوتة؛ لأنّ الأمور تدبّر بالليل، أو من بيت الشعر، أو البيت المبني لأنه يسوي ويدبر))[١].

قال ابن فارس: ((الْبَاءُ وَالْيَاءُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَأْوَى وَالْمَآبُ وَمَجْمَعُ الشَّمْلِ. يُقَالُ بَيْتٌ وَبُيُوتٌ وَأَبْيَاتٌ. وَمِنْهُ يُقَالُ لِبَيْتِ الشِّعْرِ بَيْتٌ عَلَى التَّشْبِيهِ، لِأَنَّهُ مَجْمَعُ الْأَلْفَاظِ وَالْحُرُوفِ وَالْمَعَانِي، عَلَى شَرْطٍ مَخْصُوصٍ وَهُوَ الْوَزْنُ ، وَالْبَيَاتُ وَالتَّبْيِيتُ: أَنْ تَأْتِيَ الْعَدُوَّ لَيْلًا، كَأَنَّكَ أَخَذْتَهُ فِي بَيْتِهِ .وقيل بُيِّتَ الشَّيْءُ إِذَا قُدِّرَ، وَيُشَبَّهُ ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ بُيُوتِ الشَّعْرِ. وَهَذَا لَيْسَ بِبَعِيدٍ مِنَ الْأَصْلِ الَّذِي أَصَّلْنَاهُ وَقِسْنَا عَلَيْهِ))[٢].

وذكر ابن سيده أنّ المَبِيتَ: المَوْضِعُ الذي يُباتُ فيهِ. وما لَه بِيتُ لَيْلَةٍ. وبِيَتُها: أي قِيتَتُها. والبِيْتَةُ: حالُ المبيت[٣].

وقد سبق الزمخشريُّ إلى ما جاء به البيضاويّ إذ قال :((التبييت: إما من البيتوتة، لأنه قضاء الأمر وتدبيره بالليل، يقال: هذا أمر بُيّت بليل. وإما من أبيات الشعر، لأنّ الشاعر يدبّرها ويُسوّيها وَاللَّهُ يَكْتُبُ ما يُبَيِّتُونَ يثبته في صحائف أعمالهم، ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد، أو يكتبه في جملة ما يوحى إليك فيطلعك يا محمد على أسرارهم، فلا يحسبوا أنّ إبطانهم يغنى عنهم))[٤].

---

(١) أنوار التنزيل: ٨٦/٢.

(٢) مقاييس اللغة: ٣٢٤/١، (بيت).

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٥٢٧/٩، (بيت).

(٤) الكشاف: ٥٣٩/١.

وفسّر ابن عطيّة الآية الكريمة بقوله: ((المعنى يقولون لك يا محمد: أمرنا طاعة، فإذا خرجوا من عندك اجتمعوا ليلًا وقالوا غير ما أظهروا لك. وبَيَّتَ معناه فعل ليلًا، فإمّا أخذ من بات، وإمّا من البيت؛ لأنّه ملتزم بالليل وفي الأسرار التي يخاف شياعها))(١).

وقال الفخر الرازيّ في بيانه لمعنى اللفظ: ((إِنَّ فِي اشْتِقَاقِهِ وَجْهَانِ: الْأَوَّلُ: اشْتِقَاقُهُ مِنَ الْبَيْتُوتَةِ، لِأَنَّ أَصْلَحَ الْأَوْقَاتِ لِلْفِكْرِ أَنْ يَجْلِسَ الْإِنْسَانُ فِي بَيْتِهِ بِاللَّيْلِ، فَهُنَاكَ تَكُونُ الْخَوَاطِرُ أَخْلَى وَالشَّوَاغِلُ أَقَلَّ، فَلَمَّا كَانَ الْغَالِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ وَقْتَ اللَّيْلِ يَكُونُ فِي الْبَيْتِ، وَالْغَالِبُ لَهُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَسْتَقْصِي فِي الْأَفْكَارِ فِي اللَّيْلِ، لَا جَرَمَ سُمِّيَ الْفِكْرُ الْمُسْتَقْصَى مُبَيَّتًا. الثَّانِي: اشْتِقَاقُهُ مِنْ بَيْتِ الشِّعْرِ وقيل: الْعَرَبُ إِذَا أَرَادُوا قَرْضَ الشِّعْرِ بَالَغُوا فِي التَّفَكُّرِ فِيهِ فَسَمَّوُا الْمُتَفَكَّرَ فِيهِ الْمُسْتَقْصَى مُبَيَّتًا، تَشْبِيهًا لَهُ بِبَيْتِ الشِّعْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ يُسَوَّى وَيُدَبَّرُ)) (٢).

فذكر البيضاويّ احتمالاتٍ عدّة تنسجم مع سياق الآية الكريمة، ولم يرجّح معنًى على معنى آخر.

سامِدُونَ:

أبان البيضاويّ عن معنى لفظة (سامِدُونَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَأَنْتُمْ سامِدُونَ**﴾ [النجم:٦١]، فهو لم يصطفِ لها معنًى محدّدًا، وإنّما ذكر أكثر من معنى، فقال: ((سامِدُونَ لاهون أو مستكبرون من سمد البعير في مسيره إذا رفع رأسه، أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السُّمُود وهو الغناء))(٣).

(١) المحرر الوجيز: ٨٣/٢.
(٢) مفاتيح الغيب: ١٥٠/١٠.
(٣) أنوار التنزيل: ١٦٣/٥.

وهي مشتقة من (سمد)، والسَّمْدُ من السَّير: الدَّأْب، ويقال: سَمَدَتِ الإبلُ تُسْمُد سُمُودًا أي لم تعرف الإعياءَ، والسُّمود في الناس: الغَفْلة والسَّهْوُ عن الشيء، والسامِد: القائم، وكُلُّ رافعٍ رأسَه فهو سامِدٌ (رفع رأسَه تكبرًا)، وسَمِدَ يسمَدُ ويسمُدُ سُمُودًا. والسَّمادُ: ترابٌ قويٌّ يُسَمَّدُ به النَّبات. وسَمَّدَ شَعْرَه: أخَذَه كلَّه[1].

قال ابن فارس: ((السِّينُ وَالْمِيمُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى مُضِيٍّ قُدُمًا مِنْ غَيْرِ تَعْرِيجٍ. يُقَالُ سَمَدَتِ الْإِبِلُ فِي سَيْرِهَا. إِذَا جَدَّتْ وَمَضَتْ عَلَى رُؤُوسِهَا))[2].

وعند البحث في كتب التفسير لمعرفة ما جاء به المفسرون، نجد ما قاله ابن قتيبة: ((وَقد اخْتلف فِي السُّمُود فَقَالَ بَعضهم السُّمُود اللَّهْو والغناء. يُقَال لِلْجَارِيَةِ: اسْمِدِي لنا أي: غَنِّي لنا. وَيُقَال: السُّمُود أَنْ يَبْهُت الرجل وَيَنْقَطِع))[3].

وفسّرها الطبريّ بقوله: ((وأنتم لاهون عمّا فيه من العِبَر والذّكر، معرضون عن آياته؛ يقال للرجل: دَعْ عنا سُمودَك، يُرَاد به: دع عنا لهوك، يقال منه: سَمَدَ فلانٌ يَسْمُد سُمُودًا))[4].

وزاد أنَّه وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل وإنْ اختلفت ألفاظهم بالعبارة، فقال بعضهم: غافلون. وقال بعضهم: مغنون. وقال بعضهم: مُبَرْطمون، وقيل: كانوا يمرّون على النبي صلى الله عليه وآله وسلّم شامخين، ألم تروا إلى الفحل في الإبل عَطِنًا شامخًا، وقيل السُّمُود: اللّهْو واللعب. وقيل: كانوا يكرهون أنْ يقوموا إذا أقام المؤذن للصلاة، وليس عندهم الإمام، وكانوا يكرهون أنْ ينتظروه قيامًا، وكان يقال: ذاك

(١) ينظر: العين: ٢٣٤/٧، (سمد)، والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٤٨٩/٢، (سمد).
(٢) مقاييس اللغة: ١٠٠/٣، (سمد).
(٣) غريب الحديث: ٥٩٧/٢.
(٤) جامع البيان: ٢٢/ ٥٥٨.

السُّمود، أو من السُّمود[١]. وبدا لنا أنّ البيضاويّ أعطى اللفظ معانٍ متعددة، وكلّها تتوافق مع سياق الآية الكريمة.

الرّيْحَان:

سعى البيضاويّ الى بيان معنى لفظة (الرّيْحَان) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ** ﴾ [الرحمن:١٢]، فقال: ((الرَّيْحانُ يعني المَشْمُوم، أو الرّزق من قولهم: خَرَجْتُ أطلبُ رَيْحَانَ اللهِ، وهو فَيْعَلَان من الرُّوْح، فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفّف، وقيل: رُوْحَان، فقلبت واوه ياءً للتخفيف))[٢].

وجاء في الصّحاح: ((الرَيْحَان: الرِزْقُ. تقول: خَرَجْتُ أبتغي رَيْحانَ الله. وفي الحديث: الوَلَد من رَيْحانِ الله. وقولهم: سَبْحانَ الله ورَيْحانَه، نَصَبوهما على المصدر، يُريدونَ تَنْزيهًا له واسترزاقًا وأمّا قوله تعالى: ﴿**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**﴾ فالعَصْفُ: ساقُ الزرعِ، والرَيْحانُ: وَرَقُهُ))[٣].

وقيل: إنّ الريْحَان كلّ بَقْلٍ طَيّبِ الرّائحةِ، له رائحةٌ تَشْرَحُ النفْس: ﴿**فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ**﴾ [الواقعة:٨٩]، فُسِّرا بالرحمة والرزق والنفْس تَنْبَسِطُ بهما ﴿**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**﴾ [الرحمن:١٢]، الرزق: سعة وراحة[٤]. وقال أبو عبيدة: ((والريحان الحبّ منه الذي يؤكل))[٥].

(١) ينظر: جامع البيان: ٢٢/ ٥٥٨، ٥٦١.
(٢) أنوار التنزيل: ١٧١/٥.
(٣) الصحاح في اللغة والعلوم: ٢٠٢٠.
(٤) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٧٧٢/٢.
(٥) مجاز القرآن: ٢٤٣/٢.

اختلفَ المفسِّرونَ في تفسيرِ لفظِ (الرَّيحَانِ) من قوله تعالى: ﴿**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ**﴾ على أقوالٍ، منها: أنّ الرَّيحانُ: الرِّزْقُ، وبه قال الفرّاء[١] ومُجَاهِدُ[٢]، وغيرهما. قال الطبريّ: ((الرّيْحَان ما قام على ساق، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول مَنْ قال: عُنِي به الرزق، وهو الحبّ الذي يؤكل منه، وإنّما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لأن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الحبّ أنه ذو العَصْف، وذلك ما وصفنا من الورق الحادث منه، والتبن إذا يبس، فالذي هو أولى بالرّيْحَان، أنْ يكون حبه الحادث منه، إذ كان من جنس الشيء الذي منه العصف، ومسموع من العرب تقول: خرجنا نطلب رَيْحان الله ورزقه، ويقال: سبحانَك وريحانَك: أي ورزقك))[٣].

وذُكر عن بعضهم أنّه كان يقول: العَصْف: المأكول من الحَبّ. والرّيحان: الصحيح الذي لم يُؤْكَل؛ وقال: إنّ الحَبّ كالقمح والشعير ونحوهما له في حال نباته عَصْف، وهو: ما على السُّنبلة، وريحان، وهو: الورق الملتفّ على ساقها[٤].

فالريحان هو نبات عطري له رائحة زاكية واستخدمه القدماء في علاج الأمراض لكثرة فوائده، وسمي بهذا الاسم؛ لأنّه يعمل على إراحة النفس. أمّا تفسيره فبحسب قول المفسرين: إنّه بمعنى الرزق، وإنّه بمعنى الورق والزرع الأخضر، وإنّه النبات ذو الرائحة الطبية، فهذا هو المعنى الاحتمالي للفظ (الرّيْحَان).

ضَحِكَتْ:

وقف البيضاويّ على لفظة (ضَحِكَتْ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاها بِإِسْحاقَ وَمِنْ وَراءِ إِسْحاقَ يَعْقُوبَ** ﴾ [هود:٧١] إذ بين المعنى

(١) ينظر: كتاب فيه لغات القرآن: ١٣٨.
(٢) ينظر: تفسير مجاهد: ٦٣٦.
(٣) جامع البيان: ٢١/٢٢.
(٤) ينظر: موسوعة التفسير المأثور: ٨٨/٢١.

لـ(الضَّحْك) ففسّره بمعنى السرور أو الحيض، فقال: ((فَضَحِكَتْ سرورًا بزوال الخيفة أو بهلاك أهل الفساد أو بإصابة رأيها فإنها كانت تقول لإبراهيم: اضمم إليك لوطًا فإنّي أعلم أنّ العذاب ينزل بهؤلاء القوم، أو فضحكت فحاضت))[١]. واستدلّ على هذا المعنى بقول الشاعر[٢]:

وَعَهْدِي بِسَلْمَى ضَاحِكًا فِي لُبَابَة وَلَمْ يَعْدُ حُقًّا ثَدْيُهَا أَنْ تَحَلَّمَا

ومنه ضَحِكَت السّمرة إذا سالَ صَمْغُها، وقُرِئَ بفتح الحاء[٣].

قال الفيروزآباديّ: ((ضَحِكَ، كعَلِمَ، وناسٌ يقولونَ: ضِحِكْتُ، بكسرِ الضادِ، ضَحْكًا، بالفتحِ وبالكسرِ، وبكسرتينِ، وككَتِفٍ، ومِضْحاكٌ وضُحَكَةٌ، كهُمَزَةٍ وكحُزُقَّةٍ: كثيرُ الضَّحِكِ، وضُحْكَةٌ، بالضم: يُضْحَكُ منه، والضَّحَّاكُ، كشَدَّادٍ وهُمَزَةٍ: ذَمٌّ، والضاحِكَةُ: كلُّ سِنٍّ تَبْدو عندَ الضَّحِكِ، أو الأرْبَعُ التي بين الأَنْيابِ والأَضْراسِ ،والأُضْحوكَةُ: ما يُضْحَكُ منه، وضَحِكَتِ الأرْنَبُ: حاضَتْ، ومنه قوله تعالى: **﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾** والضَّحْكُ، بالفتحِ: الثَّلْجُ، والزُّبْدُ، والعَسَلُ، أو الشُّهْدُ، والعَجَبُ، والثَّغْرُ الأَبْيَضُ، والنَّوْرُ، ووَسَطُ الطَّريقِ، كالضَّحَّاكِ، وطَلْعُ النَّخْلَة إذا انْشَقَّ عنه كِمامُهُ، وبالضم: جَمْعُ ضَحوكٍ ،والضَّاحِكُ: حَجَرٌ شَديدُ البَياضِ يَبْدو في الجَبَلِ))[٤].

واختلف المفسرون في العلّة الجالبة لِضَحْكِها، جاء في تفسير الثعلبيّ ((بمعنى هي ضَحِكَت وقالتْ: عجبًا لأضيافنا نخدمهم بأنفسنا وهم لا يأكلون طعامنا، فقالوا: يا إبراهيم إنّا لا نأكل طعامًا إلا بثمن. قال: فإنّ له ثمنًا. قالوا: وما ثمنه؟ قال: تَذْكُرُون اسم الله على أوَّلِه وتَحْمَدُونَه على آخِرِه. فنظر جبريل إلى ميكائيل فقال: حُقَّ لهذا أنّ

(١) أنوار التنزيل: ١٤١/٣.
(٢) لم نهتدِ لقائله.
(٣) ينظر: أنوار التنزيل: ١٤١/٣.
(٤) القاموس المحيط: ٩٤٧.

يتخذه ربّه خليلًا . فلّما رأى إبراهيم وسارة أيديهم لا تصل إليه، ضَحِكَت سارة وقالت: يا عجبًا لأضيافنا هؤلاء إنا نخدمهم بأنفسنا تَكْرِمَةً لَهم، وهم لا يأكلون طعامنا))[١].

كما تنبّه الكرمانيّ على المعنيين فقال: ((قوله: فَضَحِكَتْ، أي سرورًا بالأمر، وقيل: فيه تقديم، أي بشرناها بإسحاق فَضَحِكَتْ سرورًا بالولد. العجيب: ضَحِكَت، حَاضَت، من ضَحِكَت الأرنبُ، وضَحِكَتِ الثّمرة إذا سالت منها صِبْغَة تشبه الدّمّ، والغريب معنى ضَحِكَتْ أشرقَ لونُها من قولهم: ضَحِكَتِ الرّوْضة))[٢].

وقد كان بعض أهل العربية من الكوفيين يزعم أنّه لم يسمع (ضَحِكَت)، بمعنى: حاضت[٣]. وذكر بعض أهل العربية من البصريين أنّ بعض أهل الحجاز أخبره عن بعضهم أنّ العرب تقول: ضَحِكَت المرأة، حَاضَت[٤]. قال: وقد قال: الضحك: الحيض، وقد قال بعضهم: الضحك: الثَّغْر[٥] كقول أبي ذؤيب[٦]:

فَجَاءَ بِمِزْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ هُوَ الضَّحْكُ إلا أَنَّهُ عَمَلُ النَّحْلِ

ويقولون: ضَحِكَتِ النّخلةُ، إذا أخرجت الطَّلْعَ أو البُسْرَ. وقالوا: الضَّحْكُ: الطَّلْعُ، قيل: وسَمِعْنا من يحكي: أضْحَكَتْ حَوْضًا، أي ملأته حتّى فاض، قال: وكأن المعنى قريبٌ بعضه من بعض كلّه، لأنه كأنه شيءٌ يمتلئُ فيفيض[٧].

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن: ١٤/٤٠٤.
(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل: ١/٥١٢.
(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٢٢.
(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم:١/٣٨٨.
(٥) ينظر: جامع البيان: ١٥/٣٩٣.
(٦) ديوانه: ١/٤٢.
(٧) ينظر: جامع البيان: ١٥/٣٩٣.

وسببُ هذا الخلافِ أنَّ المعنى الأوَّلَ ـ أي: الضحكَ ـ هو المشهورُ في دلالةِ اللَّفظِ، أمَّا الثاني فقليلٌ، ولذا أنكرَهُ بعضُ اللُّغويينَ، ولكَّنه إنكارٌ مردودٌ، إذ المُثْبِتُ مُقَدَّمٌ على النَّافي، ومنْ حفظَ حُجَّةٌ على منْ لم يحفظْ (١).

نلحظ من ذلك أنّ هذه اللفظة تتضمن احتمالين، الأول: هو السرور أو الفرح. والثاني: هو الحَيْضُ، وقد أشار البيضاويّ إلى الاحتمالين، ويرى أنّ المعنيين يتوافقان مع سياق الآية الكريمة.

حُسْبانًا:

سعى البيضاويّ إلى بيان المعنى اللغوي للفظة (الحُسْبَان) الواردة في قوله تعالى: **﴿فَعَسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْبانًا مِنَ السَّماءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا﴾** [الكهف:٤٠]، فقال: ((حُسْبانًا مِنَ السَّماءِ مرامٍ جمع حُسْبَانةٍ وهي الصواعق، هو مصدر بمعنى الحِساب والمُراد به: التقدير بتخريبها أو عَذَاب حساب الأعمال السيئة))(٢).

وقال الخليل: ((الحَسَبُ: الشَرَف الثابت في الآباء ورجل كريم الحَسَب حسيبٌ، وقَوْمٌ حُسَباءُ، والحُسْبان من الظنّ، حَسِبَ يحسَبُ، لغتان، حُسْبانًا، وقوله عزّ وجلّ: **﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبانٍ﴾** [الرحمن:٥]، أي قُدِّرَ لهما حِسابٌ معلوم في مواقيتِهما لا يَعدُوانِه ولا يُجاوزانِه. وقوله تعالى: **﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْها حُسْبانًا مِنَ السَّماءِ﴾** [الكهف:٤٠]، أي نارًا تحرقها، والحُسْبان: سِهَام قِصارُ يُرمى بها عن القِسِيِّ الفَارِسيّة، الواحدة بالهاء))(٣).

---

(١) ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم: ٤٧٩.

(٢) أنوار التنزيل: ٢٨٢/٣.

(٣) العين: ١٤٨/٣-١٥٠، (حسب).

وقال ابن فارس: ((الحَسْبُ: مَصدرُ حَسِبْتُ الشيءَ أحْسَبُهُ حُسْبَانًا وحِسَابًا وحُسْبَةً وحَسْبًا، والحَسْبَان: الظنّ، تقول: حَسِبْتَه أحْسَبُه مَحْسَبَةً ومِحْسَبَةَ، وحُسْبَانًا، وهو الظنّ، والحَسْبُ: ما يُعدّ من المآثر والكفاية، وشيء حساب، أي: كافٍ، وقال بعضهم: التّحسيب: دفن الميت تحت الحجارة))[1].

وقال ابن عطيّة: ((الحُسْبَان العَذَاب كالبَرْدُ والصّرّ ونحوه، واحد الحُسْبان: حُسْبَانَة، وهي المرامي من هذه الأنواع المذكورة، وهي أيضًا سِهَام تُرْمى دفعة بآلة لذلك))[2].

وذكر جمال الدين الجوزيّ أنّ هناك أربعة أقوال في بيان معنى الحسبان: أحدها: أنّه العذاب، وهو نار من السماء، والثاني: قضاء من الله تعالى يقضيه، والثالث: مرامٍ من السماء، واحدها: حُسْبَانة، الحُسبان: سِهَام يَرْمِي بها الرجل في جوف قصبة تُنزع في القوس، ثم يرمي بعشرين منها دفعة، فعلى هذا القول يكون المعنى: ويرسل عليها مراميَ من عذابه، إما حجارة أو بَرَدًا أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب، والرابع: أنّ الحسبان: الحساب، كقوله: ﴿**الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ**﴾ [الرحمن:٥]، أي: بحساب، فيكون المعنى: ويرسل عليها عذابَ حسابِ ما كسبت يداه[3].

ويلاحظُ أنَّ لفظَ (حِسَاب) ولفظَ (حُسْبَانَة) مفترقان في الرسمِ، وقد اتفقا في الجمعِ على صيغةٍ واحدةٍ، وهي الحُسْبَانُ، وهذا ما أحدثَ ذلك الخلافَ في تفسيرِ هذه اللَّفظة.

(١) مجمل اللغة: ٢٣٣.
(٢) المحرر الوجيز: ٥١٨/٣.
(٣) ينظر: زاد المسير: ٨٦/٣.

البَرْدُ:

تنبه البيضاويّ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **لَاّ يَذُوقُونَ فِيها بَرْدًا وَلا شَرَابًا**﴾ [النبأ:٢٤] على بيان معنى (البرد)، فقال: ((والمراد بالبَرْد ما يُرَوّحُهم ويُنَفّس عنهم حرّ النار، أو النَوْم))[١].

وقال الزبيديّ: ((والبَرْدُ، بِفَتْح فسكون: ضِدُّ الحَرّ، وَهُوَ مَعْرُوف، يُقَال: (بَرَدَ) الشيْءُ بَرْدًا و بُرودةً، والبَرْدُ: النَّوْم، كقوله: ﴿**لَاّ يَذُوقُونَ فِيها بَرْدًا وَلَا شَرَابًا**﴾ يُرِيد نَومًا، وإنّ النَّومَ لِيُبَرِّد صاحبَه، وإنّ العَطْشَانَ لِيَنامُ فيَبْرُدُ بالنَّوْم، والبَرَدُ بِالتَّحْرِيك: حَبُّ الغَمَام؛ وَعبَّرَه اللَّيثُ فَقَالَ: مَطَرٌ جامدٌ، والبُرْدُ، بالضّمّ: ثَوبٌ مُخطَّط))[٢].

فهو يجعل الأجسام تتجمد وتتداخل بعكس الحرّ[٣]: كما في قوله تعالى: ﴿**قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا**﴾ [الأنبياء:٦٩]، و﴿**هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ**﴾ [ص:٤٢] و﴿**لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ**﴾ [الواقعة:٤٤].

قال الفرّاء: ((لا يذوقون فِيهَا بَرْدًا، يُرِيدُ: نَوْمًا، وَإِنَّ النَّوْمَ لَيُبْرِدُ صَاحِبَهُ. وَإِنَّ الْعَطْشَانَ لَيَنَامَ فَيُبْرِدُ بالنوم))[٤]. وذكر النّحّاس أنّهم يذوقون فيها بردًا يبرد عنهم السعير، وقيل: نومًا، وقد يكون البرد الهدوء والثبات، وقد يكون البرد ما ليس فيه شدة[٥].

كما روي عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله) قوله: ((الغَنِيمَةُ البَارِدَةُ الصَّوْمُ فِي الشِّتَاءِ))[٦]، فشبّه الصّوم في الشتاء بالغنيمة الباردة، إذ كان صاحبه يحرز ثوابًا بلا

(١) أنوار التنزيل: ٥/٢٨٠.
(٢) تاج العروس: ٧/٤١٢، (برد).
(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل: ١/١٠٤.
(٤) معاني القرآن: ٣/٢٢٨.
(٥) ينظر: إعراب القرآن: ٥/٨٣.
(٦) سنن الترمذي: ٣/١٥٣.

مكابدة مشقة ولا عناء، ويقال: معنى الحديث أنّ الصوم في الشتاء لا يتوقد معه الجوف ويتلهب، كما يتوقد ويتلهب في الصيف لشدة العطش. فشبهه بالغنيمة الباردة، لبرد الجوف فيه وسكونه، وأن العطش لا يشتد على صاحبه [١].

ويرى النّحّاس أنّ أصحّ هذا الأقوال القول الأول، لأنّ البرد ليس باسم من أسماء النوم، وإنما يحتال فيه، فيقال للنوم: بَرْد، لأنّه يهدي العطش، والواجب أنْ يحمل تفسير كتاب الله على الظاهر والمعروف من المعاني إلّا أنْ يقع دليل على غير ذلك[٢].

صَلْصالٍ:

أوضح البيضاويّ المعنى اللغوي للفظة (صَلْصالٍ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ**﴾ [الحجر:٢٦]، إذ بيّن أنّ اللفظة تتضمن احتمالين الأول: هو معنى التصويت، والثاني النّتْنُ، قال: ((الصَلْصالٍ من طين يابس يصلصل أي يصوت إذا نقر، أو هو من صَلْصَل إذا أَنْتَنَ تضعيف صَلّ))[٣].

فلفظة الصلصال مشتقة من صلّ، و((صَلَّ اللِّجامُ صَليلًا اذا تَوَهَّمْتَ في صَوتِه مَدًّا، وكلُّ ذي صَلابةٍ يُصَلْصِلُ. وتَصِلُ البَيْضَ اذا نَقَفْتَها بالسُّيُوف، والخَزَفُ صِلْصال لتَصَلصُلِه اذا حرك، فاذا طبخ فهو فَخّار، وخُلِقَ آدَمُ من طينٍ، ومَكَثَ في الشَّمس أربعينَ يومًا حتى صارَ صَلْصالًا. والصَّلْصَلَة والصُّلْصُلَةُ: بقيَّةُ الماءِ في الغَديرِ))[٤].

كقول العجّاج[٥]:

صَلاصِلَ الزَّيْتِ الى الشّطُورِ

(١) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١٩١/٢.
(٢) ينظر: إعراب القرآن: ٨٣/٥.
(٣) أنوار التنزيل: ٢١٠/٣.
(٤) العين: ٨٤/٧، (صلّ).
(٥) ديوانه: ٢٢٧.

والصَلْصال بالفتح ((الطّين اليابس الذي يَصِلُّ من يبسه. الصَلَّة بالفتح: الجلد اليابس قبل الدباغ، والأرض الصُلبة اليابسة. وكلّ ما جَفّ من طِين أو فَخّار فقد صَلّ صَليلًا. صلَّ السقاءُ: يَبِسَ، والإبلُ: يَبِسَتْ أمعاؤها من العطش صَلَّ اللحم صُلُولًا: أَنْتَنُ مطبوخًا كان أو نِيئًا، والماءُ: أَجِن. الصِلُّ بالكسر: الحيّة التي إذا نهشت قتلت من ساعتها))[١] .

واختلفَ المفسِّرونَ في لفظِ (صَلْصَال) منْ قولِه تعالى: **﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾** على قولين: الأولُ: الصِّلْصَالُ: الطِّينُ اليابسُ الَّذي إذا نَقَرْتَهُ صَلَّ، أي: أصدرَ صوتًا. وإليه ذهب ابنُ عَبَّاس فذكر أنّ الصلصال هو المَاء يَقع على الأَرْض الطّيبَة ثمَّ يحسر عَنْهَا فتيبس ثمَّ تصير مثل الخزف الرّقَاق. أو هُوَ التُّرَاب الْيَابِس الَّذِي يَبُلّ بعد يبسه. أو هو طين خُلِطَ برمل[٢]. وقال قتادةُ: ((الصلصال التُّرَاب الْيَابِس الَّذِي يسمع لَهُ صلصلة))[٣]. ومِنَ اللُّغويينَ: أبو عبيدةَ، وابنُ قتيبةَ، والزَّجَّاجُ[٤].

والقولُ الثاني: الصَّلْصَالُ: المُنْتِنُ، فجعلَ أصلَه مِن صَلَّ الشَيءُ، إذا تغيَّرَ وأنْتَنَ، وبه قالَ مجاهد، فالصلصال: المنتن، وقال آخرون: الصلصال: المُنْتِن. وكأنهم وجَّهوا ذلك إلى أنّه من قولهم: صلّ اللحم وأصلّ، إذا أَنْتَنَ[٥].

مُسْتَمِر:

ذكر البيضاويّ معنى لفظة (مُسْتَمِرٌ) الواردة في قوله تعالى: **﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾** [القمر:٢]، قال: ((سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ مطرد وهو يَدلّ على

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل: ٣ /١٢٤١
(٢) ينظر: الدر المنثور: ٧٦/٥.
(٣) الدر المنثور: ٧٦/٥.
(٤) ينظر: مجاز القرآن: ٣٥٠/١، وغريب القرآن: ٢٣٧، و٢٣٨، ومعاني القرآن وإعرابه: ١٧٨/٣.
(٥) ينظر: جامع البيان: ٩٧/١٧.

أنّهم رأوا قبله آياتٍ أخر مترادفة ومعجزات متتابعة حتى قالوا ذلك، أو محكم من المرّة يقال: أمْرَرْته فاستمر إذا أحكمته فاستحكم، أو مُسْتَبْشِع من استمر الشيء إذا اشتدت مرارتُه أو مارّ ذاهب لا يبقى))[١].

وذكر ابن منظور أقوالًا عدّة فيها، منها ((سحرٌ مُسْتَمِرٌّ: مُحْكَمٌ قَوِيٌّ، وَقِيلَ مُسْتَمِرٌّ أَي مُرٌّ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ سَيَذْهَبُ ويَبْطُلُ، وجَعَلَهُ مِنْ مَرَّ يَمُرُّ إِذا ذهَب، أَي دائمٍ، أَي دائمِ الشُّؤْمِ، وَقِيلَ: هُوَ القويُّ فِي نُحُوسَتِهِ، وَقِيلَ: مُسْتَمِرٌّ أَي مُرّ، وَقِيلَ: مُسْتَمِرٌّ نافِذٌ ماضٍ فِيمَا أُمِرَ بِهِ وسُخّر لَهُ. وَيُقَالُ: مَرَّ الشيءُ واسْتَمَرَّ وأَمَرَّ مِنَ المَرارَةِ، مستشهدًا بقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ﴾ [القمر:٤٦] أَي أَشد مَرارة))[٢].

وجاء في تاج العروس ((أَمْرَرْتُ الشيءَ إمْرارًا، إذا جَعَلْته يَمُرُّ، أَي يذهب. ومارَّهُ مُمارَّةً ومِرَارًا: مَرَّ مَعَه. واسْتَمَرَّ الشيءُ: مضى على طريقةٍ وَاحِدَة، وكلُّ شيءٍ قد انْقادَتْ طَرِيقَتُه فَهُوَ مُستَمِرٌّ، اسْتَمَرَّ بالشيءِ: قَوِيَ على حَمْلِه، وَيُقَال: اسْتَمَرَّ مَرِيرُه، أَي اسْتَحْكَمَ عَزْمُه. وقيل: يُقَال للرجل إِذا استقامَ أَمْرُه بعد فسادٍ: قد اسْتَمَرَّ. والعربُ تَقول: أَرْجَى الغِلْمانِ الَّذِي يَبْدَأُ بحُمقٍ ثمَّ يَسْتَمِرُّ؛ وَأَنْشد للأعشى يُخاطبُ امرأَتَه[٣]:

يَا خَيرَ إِنِّي قد جَعَلْتُ اسْتَمِرّ أَرْفَعُ مِن بُردَيَّ مَا كنتُ أَجُرّ

والمَرَّةُ، بِالْفَتْح: الفَعْلَةُ الواحدةُ، مَرٌّ ومِرارٌ ومِرَرٌ، بكسرهما، ومُرورٌ، بالضمّ كقول سِيبَوَيْهِ: لَا يُستعمَل ذَات مَرَّة إلاّ ظَرْفًا، ولَقِيَه ذاتَ المِرارِ أَي مِرارًا كَثِيرَة. وَيُقَال: فلانٌ يَصْنَع ذَلِك الأمرَ ذاتَ المِرار، أَي يَصْنَعهُ مِرارًا وَيَدَعهُ مِرارًا))[٤].

---

(١) أنوار التنزيل: ١٦٤/٥.

(٢) لسان العرب: ١٦٩/٥، (مرر).

(٣) الرجز للأعشى في لسان العرب: ١٦٥/٥، وتاج العروس: ١٠٣/١٤، وليس في ديوانه.

(٤) تاج العروس: ١٠٣/١٤، (مرر).

وقد اختلفَ المفسِّرونَ في لفظِ (مُسْتَمِر) من قولِه تعالى موضع البحث على أقوالٍ، منها: القولُ الأوَّلُ: مُسْتَمِرٌّ، ذاهبٌ وزائلٌ. وقالَ به مجاهدُ[١]، وقال الفَرَّاءُ: ((سيبطلُ ويذهَبُ))[٢] ، والمعنى عند الزَّجَّاجُ ((أي ذاهب، وقيل دائم))[٣].

والقولُ الثاني: مُسْتَمِرٌّ: شَدِيدٌ قَوِيٌّ. وقدْ نُسِبَ إلى أبي العَالِيَةِ البصريّ (ت٩٣هـ) والضَّحَّاكِ بنِ مُزَاحِمٍ (١٠٢هـ)، قال: ((وهو مأخوذ من المِرَّة، والمِرَّة: الفَتْل))[٤].

وممّن قال به من أهلِ اللُّغةِ: أبو عبيدةَ، وابنُ قتيبةَ، وابنُ عُزَيزٍ السِّجسْتَانِيُّ (ت٣٣٠هـ)[٥]. وقال العزّ بن عبد السّلام (ت٦٦٠هـ): ((مُّسْتَمِرٌّ: ذاهبٌ أو شديد من إمرار الحبل وهو شدة فتله، أو دائم، أو استمر من الأرض إلى السماء أو يشبه بعضه بعضًا))[٦].

يمكننا القول: إنّ البيضاويّ لا يتوقف عند معنى واحد للفظ، وإنما يذكر معاني عدّة تتناسب وتتواشج مع سياق الآية المباركة، وهذا في حد نفسه يكشف لنا أنّ البيضاويّ من المفسّرين الذين كانت لديهم ذائقة لغويّة ومقدرة في تتبّع معاني الألفاظ القرآنيّة التي يحسَب أنّها بحاجة إلى تكشيف وتبيان، إذ تمكّن من توظيف المعجم اللغويّ والإفادة منه في تفسير الألفاظ القرآنية وبيانها، ولم يقف عند هذا الحدّ وإنّما راح يعطي اللفظ معاني متعددة آخذًا بنظر العين السياق وأهميته واتّساق المعنى واتّفاقه مع السّياق. وهذا ينُمُّ عن قدرته وعُلُوّ كَعْبِه في هذا المجال.

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد: ٦٣٣.
(٢) معاني القرآن: ٣/١٠٤.
(٣) معاني القرآن وإعرابه: ٥/٨٥.
(٤) زاد المسير: ٤/١٩٧.
(٥) ينظر: مجاز القرآن: ٢/٢٤٠، وغريب القرآن: ٤٣١.
(٦) تفسير العز بن عبد السلام: ٣/٢٥٥.

المبحث الثالث

أثرُ القِراءاتِ في بَيانِ المَعْنى المُعْجَمِيّ

الاحتجاجُ للقراءةِ: تخريجُ ما جاءَ في القرآنِ، وبيانُ وجهِه في كلامِ العربِ، وقدْ يكونُ بيانَ طريقةِ أداءٍ، أو تصريفِ كلمةٍ، أو إعرابٍ، أو بيانَ معنىً. والذي يخصُّ التَّفسيرَ اللُّغويَّ من علمِ الاحتجاجِ للقراءةِ، ما يتعلَّقُ ببَيان المعنى، ويقعُ ذلكَ في الغالب حينما ترِدُ في الآيةِ قراءتانِ مختلفتانِ في النُّطقِ، ويكونُ لِكُلِّ واحدةٍ منهما معنىً يخالفُ معنى القراءة الأخرى.

ولقد كان الاحتجاجُ للقراءةِ قديمًا، وهو منثورٌ في كتبِ التَّفسيرِ ومعاني القرآنِ وغريبِه ومجازه ومشكله وغيرِها، ثمَّ ألَّفَ جمعٌ من العلماء فيه استقلالًا؛ منهم: أبو منصور الأزهريُّ، وابن خالويه، وأبو عليٍّ الفارسي، وابن جنّيّ، وغيرهم.

وسأذكرُ أمثلةً من اختلافِ القراءاتِ التي ذكرها البيضاويّ ويختلفُ بها المعنى، ومنْ ذلكَ:

مُرْدِفِينَ:

بيّن البيضاويّ معنى (مُرْدِفِينَ) في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ **إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ** ﴾ [الأنفال:٩]، قال: ((مُرْدِفِينَ متبعين المؤمنين أو بعضهم بعضًا من أردفته أنا إذا جئت بعده، أو متبعين بعضهم بعض المؤمنين، أو أنفسهم المؤمنين من أردفته إياه فردفه))[(١)].

ومن أجل تعزيز المعنى وتثبيته في ذهن القارئ يذكر القراءات ومعانيها فمن ذلك: قرأ نافع ويعقوب (مُرْدَفِينَ) بفتح الدال أي متبعين أو متبعين[(٢)]، بمعنى أنهم كانوا مقدمة الجيش أو ساقتهم. وقرئ (مُرِدِفِينَ) بكسر الراء وضمّها، وأصله مرتدفين بمعنى

(١) أنوار التنزيل: ٥١/٣.

(٢) ينظر: الكشاف: ٢٠١/٢، وإتحاف فضلاء البشر: ٢٩٦.

مترادفين فأدغمت التاء في الدال فالتقى ساكنان، فحركت الراء بالكسر على الأصل أو بالضم على الإتّباع[١]. والرِّدْفُ لغةً: هو مَا تَبع شَيْئا فَهُوَ رِدْفُه، وَإِذا تَتابَع شيءٌ خلْفَ شَيْء فَهُوَ التَّرادُف، والجميع الرُّدافَى[٢]، قَالَ لبيد[٣]:

عُذَافرةٌ تَقَمَّصُ بالرُّدافَى تَخَوَّنها نُزولي وارْتِحَالي

وفرّق علماء اللغة بين الرّدْف والتّرَادف، فالرّدف هو ما تبع شيئًا، أمّا الترادف تتابع شيء خلف شيء[٤]. قال ابن فارس: ((الرَّاءُ وَالدَّالُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، يَدُلُّ عَلَى اتِّبَاعِ الشَّيْءِ. فَالتَّرَادُفُ: التَّتَابُعُ. وَالرَّدِيفُ: الَّذِي يُرَادِفُكَ))[٥]. وذكر ابن منظور أنّ معنى قوله تعالى (مردفين) مُتتابعينَ يَرْدَفُ بعضُهم بَعْضًا[٦].

وعند التوجه لكتب القراءات نجد ما ذكره الأزهريّ بقوله: ((مَنْ قَرَأَ (مُرْدِفِينَ) بكسر الدّال فهو بمعنى: رادفِين، يقال: ردفتُ فلانًا أرْدفُه، وأرْدَفتُه أرْدِفُه بمعنى واحد، ومنه قول الشاعر[٧]:

إذا الجوزاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بآل فاطمةَ الظُّنونا

وقال بعضهم: أرْدَفت فلانًا: جِئْتُ بَعْده؛ فمعنى (مُرْدِفِينَ) على هذا القول: يأتون فرقة بعد فِرقة؛ ومن قرأ (مُرْدَفِينَ) فمعناه: مُتبَعين، ويقال: رَدَفتُ الراكبَ، إذا ركبتَ خلفه وأرْدَفتُه، إذا جعلتَهُ خلفك رَديفًا))[٨].

---

(١) ينظر: أنوار التنزيل: ٥١/٣.
(٢) ينظر: العين: ٢٢/٨(ردف)، وتهذيب اللغة٦٨/١٤، (ردف).
(٣) ديوانه: ٧٦.
(٤) ينظر: تهذيب اللغة: ٦٨/١٤، (ردف).
(٥) مقاييس اللغة: ٥٠٣/٢.
(٦) ينظر: لسان العرب: ١١٥/٩(ردف)
(٧) البيت لخزيمة بن مالك ذُكر في لسان العرب: ٤٥٥/٧، (قرظ).
(٨) معاني القراءات: ٤٣٦/١.

وبعد النظر في كتب التفسير نجد أنّ معنى (مردفين) يأتون فرقة بعد فرقة[١]، والمعنى عند الواحديّ: متتابعين بعضهم في إثر بعض[٢]، وتبعه السمعانيّ[٣].

قال البغويّ: ((أي متتابعين بعضهم في إثر بعض ،يقال: أردَفْتُه ورَدِفته بمعنى تبعتُه))[٤] وذهب ابن الجوزيّ إلى أنّ المعنى يأتون فرقة بعد فرقة[٥]، ونقل الفخر الرازيّ عن الفرّاء أنّه قال: ((مُردِفين أي متتابعين يأتي بعضهم في إثر بعض كالقوم الذين أُردفوا على الدَّواب))[٦].

ويرى القرطبيّ أنّ القراءة بكسر الدّال أوْلى، لأنَّ أهل التأويل على هذه القراءة يفسِّرونه: أرْدَف بعضهم بعضًا؛ ولأنَّ عليه أكثر القرّاء[٧]، والمعنى عند أبي حيان الأندلسيّ متابعًا بعضهم بعضًا[٨].

وقد أنكر أبو عبيدة أنْ يكون الملائكة أردفت بعضها، أي: ركبت خلفها غيرُها من الملائكة، وذهب أبو علي الفارسيّ إلى أنَّ القراءة بكسر الدال تحتمل وجهين، أحدهما أنْ يكونوا مردفين مثلكم وحذف المفعول كثير، والآخر: هو أنْ يكونوا جاؤوا بعد المسلمين[٩].

ويبدو لنا أنّ البيضاويّ لم يكتفِ بالمعنى المعجمِيّ، وإنّما أراد الكشف عن المعنى عن طريق ذكر القراءات.

---

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ٤٠٢/٢.
(٢) ينظر: التفسير الوسيط: ٤٤٦/٢.
(٣) ينظر: تفسير السمعاني: ٢٥١/٢.
(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ٢٧٣/٢.
(٥) ينظر: زاد المسير: ١٩٢/٢.
(٦) مفاتيح الغيب: ٤٥٩/١٥، وينظر: معاني القرآن للفراء: ٤٠٤/١.
(٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٣٧١/٧.
(٨) ينظر: البحر المحيط: ٢٧٩/٥.
(٩) ينظر: الدر المصون: ٥٦٧/٥، و٥٦٨.

ضَنِينٍ:

كانت للبيضاوي وقفة على لفظة (ضَنِينٍ) الواردة بقوله تعالى: ﴿**وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾ [التكوير:٢٤]، قال: ((بظنين بِمُتَّهم من الظُّنّة، وهي التُّهْمَة، وقرأ نافع وعاصم وحمزة وابن عامر بِضَنِينٍ بالضّاد من الضُّنّ وهو البخل، أي لا يبخل بالتبليغ والتعليم، والضّاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره، والظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا))[(١)].

والضِّنَّة والضِّنُّ والمَضَنَّة والمَضِنَّة، كُلُّ ذَلِكَ. مِنَ الإمساك والبُخْل، وَرَجُلٌ ضَنينٌ، وضَنَنْتُ أَضِنُّ ضَنًّا وضِنًّا وضِنَّةً ومَضَنَّة ومَضِنَّة وضَنّانة بَخِلْت بِهِ، وَهُوَ ضَنين بِهِ، والضّنُّ: الشَّيْءُ النَّفِيسُ المَضْنُون بِهِ[(٢)]، كقَوْلُ الْبَعِيثِ[(٣)]:

أَلا أَصْبَحَتْ أَسماءُ جاذِمةَ الحَبْلِ وضَنَّتْ عَلَيْنَا، والضَّنِينُ مِنَ البُخْلِ

أَراد: الضَّنينُ مخلوقٌ مِنَ الْبُخْلِ، كَقَوْلِهِم: مَجْبُولٌ مِنَ الْكَرَمِ، ومَطينٌ مِنَ الْخَيْرِ، وَهِيَ مَخْلُوقَةٌ مِنَ الْبُخْلِ، والبخلُ مِنَ الضَّنِين؛ لأَنّ فِيهِ مِنَ الإعْظام وَالْمُبَالَغَةِ مَا لَيْسَ فِي الْقَلْبِ؛ وَيُقَالُ: فُلَانٌ ضِنَّتي مِنْ بَيْنِ إخواني وضِنِّي، أَي: أَختص بِهِ وأَضِنُّ بمودَّته. وَهُوَ افْتِعال مِنَ الضَّنِّ، وَكَانَ فِي الأَصل اضْتَنَّ، فَقُلِبَتِ التَّاءُ طَاءً، وضَنِنْتُ بِالْمَنْزِلِ ضِنًّا وضَنَانَةً: لَمْ أَبْرَحْه، والاضْطِنانُ افْتِعال مِنْ ذَلِكَ[(٤)].

((وإنّ الضّنّ أَصله أَنْ يكون بالعَوَارِي وَالْبخل بالهيآت، وَلِهَذَا تَقول هُوَ ضنين بِعِلْمِهِ وَلَا يُقَال بخيل بعلمه؛ لِأَن الْعلم أشبه بالعارية مِنْهُ بِالْهبةِ وَذَلِكَ أَن الْوَاهِب إِذا وهب شَيْئا خرج من ملكه فَإِذا أعرا شَيْئا لم يخرج من أَن يكون عالما بِهِ فَأشبه الْعلم

(١) أنوار التنزيل: ٢٩١/٥، وينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٥٧٤.
(٢) ينظر: لسان العرب: ٢٦١/١٣، (ظنّ).
(٣) شعره: ١٩.
(٤) ينظر: لسان العرب: ٢٦١/١٣،(ظنّ).

الْعَارِية فَاسْتعْمل فِيهِ من اللَّفْظ مَا وضع لَهَا وَلِهَذَا قَالَ الله تَعَالَى: ﴿ **وما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ**﴾ وَلم يقلْ ببخيل))[1].

و(الظّنّ) بالظاء فهو خلاف اليقين، وقد يكون في معناه، وهو من الأضداد. فممّا جاء منه بمعنى الشكّ قوله تعالى: ﴿**وَظَنَنْتُم ظَنَّ السَّوْءِ**﴾ [الفتح:١٢]، وممّا جاء بمعنى اليقين قوله تعالى: ﴿**وَرَأَى الْمُجْرِمُوْنَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا**﴾[الكهف:٥٣] وقوله تعالى: ﴿**وَظَنُّوْا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلّا إِلَيْهِ**﴾ [التوبة:١١٨] معناه –والله أعلم–: استيقنوا وعلموا، والظِّنّة، بكسر الظاء: التُّهمة، وقرئ: (وما هو على الغيب بضنين) أي بمُتّهَم. وكلاهما، بالظّاء والضّاد، متوجهان في حقّ النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم)، لأنه ليس ببخيل ولا بمُتَّهَم[2].

قال ابن وهب القرشيّ (ت١٩٧هـ): ((ضنين وظنين سواء، ويقول مَا هُوَ بكاذبٍ، وَمَا هُوَ بفاجرٍ؛ وَالظَّنِينُ: الْمُتَّهَمُ، وَالضَّنِينُ: الْبَخِيلُ))[3].

وجاء في الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد ((بضنين، أي: بمتهم، وهو (فَعِيل) بمعنى (مفعول)، أي: مظنون، وقرئ: (بِضَنِينٍ) بالضاد، أي: ببخيل، أي: لا يبخل بما عنده من الغيب، ولا يكتمه كما يفعله الكهان، وذلك أنّ الكهان لا يظهرون ما عندهم حتى يأخذوا عليه حُلوانًا، وحُلوانهم رُشاهم))[4].

نلحظ من ذلك أنّ القراءات لها أثرٌ كبيرٌ في بيان اللفظ، فأيُّ تغيير في نطق الكلمة يصاحبه تغيير في المعنى.

---

(١) الفروق اللغوية: ١٧٦.

(٢) ينظر: الاعتماد في نظائر الظاء والضاد: ٤.

(٣) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب: ٤٦/٣.

(٤) الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: ٣٥٢/٦.

نُنْشِزُهَا:

أبان البيضاويّ معنى لفظة (نُنْشِزُهَا) في تفسيره لقوله تعالى: **﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** [البقرة: ٢٥٩] فقال: ((نُنْشِزُها: نحييها، أو نرفع بعضها على بعض ونركبه عليه، أي: انظر إليها محياة. وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب (ننشرها) من أنشر الله الموتى، وقرئ (ننشرها) من نشر بمعنى أنشر))[١].

و((النَشَزُ: المكان المرتفع، وجمع النَشْزِ نُشوزٌ، وجمع النَشَزِ أنشاز ونشاز، وأما النشاز بالفتح فهو المكان المرتفع. وهو واحدٌ، يقال: اقعدْ على ذلك النَشازِ، ونَشَزَ الرجل ينشز وينشز نشزا: ارتفع في المكان. ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾** [المجادلة:١١] وإنْشازُ عظامِ الميِّت: رفعها إلى مواضعها وتركيب بعضها على بعض، ونشزت المرأة تنشز وتَنْشِزُ نُشوزًا، إذا استعصت على بَعْلها وأبغضته، ونَشَزَ بعْلها عليها، إذا ضربَها وجفاها))[٢]، ومنه قوله تعالى: **﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾** [النساء:١٢٨].

قال أبو منصور الأزهريّ: ((مَنْ قَرَأَ (نُنشِزُها) بالزاي فالمعنى: نجعلها بعد بِلاهَا وهُمودِها نَاشِزَةً، تَنشُز بَعضَهَا إلى بَعض، أي: ترتفع، مأخوذ من نشَزَ، والنشْزُ هو: ما ارتفع من الأرض، وَمَنْ قَرَأَ: (نُنشِرها) بالراء فمعناهُ: نحييها، يقال: أنشَرَ الله الموتى، أي: أحياهم فنشروا، أي: حيوا، ومَنْ قرأ (ننشرها) فهو مأخوذ من النشر بعد الطي، والقراءة (نُنْشِرُهَا) أو (نُنْشِزُهَا) بضم النون الأولى فيهما، وأما (نَنْشِرُهَا) فهي شاذة))[٣].

---

(١) أنوار التنزيل: ١٥٦/١، وينظر: الكشاف: ٣٠٧/١.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٨٩٩/٣.

(٣) معاني القراءات: ٢٢٣/١.

وعند التّوجه تلقاء المُفسّرين لبيان معنى النشوز فقال الأخفش: ((نشرت: التي هي "ضد "طويت" وقال بعضهم (ننشزها)؛ لأنّه قد تجتمع (فَعَلْت) و(أَفْعَلت) كثيرًا في معنى واحد تقول: صَدَدْت وأَصْدَدْت، وقد قال: ﴿**ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ**﴾ [عبس:٢٢] وقال بعضهم: (نَنْشُرها) أي: نَرْفَعَها. تقول: نَشَزَ هذا وأَنْشَزْتَه))[١].

وذكر ابن عطية أنَّ قراءتها (ننشرها) بفتح النون محتمل أنْ تكون لغة في الإحياء مثل: نشر الميت ونشرته، كما يقال حَسَرَتِ الدّابة وحَسّرْتها، وغَاضَ الماءُ وغِضْتُه، ورَجَعَ زيدٌ ورَجْعّته، ويحتمل أنْ يُراد بها ضدّ الطّيّ، كأن الموت طيّ للعظام والأعضاء، وكأن الإحياء وجمع بعضها إلى بعض نشر؛ وأمّا مَنْ قرأ: (ننشزها) بالزاي فمعناه: نرفعها، والنشز المرتفع من الأرض[٢]. ومنه قول الأخطل[٣]:

تَرَى الثّعْلَبَ الحَوْلِيّ فيها كَأنّه إذَا ما عَلَا نَشْزًا حِصَانٌ مُجَلّلُ

صَفْحًا:

أوضح البيضاويّ المعنى اللغويّ للفظة (صَفْحًا) الواردة في قوله تعالى: ﴿**أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ**﴾ [الزخرف:٥]، قال: ((وأصله أنْ تُوْلِي الشيءَ صفحةَ عُنقك، وقيل: إنّه بمعنى الجانب فيكون ظرفًا، ويؤيده أنّه قرئ (صُفْحًا) بالضّمّ، وحينئذ يحتمل أنْ يكون تخفيف صفح جمع صُفُوح بمعنى صافحين، والمراد: إنكار أنْ يكون الأمر على خلاف ما ذكر من إنزال الكتاب على لغتهم ليفهموه))[٤].

---

(١) معانى القرآن: ١٩٨/١.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز: ٣٥٠/١.

(٣) ديوانه: ٢٣/١.

(٤) أنوار التنزيل: ٨٦/٥، وينظر: الكشاف: ٢٣٧/٤.

والصَّفْحُ: الجَنْبُ: من كلِّ شيءٍ. وصَفْحا السَيْف: وَجْهاهُ. وصَفْحةُ الرجلِ: عُرْضُ صَدره، وسَيْفٌ مُصَفَّحٌ ومُصْفَح وصَدرٌ مُصْفَحٌ: أي عَريض، وكل حَجَرٍ عَريضٍ أو خَشَبةٍ أو لَوحٍ أو حَديدة أو سَيْفٍ له طُولٌ وعَرْضٌ فهو صَفيحة، وجمعُه صَفائحُ. والصُفّاحُ من الحِجارة خاصةً: ما عَرُضَ وطالَ، وَصَفْحتُ عنه: أي عَفَوتُ عنه. وصَفَحْتُ وَرَقَ المُصْحَف صَفْحًا، وصَفَحْتُ القَومَ: عَرَضْتُهم واحدًا واحدًا وتَصَفَّحْتُهم: نَظَرتُ في خِلالهم هَل أرَى فُلانًا، أو ما حالُهم؟ والصُفّاح من الإبِلِ: التي عَرُضَت أسنامُها، ويُجمَع صُفّاحات وصَفافيح. والمُصافَحةُ معروفة[1].

وبعد النّظر في كتب التفسير نجد أنَّ معنى (صَفْحًا) ردًّا؛ كقولنا: سألني فلان حاجةً فَصَفَحْتُه صَفْحًا، أي: رَدَدْتُه[2]، قال الزمخشريّ: ((وصَفْحًا على وجهين: إمّا مصدر من صفح عنه: إذا أعرض، منتصب على أنه مفعول له، على معنى: أفنعزل عنكم إنزال القرآن وإلزام الحجة به إعراضًا عنكم. وإمّا بمعنى الجانب من قولهم: نظر إليه بصفح وجهه وصفح وجهه، على معنى: أفننحيه عنكم جانبًا، فينتصب على الظرف كما تقول: ضَعْه جَانبًا، وامْشِ جانبًا. وتَعْضُدُه قراءة مَنْ قرأ: صُفْحًا بالضم. وفي هذه القراءة وجه آخر: وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح، وينتصب على الحال، أى: صافحين معرضين))[3].

قال أبو جعفر الأصبهانيّ: ((قرأ الناسُ كلُّهم(صَفْحًا) بفتحِ الصَّادِ إلَّا سُمَيْطُ بن عمير وشبيل بن عزرة، فإنّهما قرَآ (صُفْحًا) بضمِ الصَّادِ، وهما لُغتان: الصَّفح، والصُّفح، وضربته بصَفح السَّيف وصُفحه أي: بعَرضه، وضَربتُهُ بالسيف مُصَفَّحًا))[4].

(١) ينظر: العين: ١٢٢/٣، (صفح).
(٢) تأويلات أهل السّنّة: ١٤٧/٩.
(٣) الكشاف: ٢٣٧/٤.
(٤) إعراب القراءات السبع وعللها: ٤٠٠.

أسْوِرَةٌ:

كشف البيضاويّ المعنى اللغويّ للفظة (أَسْوِرَةٌ) الواردة في قوله تعالى: **﴿فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف:٥٣]**، قال: ((أساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير. وقد قرئ به وقرأ يعقوب وحفص (أَسْوِرَةٌ) وهي جمع سوار. وقُرِئ (أَسَاوِر) جمع (أَسْوِرَةٌ)، وأُلْقِي عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ وأساور))[١].

والسُّوَرُ: جَمْعُ السُّورة، والسِوَّار القلب: سوار المرأة والجميع: أَسوِرة وأساور، والكثير: سُور[٢]. قال ابن فارس: ((السِّينُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى عُلُوٍّ وَارْتِفَاعٍ. مِنْ ذَلِكَ سَارَ يَسُورُ إِذَا غَضِبَ وَثَارَ. وَإِنَّ لِغَضَبِهِ لَسَوْرَةً. وَالسُّوَرُ: جَمْعُ سُورَةٍ، وَهِيَ كُلُّ مَنْزِلَةٍ مِنَ الْبِنَاءِ))[٣].

قال أبو منصور الأزهريّ: ((مَنْ قَرَأَ (أَسْوِرَة) فهو جمع سِوَار، وَمَنْ قَرَأَ (أَسَاوِرَة) ففيه وجهان: أحدهما: أنْ يكون جمع (أَسْوِرَة)، فيكون جمع الجمع، ويجوز أنْ يكون (أَسَاوِرَة) جمع إِسْوَارَة وأَسَاوِرَة، ويقال للسوار: أَسْوَار))[٤].

قال أبو بكر الباقلانيّ (ت٤٠٣هـ) ((لأنّه كذا كان شأن العظيم إذا ارتفع منهم، أنْ يسوّر سوارًا من ذهب، فهذا قدرُ طاقةِ فرعونَ ومبلغ ما عندَه في إضلالِه))[٥].

و((من قرأ أسورة جعل واحدها سِوار؛ قد تكون الأساورة جمع أسورة، كما يقال في جمع الأسقية: الأَسَاقِي. وقيل في سوار اليد: يجوز فيه أَسْوار وإِسْوار، فيجوز على هذه اللغة أنْ يكون أساورة جمعه. وحُكي واحد الأساورة إسوار، وذلك أنّ المعروف في

(١) أنوار التنزيل: ٩٣/٥.
(٢) ينظر: العين: ٢٨٩/٧، (سور).
(٣) مقاييس اللغة: ١١٥/٣، (سور).
(٤) معاني القراءات: ٣٦٦/٢.
(٥) الانتصار للقرآن: ٦٤٨/٢.

كلامهم من معنى الإسوار: الرجل الرّامي، الحَاذق بالرّمي من رجال العجم، وأما الذي يُلبس في اليد، فإنّ المعروف من أسمائه عندهم سوارًا، فإذا كان ذلك كذلك، فالذي هو أولى بالأساورة أنْ يكون جمع أسورة))[١].

وسبق العكبريُّ (ت٦١٦هـ) البيضاويّ في تفسيره من أنَّ أَصْلَهُ أَسَاوِيرُ، فَجُعِلَتِ الْيَاءُ عِوَضًا مِنَ التَّاءِ [٢].

نَقّبُوا:

فسّر البيضاويّ معنى لفظة (النقب) الواردة في قوله تعالى: ﴿**وَكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ**﴾ [ق:٣٦]، فقال: ((أصل التنقيب التنقير عن الشيء والبحث عنه، وقيل: الضمير في (فَنَقَّبُوا) لأهل مكّة أي: ساروا في أسفارهم في بلاد القرون فهَل رَأَوْا لهم محيضًا حتّى يتوقعوا مثله لأنفسهم؟ ويؤيدُه أنه قرئ (فنقّبوا) على الأمر، وقرئ (فَنَقَّبُواْ) بالكسر من النقب وهو أنْ ينتقب خفّ البعير، أي: أكثروا السَّيْر حتى نَقَبَتْ أقدامُهم أو أخْفَاف مَراكِبِهِم))[٣].

قال ابن فارس: ((النُّونُ وَالْقَافُ وَالْبَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى فَتْحٍ فِي شَيْءٍ. وَنَقَبَ الْحَائِطَ يَنْقُبُهُ نَقْبًا، وَالْبَيْطَارُ يَنْقُبُ سُرَّةَ الدَّابَّةِ لِيُخْرِجَ مِنْهَا مَاءً))[٤]، كما قال دريد بن الصَّمَّة[٥]:

مُتَبَذِّلًا تَبْدُو مَحَاسِنُهُ يَضَعُ الْهِنَاءَ مَوَاضِعَ النُّقْبِ

(١) جامع البيان: ٦٢٠/٢١، وينظر: الكشاف: ٢٥٨/٤.
(٢) ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ١١٤٠/٢.
(٣) أنوار التنزيل: ١٤٣/٥، وينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٥١٤.
(٤) مقاييس اللغة: ٤٦٦/٥.
(٥) ديوانه: ٤٤.

قال أبو منصور الأزهريّ: ((مَنْ قرأ (فَنَقَّبُوا) فمعناه: فَطوَّفوا في البلاد. ومنه قول امرئ القيس[١]:

وقد نَقَّبْتُ في الآفاقِ حتّى رَضِيْتُ مِنَ الغَنِيمةِ بالإِياب

ومَنْ قرأ (فَنَقَبوا) خفيفة فمعناه: فَتَّشُوا ونَظرُوا؛ ومنه قيل للعرّيف: نقيبٌ؛ لأنّه يتعرّف أمر القوم الذين جعِل نقيبًا عليهم يتعرّف أمرهم ويستحفزهم وقت الحاجة إليهم، روى عن يَحيَى بن يعمر أنّه قرأ: (فَنَقِّبُوا فِي الْبِلَادِ) ومعناه: طَوِّفُوا في البلاد فلا مَحِيصَ لكم، أي لا مَنْجَى لكم من الموت))[٢].

وعند البحث في كتب التفسير وجدت أنّ لها أوجهًا عدّة، فقوله تعالى: ﴿**فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ**﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ((أَثَّرُوا فِيهَا)، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: (فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ): (ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ))[٣]. وَقَالَ قَتَادَة: ((فَسَارُوا فِي الْبِلَادِ، أَيْ سَارُوا فِيهَا يَبْتَغُونَ الْأَرْزَاقَ وَالْمَتَاجِرَ وَالْمَكَاسِبَ أَكْثَرَ مِمَّا طُفْتُمْ أَنْتُمْ فِيهَا وَيُقَالُ لِمَنْ طَوَّفَ فِي الْبِلَاد)) [٤]، وقيل: فَنَقَّبُوا يعني هربوا فِي الْبِلادِ ويقال حولوا[٥].

وذكر الماورديّ (ت٤٥٠هـ) أنّهم اتخذوا فيها طرقًا ومسالك، ويحتمل أنّه اتخذوا الحصون والقلاع [٦].

وأرى من بعد البحث في كتب اللغة أنّ معنى النَّقب يكون في الأشياء التي توجد صعوبة في عمل ثقب فيها كالحائط أو في الأماكن العظيمة المتّسعة، فمثلًا يطلق النَّقب على كلّ فَجْوَة، والنّقاب يطلق على ما تستر به المرأة من وجهها، وكذلك يطلق

(١) ديوانه: ٩٩.
(٢) معاني القراءات: ٢٨/٣.
(٣) تفسير مجاهد: ٦١٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٤٠٨/٧.
(٥) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١١٥/٤.
(٦) ينظر: النكت والعيون: ٥ /٣٥٥.

على الطريق النافذ في الجبل، فعندما نرى رجلًا كريمًا سخيًا ذا وجاهةٍ نقول: هذا رجل متعدّد المناقب؛ لأنّ المنقبة الطريق النافذ للجبل، فكأنّ هذا الرجل اتّخذ لنفسه طرائق للعلو والسؤدد؛ لأنّ الجبل يضرب به المثل في هذه الأحوال.

وفي الآية الكريمة جاءت لفظة (نقّبوا) بمعنى: سيروا. وفي ظلّ المنهج الاستبداليّ التّخيّليّ الذي مارسه علماء الإعجاز والتفسير، لماذا لم ترد في الآية لفظة (سيروا) بدل لفظة (فَنَقّبوا)؟ ويبدو أنّ البيضاويّ قد أبان عن هذا الأمر في بيانه الرّائع، فأبان أنّهم أكثروا السّير حتى نَقَبت أقدامهم أو أخْفَاف مراكبهم، فالسير في العادة تكون فيه سهولة ويُسر لوصول الفرد إلى مبتغاه، أمّا إذا حصلت فيه مشقة أو كان من دون فائدة لعدم وجود مخرج، فمهما ساروا وتقلّبوا وسلكوا كل طريق في البحث عن مهرب ومفرّ من الموت حتى نقبت أقدامهم لم يهربوا من الموت.

سَأَلَ:

أوضح البيضاويّ معنى لفظة (سَأَلَ) الواردة في قوله تعالى: ﴿ **سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ**﴾ [المعارج:١]، عن طريق بيان المعنى المعجمِيّ وكيفية قراءتها قال: ((قرأ نافع وابن عامر (سَأَلَ)، وهو إما من السؤال على لغة قريش كقول الشاعر[١]:

سألَتْ هُذَيْلٌ رَسُولَ اللهِ فاحِشَةً ضَلَّتْ هُذَيْلٌ بِمَا سَالَتْ ولَم تُصِبِ

أو مِن السيلان، ويؤيده أنه قرئ (سَالَ سَيْل) على أنّ السيل مصدر بمعنى السائل كالغور، والمعنى: سال واد بعذاب ومضى الفعل لتحقق وقوعه، إمّا في الدّنيا وهو قتل بدر أو في الآخرة وهو عذاب النار))[٢].

(١) ديوان حسان بن ثابت: ٣٤.

(٢) أنوار التنزيل: ٢٤٤/٥، وينظر: الكشاف: ٦٠٨/٤.

وجاء في المعاجم: (سأل) من السُؤْلُ: ما يسأله الإنسان. وقرئ قوله تعالى: ﴿**قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى**﴾ [طه:٣٦] بالهمز وبغير الهمز. وسألته الشيء وسألته عن الشيء سؤالًا ومسألة. ويقال خرجنا نسأل عن فلانٍ وبفلانٍ. وقد تخفَّف همزته فيقال: سالَ يَسْالُ. ورجلٌ سُؤَلَة: كثيرُ السؤال. وتَساءَلوا، أي سَأَلَ بعضهم بعضًا. وأَسْأَلْتَهُ سُؤْلَتَهُ ومسألته، أي قضيت حاجته [١].

وعند البحث في كتب القراءات نجد ما قاله أبو منصور الأزهريّ، إذ قال: ((مَن قرأ (سَالَ) بغير همز فالمعنى: جَرَى وادٍ بعذاب من الله، من سَالَ يَسيلُ، كأنه قال: سَال وادٍ بعذاب واقع، وأضاف: جائز أنْ يكون (سَالَ) غير مهموز ويكون بمعنى (سأل) فَخُففَ همزهُ، وقال: وهو أحب إليَّ من قول من ذهب به إلى سَيْل الوادي؛ لتتفق القراءتان[٢].

وقال الفرّاء في بيان معنى ﴿**سَأَلَ سائِلٌ**﴾ ((معناه: دَعَا داعٍ بعذابٍ، ودَعَا عن عذابٍ واقعٍ ، العربُ تقولُ: سَأَلَ عن العذابِ، وبالعذابِ، والعذابَ، والمعنى واحدٌ، كما تقولُ: سَأَلْتُكَ عن الرجلِ، وبالرجلِ، والرجلَ، وأنت تريدُ: عن حالِه، وسَأَلْتُ به))[٣].

وذكر السمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ) أنّ قوله ((سَأَلَ): قرأ نافع وابنُ عامر بألفٍ مَحْضَةٍ، والباقون بهمزةٍ مُحَقَّقةٍ، وهي الأصلُ، وهي اللغةُ الفاشيةُ. ثم لك في (سأل) وجهان: أحدُهما: أنْ يكونَ قد ضُمِّنَ معنى دعا؛ فلذلك تعدَّى بالباء، كما تقول: دَعَوْتُ بكذا. والمعنى: دعا داعٍ بعذابٍ. والثاني: أَنْ يكونَ على أصلِه، والباءُ بمعنى عن))[٤].

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ١٧٢٣/٥، (سأل).

(٢) ينظر: معاني القراءات: ٨٨/٣.

(٣) كتاب فيه لغات القرآن: ١٤٤.

(٤) الدر المصون: ٤٤٥/١٠.

الْمُزَّمِّلُ:

فسّر البيضاويّ معنى لفظة (الْمُزَّمِّلُ) الواردة في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ**﴾ [المزمل:١] من خلال ذكر الأصل المعجمِيّ للفظة مع ذكر قراءتها، فقال: ((الْمُزَّمِّلُ أصله المُتَزَمّل من تَزَمّل بثيابه إذا تَلَفّف بها، فأدغم التاء في الزايّ، وقد قُرِئ به، وبـ(المزمَّل) مفتوحة الميم ومكسورتها، أي الذي زَمَلَه غَيْرُه، أو زَمَلَ نَفْسَه))[١].

قال ابن منظور: ((المُزَّمِّل أَصله المُتَزَمِّل وَالتَّاءُ تُدْغَمُ فِي الزَّايِ، لِقُرْبِهَا مِنْهَا، يُقَالُ: تَزَمَّل فُلَانٌ إِذا تَلَفَّف بِثِيَابِهِ، وَكُلُّ شَيْءٍ لُفِّف فَقَدْ زُمِّلَ، وَيُقَالُ لِلفافة الراوية زِمَالٌ، وَجَمْعُهُ زُمُلٌ، وَثَلَاثَةُ أَزْمِلةٍ، وَرَجُلٌ زُمَّالٌ وزُمَّيْلَة وزِمِّيلٌ إِذا كَانَ ضَعِيفًا فَسْلًا، وَهُوَ الزَّمِل أَيضًا؛ والزِّمْل: الكَسْلان. والزُّمَل والزُّمَّل والزُّمَّيْلُ والزُّمَيْلَة والزُّمَّال: بِمَعْنَى الضَّعِيفِ الجَبان الرَّذْل قَالَ أُحَيْحة[٢]:

وَلَا وأَبيك مَا يُغْني غَنائي مِنَ الفِتْيانِ، زُمَّيْلٌ كَسُولُ

والزُّمَّيْلة: الضَّعِيفَةُ. قَالَ سِيبَوَيْهِ: غَلَب عَلَى الزُّمَّل الْجَمْعُ بِالْوَاوِ وَالنُّونِ لأَن مُؤَنَّثَهُ مِمَّا تَدْخُلُهُ الْهَاءُ. والزِّمْل: الحِمْل))[٣].

وقد أبعد البيضاويّ في بيان سبب تسمية النبيّ (صلّى الله عليه وآله) بـ(المُتَزَمّل)، إذ نظر إلى الظاهر من المعنى المُتبادر، ولم يلتفت إلى معنى التأهّب للنبوّة والرسالة، وهو معنى يُناسب مقام النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، قال: ((سُمّيَ به النبيّ (عليه الصلاة والسلام) تهجينًا لما كان عليه فإنّه كان نائمًا، أو مرتعدًا ممّا دَهَشَه من بدء الوحي متزملًا في قطيفة أو تحسينًا له))[٤].

---

(١) أنوار التنزيل: ٢٥٥/٥، وينظر: الكشاف: ٦٣٤/٤.

(٢) البيت لأحيحة بن الجلاح في لسان العرب: ٣١١/١١ (زمل)، ومقاييس اللغة ٣٦/٢.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٣١١/١١ ، (زمل).

(٤) أنوار التنزيل: ٢٥٥/٥.

وقال التستريّ (ت٢٨٣هـ): ((المُزَمّل الذي تَزَمّل في الثياب وضمّها عليه، وهو في الباطن اسم له معناه: يا أيها الجامع نفسه ونفس الله عنده))[١].

وقد أصاب الطبريّ التأويل في ترجيحه للمعنى المُطابق لمقام المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وهو قول قتادة في الأصل، قال: ((اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به نبيه (صلّى الله عليه [وآله] وسلّم) في هذه الآية من التزمُّل، فقال بعضهم: وصفه بأنه مُتَزمل في ثيابه، متأهب للصلاة، قاله قتادة. وقيل: وصفه بأنه متزمِّل النبوّة والرسالة، أي زُملت هذا الأمر فقُمْ به. والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة؛ لأنه قد عقبه بقوله: (قُمِ اللَّيْلَ) فكان ذلك بيانًا عن أنّ وصفه بالتزمُّل بالثياب للصلاة، وأنّ ذلك هو أظهر معنييه))[٢].

نلحظ أنّ البيضاويّ اتفق مع أهل اللغة في بيان معنى (المُزَمّل) مستعينًا بذكر القراءات، ووافق ما جاء به أهل التأويل في أنّ اللفظة تتضمن معنيين لكل قراءة معنى مختلف، والله أعلم.

القَصْر:

أورد البيضاويّ تعدّد القراءات للفظة (كَالْقَصْر) الواردة في قوله تعالى: ﴿**إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ**﴾ [المرسلات:٣٢]، قال: ((إِنَّها تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، أي: كلّ شرارة كَالْقَصْرِ في عظمها، ويؤيده أنه قرئ (بِشَرَار)، وقيل: هو جمع قَصَرَةٍ، وهي الشّجرة الغليظة، وقُرِئ (كالقُصْر) بمعنى القصور كرَهْن ورُهْن، و(كالقُصُر) جمع قَصَرة كحَاجَة وحَوْج، و(كالقَصَر) جمع قَصَرة، وهي أصل العنق والهاء للشعب))[٣].

---

(١) تفسير التستريّ: ١٨٠.

(٢) جامع البيان: ٦٧٦/٢٣.

(٣) أنوار التنزيل: ٢٧٦/٥، وينظر: الكشاف: ٦٨٠/٤.

والقَصَرُ: كعابر الزرع الذي يخرج من البرّ وفيه بقية من الحبّ، وهي القُصْرى والقُصارةُ. والقَصَرةُ: أصل العنق، وكذلك عُنْق النخلة أيضًا، ويجمع القَصَرَ والقَصَراتِ، والقَصَرُ داء يأخذ في القَصَرةِ فتغلظ، وبعير قَصِرٌ، والقَصرُ معروف، وجمعه قُصُور(١).

وقال الأزهريّ: ((القصْرُ: المِجْدَلُ، وَهُوَ الفَدَنُ الضّخْمُ، والقَصْرُ: الْغَايَة، وَيُقَال: قُصارُك أَن تفعَلَ ذَاك وقَصْرُكَ وقُصاراكَ أَن تفعلَ ذَاك، أَي: جهدُكَ وغايَتُكَ، وَيُقَال: المُتَمَنِّي قُصاراهُ الخَيْبَة؛ والقصْرُ: كفُّكَ نفسَكَ عَن شَيْء، وكفكَهَا عنْ أَنْ يطمَحَ بهَا غربُ الطمَع، وَيُقَال: قصَرْتُ نَفسِي عَن هَذَا الْأَمر أقصرُها قصرًا، و قَصِرَ فلانٌ يقصَرُ قَصَرًا: إِذا ضمَّ شَيْئا إِلَى أصْله الأول، وقصَرَ قيد بعيرِه قَصْرًا إِذا ضَيّقه، وقصَرَ فلانٌ صلاتَه يقصُرُها قَصْرًا فِي السّفر))(٢).

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُواْ مِنَ الصَّلواةِ**﴾[النِّسَاء:١٠١]، وَهُوَ أَنْ يصلِّيَ الظهرَ ركعتينِ، وكذلكَ العصرُ وعِشاءُ الْآخِرَة. فَأَما المغربُ وصلاةُ الْفجْر فَلَا قصرَ فيهمَا، وفيهَا لُغاتٌ قَصَرَ الصَّلَاة وأقصرَها وقصَّرَها، كلُّ ذَلِك جَائِز، والقصرُ: العَشِيُّ، وَقد أقصرْنا أَي: دخَلْنا فِي العَشي، وجاءَ مُقْصرًا أَي: حينَ قصرِ العشيِّ: أَي: كَاد يَدْنو من اللَّيْلِ(٣).

وقال الأخفش في قوله تعالى: ﴿**اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ**﴾ [المرسلات:٣٢]: ((كالقصور وقال بعضهم: كالقَصْر، أي: كأعناق الإبل))(٤).

وذكر الطبري أنّ جهنم ترمي بشرر كالقصر، فقرأ ذلك قرّاء الأمصار: (كالْقَصْرِ) بجزم الصاد، واختلف الذين قرؤوا ذلك كذلك في معناه، فقال بعضهم: هو واحد

(١) ينظر: العين: ٥٩/٥، (قصر).
(٢) تهذيب اللغة: ٢٧٨/٨، (قصر).
(٣) ينظر: تهذيب اللغة: ٢٧٨/٨، (قصر).
(٤) معاني القرآن: ٥٦٣/٢.

القصور، فقال ابن عباس: كالقصر العظيم، وقال: القصر: خشب كان يُقْطع في الجاهلية ذراعا وأقلّ أو أكثر، يُعْمَد به. والقصر: الشجر المقطع، ويقال: القصر: النخل المقطوع، وقرأها (كالقَصَرِ) بفتح القاف والصاد.؛ وقال آخرون: بل هو الغليظ من الخشب، كأصول النخل وما أشبه ذلك، وقال قتادة: بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، قال: كأصل الشجر، وأصول النخل، وأولى القراءتين بالصواب في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار، وهو سكون الصاد، وأولى التأويلات به أنّه القصر من القصور؛ وذلك لدلالة قوله: **﴿كَأَنَّهُ جِمَالَةٌ صُفْرٌ﴾** على صحته، والعرب تشبه الإبل بالقصور المبنية [١].

وتنبّه أبو منصور الماتريديّ على أنَّ انواع القراءات يؤدي إلى اختلاف المعنى، فقراءتها مفتوحة الصّاد: هي معروفة، وقيل: يراد بالقَصْر: المعروف المبنى باللّبن والخشب، وقيل: يراد بها قصور أهل البادية، وهي خيام؛ ومَنْ قرأ بالنصب اختلفوا في تأويله: وهو ما قاله ابن عباس الذي ذكرناه في أعلاه، وقَالَ بَعْضُهُمْ: هو أصل النخل المقطوع المُنْقَعِر من الأرض، وقيل: هو أعناق النخيل، وقيل: القَصَرة: اسم الخشبة التي تقطع عليها اللحوم، وتكسر العظام، تكون للقصّابين[٢].

يَصْلَوْنَ:

أورد البيضاويّ ذكر المعنى اللغويّ للفظة (يَصْلَوْنَ) الواردة في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْمًا إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾** [النساء:١٠] مع ذكر قراءتها فقال: ((وقُرِئ به مشددًا يقال: صلّى النار قاسَى حرّها، وصَلَيْته شَوَيْته وأَصْلَيْته وصَلَيْته ألْقَيْته فيها))[٣].

(١) ينظر: جامع البيان: ١٣٧/٢٤.
(٢) تأويلات أهل السّنّة: ٣٨٤/١.
(٣) أنوار التنزيل: ٦٢/٢.

وصَلَى اللَّحْمَ وغيرَهُ بالنار: يَصْلِيه صَلْيًا إذا شَواهُ، فَهُوَ مَصْلِيٌّ كَمَرْمِيّ؛ وَمِنْه الحديثُ: ((أُتِيَ بشاةٍ مَصْلِيَّةٍ، أَي مَشْوِيَّةٍ))[١]، أَو صَلاهُ: أَلْقاهُ فِي النَّارِ للإِحْراقِ، كأَصْلاهُ وصَلاّهُ تَصْلِيةً؛ وقُرِئ: وَيُصَلَّى سَعِيرًا بالتَّشْديدِ، وقراءَةُ التَّشْديدِ هَذِه نُسِبَتْ إِلَى الإِمام عليٍّ (عليه السلام)، وَكَانَ الكِسائي يَقْرأُ بهَا، وليسَ مِن الشَّيء بل هُوَ مِن إِلْقائِكَ اللّحْم فِي النارِ[٢].

قال أبو منصور: ((وَمَنْ قَرَأَ (وَسَيُصْلَوْنَ) فالمعنى: أن الله يُصليهم النار، أي: يدخلهم فيها كي يَصلوا حَرها، ومن قرأ (وَسَيَصْلَوْنَ) جعل الفعل للكفار الذين يصلونها، أي: يقاسون حرها، من صَلِيتُ النار أصلاها، إذا قاسيت حَرّها))[٣].

وقال ابن جنّيّ: ((يروى في الحديث أنّه أتى بشاة مصليّة، أي مشويّة. يقال: صلاه يصليه: إذا شواه، ويكون منقولًا من صلى نارًا وصليته نارًا، كقولك: كسى ثوبًا وكسوته ثوبًا))[٤].

وعند التوجه تلقاء المفسّرين نجد ما ذكره الزمخشريّ بقوله: ((وقرئ (وَسَيُصْلَّوْنَ) بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها سَعِيرًا نارًا من النيران مبهمة الوصف))[٥].

واستعان أبو السعود العماديّ (ت٩٨٢هـ) بالمعنى المعجمِيّ في تفسير الآية الكريمة فقال: ((من الإصلاء والتّصلية، يقال صَلِيَ النار قاسي حرَّها وصَلِيْته شويته وأصليته ألقيته فيها))[٦].

---

(١) سنن الترمذي: ٦١/٣، حديث رقم (٦٨٦).
(٢) ينظر: تاج العروس: ٤٣٢/٣٨، (صلى).
(٣) معاني القراءات: ٢٩٣/١.
(٤) ينظر: المحتسب: ٢٨٧/١.
(٥) الكشاف: ٤٧٩/١.
(٦) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١٤٨/٢.

مُتَّكًا:

تنبّه البيضاويّ على بيان المعنى اللغويّ للفظة (مُتَّكًا) الواردة في قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وَآتَتْ كُلَّ واحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ ما هذا بَشَرًا إِنْ هذا إِلَاّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾** [يوسف:٣١]، قال: ((مُتَّكًا ما يَتّكِئْنَ عليه من الوسائد، وقيل: مُتّكَأ طَعَامًا أو مجلس طعام فإنهم كانوا يتكئون للطعام والشراب ترفًا ولذلك نهى عنه، قال جميل[١]:

فَظَلَلنا بِنِعْمَةٍ وَاتَكَأْنَا وَشَرِبْنَا الحَلَالَ مِنْ قُلَلِهْ

وقيل: المُتّكأ طعام يُحَزّ حَزًّا كأنّ القاطع يتّكِئ عليه بالسكين))[٢]، وقد استعان البيضاويّ بالقراءات زيادةً في تكشيف المعنى اللغويّ، قال: ((وقُرِئ (مُتّكَا) بحذف الهمزة و(متكاء) بإشباع الفتحة كمنتزاح، و(مُتّكا) وهو الأُترج أو ما يقطع من مَتَكَ الشيء إذا بتكه، و(متكأ) من تَكِئَ يَتّكأ إذا اتكأ))[٣].

قال ابن فارس: ((الْوَاوُ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ: أُصَيْلٌ يَدُلُّ عَلَى شَدِّ شَيْءٍ وَشِدَّةٍ. مِنْهُ الْوِكَاءُ: الَّذِي يُشَدُّ بِهِ، وَتَقُولُ: سَأَلْتُهُ فَأَوْكَى عَلَيَّ، أَيْ بَخِلَ، كَأَنَّهُ قَدْ شَدَّ، وَإِنَّ فُلَانًا لَوِكَاءٌ مَا يَبِضُّ بِشَيْءٍ ؛وَمِنَ الْبَابِ تَوَكَّأْتُ عَلَى كَذَا، أَيِ اتَّكَأْتُ، لِأَنَّهُ يَتَشَدَّدُ بِهِ وَيَتَقَوَّى بِهِ. وَأَوْكَأْتُ فُلَانًا إِيكَاءً: نَصَبْتُ لَهُ مُتَّكًا))[٤].

---

(١) ديوانه: ١٨٩

(٢) أنوار التنزيل: ١٦٢/٣.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٢/٣، وينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٧٩.

(٤) مقاييس اللغة: ١٣٧/٦.

اختلف المفسرون في تفسير(المُتّكَأ) فأخرجه مجاهد بن جبر (المتكأ) بمعنى الْأُتْرُجُّ، وقيل: المُتّكَأ هو الطعام[١]. وقيل :((وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكًا وهو الأُتْرُج وكلّ شيء يُحَزّ بالسكين فهو متُكّأ))[٢].

وقال أبو عبيدة: ((مُتّكِئًا، أي نُمْرُقًا تَتّكِئ عليه، وزعم قوم أنّه الأُتْرُج، وهذا أبطل باطل في الأرض، ولكن عسى أنْ يكون مع المتكاء أُتْرُج يأكلونه))[٣].

وعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: مَنْ قرأها مُتّكًا وَنَوَّنَهَا قَالَ: الطَّعَامُ وَمَنْ لَمْ ينونها قال: الأُتْرُنج[٤]. وفسّرها الطبريّ ((متكأ بمعنى: مجلسًا للطعام، وما يَتّكِئْنَ عليه من النّمَارِق والوَسائد: وهو (مُفْتَعَل) من قول القائل: اتَّكأتُ، يُقال: ألقِ له مُتَّكًا، يعني: ما يتكئ عليه))[٥]، وأصله مُوْتَكَأ مثل مُوتَزَن منَ الوزن[٦].

كما استعان الأصفهانيّ بالمعنى المعجمِيّ في بيان معنى (المتكأ) ((الوِكَاءُ: رباط الشيء، وقد يجعل الوِكَاءُ اسما لما يجعل فيه الشيء فيشدّ به، ومنه أَوْكَأْتُ فلانًا: جعلت له مُتَّكًا، وتَوَكَّأَ على العصا: اعتمد بها وتشدّد بها. قال تعالى: **﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾**(طه: ١٨) وَمِنَ الْبَابِ تَوَكَّأْتُ عَلَى كَذَا، أَيِ اتَّكَأْتُ، لِأَنَّهُ يَتَشَدَّدُ بِهِ وَيَتَقَوَّى بِهِ. وَأَوْكَأْتُ فُلَانًا إِيكَاءً: نَصَبْتُ لَهُ مُتَّكًا))[٧].

(١) ينظر: تفسير مجاهد: ٣٩٥.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٣٣١/٢
(٣) مجاز القرآن: ٣٠٩/١.
(٤) ينظر: تفسير سفيان الثوري: ١٤١.
(٥) جامع البيان: ٦٩/١٦.
(٦) ينظر: معاني القرآن وإعرابه: ١٠٦/٣.
(٧) المفردات في غريب القرآن: ٨٨٣.

خِطْئًا:

وقف البيضاويّ على لفظة (خِطْئًا) لبيان معناها الواردة في قوله تعالى: **﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴾** [الإسراء:٣١]، قال: ((والخِطْأ الإثم، يُقال: خَطِئَ خِطْأً كأَثِمَ إثْمًا، وقرأ ابن عامر خِطًا وهو اسم من أخطأ يضاد الصواب، وقيل: لغة فيه كمَثَل ومِثْل وحَذَر. وقرأ ابن كثير (خطاء) بالمد والكسر، وهو إمّا لغة فيه أو مصدر خاطأ، وهو وإنْ لم يسمع لكنه جاء تَخَاطَأ في قوله:

تَخَاطَأَهُ القَناصُ حَتَّى وَجَدْتُه وَخَرْطُومُهُ فِي مَنْقعِ المَاءِ رَاسِب

وهو مبنيّ عليه، وقُرِئ (خَطَاء) بالفتح والمدّ، و(خَطَا) بحذف الهمزة مفتوحًا ومكسورًا))[١].

الْخَاطِئُ: الْآثِمُ: يُقَالُ: قَدْ خَطِئْتُ أَخْطَأُ خِطْئًا إِذَا أَثِمْتَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾** [يوسف:٩٧]، أَيْ آثِمِينَ[٢] وقيل: الرجُلُ خِطْئًا فَهُوَ خاطئٌ وأَخطأَ إِذا لمْ يُصِبِ الصوابَ؛ وَيُقَال فِي مَثَلٍ: مَعَ الخَواطئ سَهْمٌ صائبٌ، يُضْرَبُ لِلَّذِي يُكثِرُ الخطأَ وَيَأْتِي الأحيانَ بالصَّوَاب، و(أخطأتُ): لمَا صنَعه خَطأ غير عَمْدٍ؛ والْخَطَأُ مَهْمُوزٌ مَقْصُورٌ: اسمٌ مِن (أَخْطَأْتُ خَطًا وإِخْطَاءً) وخَطِئْتُ خِطْئًا بِكَسْر الخَاء مقصورٌ، إِذا أَثِمْتُ[٣]، وأنشَد أميّة بنُ أبي الصّلْت[٤]:

عِبَادُكَ يَخْطَأُونَ وَأنتَ رَبٌّ كَرِيمٌ لَا تَلِيقُ بكَ الذُّمُومُ

---

(١) أنوار التنزيل: ٢٥٤/٣، وينظر: الكشاف: ٦٦٤/٢.

(٢) الدلائل في غريب الحديث: ٣٠٢/١.

(٣) تهذيب اللغة: ٢٠٧/٧، (خطأ).

(٤) ديوانه: ٥٤.

وأوضح القرطبيّ المعنى اللغويّ للفظة من خلال ذكر أصلها وما ورد فيها من قراءات، إذ قال: ((خِطًا: قِرَاءَةُ الْجُمْهُورِ بِكَسْرِ الْخَاءِ وَسُكُونِ الطَّاءِ وَبِالْهَمْزَةِ وَالْقَصْرِ، وَقَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ (خَطًا) بِفَتْحِ الْخَاءِ وَالطَّاءِ وَالْهَمْزَةِ مَقْصُورَةً، وَهَاتَانِ قِرَاءَتَانِ مَأْخُوذَتَانِ مِنْ (خَطِئَ) إِذَا أَتَى الذَّنْبَ عَلَى عَمْدٍ. و يُقَالُ خَطِئَ فِي ذَنْبِهِ خَطًا إِذَا أَثِمَ فِيهِ، وَأَخْطَأَ إِذَا سَلَكَ سَبِيلَ خَطَأٍ عَامِدًا أَوْ غَيْرَ عَامِدٍ. قَالَ: وَيُقَالُ خَطِئَ فِي مَعْنَى أَخْطَأَ. وَقَالَ الْأَزْهَرِيُّ: يُقَالُ خَطِئَ يَخْطَأُ خِطْئًا إِذَا تَعَمَّدَ الْخَطَأَ، وَأَخْطَأَ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدْ إِخْطَاءً وَخَطًا، وَالْخَطَأُ الِاسْمُ يَقُومُ مَقَامَ الْإِخْطَاءِ، وَهُوَ ضِدُّ الصَّوَابِ. وَفِيهِ لُغَتَانِ: الْقَصْرُ وَهُوَ الْجَيِّدُ، وَالْمَدُّ وَهُوَ قَلِيلٌ))[1].

نلحظ أنّ البيضاويّ تنبّه على ذكر أنواع القراءات لعلاقة ذكرها بتكشيف المعنى وتوضيحه للقارئ وهو كثير جدًّا، وقد اكتفيت بهذا القدر، لارتباطه بالأثر المعجميّ.

فمما لاشكّ فيه أنّ القرآن الكريم عنده أفصح كلام وأبلغه، لذلك نرى البيضاويّ يهتمّ بالقراءات المختلفة اهتمامًا كبيرًا، فلا تمرّ عليه قراءة وردت في لفظ قرآني إلا ويذكرها ويتعرض لها بالتوضيح والبيان والتوجيه، فالقراءات القرآنية تعدّ نسقًا أدائيًّا مهمًّا في أنوار التنزيل، وموقفه هو التسليم والقبول بكلّ القراءات التي نقلت عن القرّاء، وهو يحتج بالقراءة القرآنية لتكون هي الضابط للأصل والمصحح للكلام والمعيار الوثيق على صحّة القياس، فإذا وجد في القراءة ما هو مخالف للشائع من لغة العرب، بعيدًا عن قياس أهل اللّغة، انبرى يجد له النظائر في المادة المسموعة، ليبين أنّ تلك القراءة ليست مجافية لأصول النحو وقواعد اللّغة.

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٢٥٣/١٠.

خاتمة الرّسالة ونتائجها

نحمدُ الله تبارك وتعالى أنْ مَنّ عليَّ بدراسة هذا التفسير القيم، فقد استفدت الكثير من هذه الدراسة، سواء بمطالعتي له أو الرجوع إلى الكتب والدراسات التي قامت عليه، وتناولته بالبحث والدراسة، فقد حظي تفسيرُ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) بمكانة سامقة عند جمهور الباحثين والمهتمين بالدراسات الشرعيّة واللّغويّة فضلًا عن كثرة شروحه، فكان بحقّ كما ذكرنا –من قبلُ– أنوارًا للمعنى السّديد وأسرارًا للتّأويل الحميد فتناوله العلماء بالدراسة والتعليق، والطلاب بالفهم والتحصيل والتحقيق.

بفضل الله تعالى وكرمه توصّلتُ إلى مجموعة طيبة زكيّة من النتائج، ويمكن تبيانها بدقّة واختصار، وهي:

١. أراد البيضاويّ في ضوء تركيزه على فَهْم الدلالة القرآنيّة للفظ واستنباط الدلالة؛ من أجل بيان موضعها الإعجازيّ، فحاول جاهدًا رصد الدّلالة اللّغويّة للفظ القرآنيّ في ظلّ توسمه بالأثر المعجميّ الحاسِم.

٢. اهتمّ البيضاويّ بالمعجم؛ لأنّه يعدّ آلية من آليات التفسير، إذ لا يمكن فَهْم المعنى من دون المعرفة بمعاني الألفاظ. وإنْ اختلفت طرائق تعامله باختلاف المواد اللغويّة، وهذا يظهر أهمية تفسيره إذ يتعامل مع كل ظاهرة لغويّة بحسب خصوصياتها وما يقتضيه بيانها.

٣. لا يتوقف البيضاويّ عند معنى واحدٍ للفظة، ويعطي اللفظ في بعض الأحيان معاني متعددة تنسجم أجمعها مع السياق ولا تتعارض معه

٤. كثير من المعاني التي ذكرها البيضاويّ جاءت متوافقة مع المعاني التي ذكرها اللغويون ولم يختلف معهم، ويبدو أنّه مطلع على اللغة وعارفٌ بأدقّ تفاصيلها، ولا تخفى عليه خافية، وهو لغويٌّ بارعٌ ومفسّرٌ فذٌّ.

٥. امتلك البيضاويّ ناصية اللغة، وتفسيره حافلٌ بذلك، فضلًا عن اطلاعه على أوزان الألفاظ ودلالاتها، واطلاعه الواسع على القراءات القرآنية وأصحابها، فهو موسوعيّ عالمٌ بأدقّ أسرار اللغة.

٦. لا يغفل البيضاويّ عن أهمية السياق في بيان معاني الألفاظ، فأحيانًا لا يتوقف عند معنى واحد للفظ، وإنّما يذكر معاني عدة تتناسب وتتواشج مع سياق الآية المباركة، وهذا في نفسه يكشف لنا أنّ البيضاويّ لغويّ بارعٌ ومفسّرٌ محقّق قد تمكن من توظيف المعجم اللغويّ والإفادة منه في تفسير الألفاظ، ولم يقف عند هذا الحدّ وإنما راح يعطي اللفظ معاني متعددة آخذًا بنظر العين السياق وأهميته واتساق المعنى واتفاقه مع السياق، وهذا ينُمُّ عن قدرته وعلو كعبه في هذا المجال.

٧. اتبع البيضاويّ طرائقَ عديدة لبيان المعنى المعجمِيّ، فأحيانًا يستدلّ بالقرآن الكريم لبيان معنى اللفظ في آية معينة عن طريق توضيح المعنى بآية أُخرى، وكذلك يستدلّ على المعنى في ضوء الاستشهاد بالأحاديث النبويّة الشريفة عن طريق ذكر اللفظة في أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مما يساعد على توضيح المعنى اللغويّ للفظ.

٨. استعان البيضاويّ بالمعجم الشعريّ في بيان المعاني المعجمِيّة للألفاظ، وكان للشعر الحظ الأوفر في تفسيره (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، كذلك تنبه البيضاويّ على ذكر القراءات؛ لما لها أهمية في الكشف عن المعنى المعجمِيّ؛ لأنّ اختلاف اللفظ يؤدي إلى اختلاف المعنى.

٩. للبيضاوي عناية بضبط الألفاظ صرفيًّا، وبيان وزنها الصرفيّ وما يبنى على ذلك من معنى، ويستعين بألفاظ أخرى مناظرة في المبنى والمعنى ليقيس عليها، وهو يميل في بيانه للمعنى المعجمِيّ إلى الإيجاز والاختصار مكتفيًا بما يحقّق بغيته من

ذلك وهي الوصول إلى المعنى؛ لكي لا يثقل تفسيره بما لا يحتاج إليه في تفسير الآيات.

١٠. تنبه البيضاويّ على ظاهرة الضدّ والنظير في الكشف عن المعنى المعجمِيّ، ففي بعض الأحيان يقوم ببيان معنى اللفظ عن طريق ذكر الضدّ أو النظير للفظة المراد تفسيرها وبيان معناها، وهو أسلوبٌ اعتمده في تفسير الكثير من الألفاظ.

١١. عُني البيضاويّ ببيان الألفاظ المركبة بالاعتماد على نظرية الأنساق اللغوية عن طريق استظهار التزاوج أو الترابط بين الألفاظ التي يصعب الفصل بينها.

١٢. في توثيقنا لما نقله البيضاويّ من المعاني المعجمِيّة وجدنا تشابهًا أحيانًا بين عباراته وعبارات أرباب المعاجم والتفاسير وتطابقًا أحيانًا، وقد أشرنا إلى مَن وافقهم في ما ذهبوا إليه من المتقدمين عليه ومَن وافقوه في ما ذهب إليه من المتأخرين عنه.

١٣. ضمّن البيضاويّ تفسيره نكتًا بارعةً، واستنباطاتٍ دقيقةً، كل هذا في أسلوب رائع موجز، إذ يهتم بما يخصّ مستويات اللغة النحويّة والصرفيّة والصوتيّة التي تترابط فيما بينها لتساعد على وضوح المعنى وترسيخه في ذهن القارئ، ثم بعد ذلك يشير إلى الجانب الشرعيّ الذي تشير له الآية القرآنيّة، فيفهم الحكم الشرعيّ عن طريق وضوح المعنى اللغويّ لإزالة الإشكال أو الغموض عن اللفظ عن طريق بيانه معجميًا، فهنا يتبين الأثر المعجمِيّ الذي يظهر المعاني التي تتضمنها اللفظة، ثم يكسوها ثوبًا معينًا عن طريق الاهتمام بالسياق الذي وردت فيه تلك اللفظة.

١٤. يبقى تفسير البيضاويّ (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) محتملًا لدراسات لغوية أخرى على الرغم مما كتب حوله من رسائلَ وأطاريحَ، ومن ذلك صنع معجم خاصّ مستخرج من تفسيره الذي جمعنا مادته المعجمِيّة، إذ بلغ عدد الألفاظ المفسَّرة عن طريق بيان معناها المعجمِيّ بحدود (٦٥٠) لفظة معرّفة معجميًا، وهذا وحده كفيل بصناعة معجم لغويٍّ خاصٍّ بكتابه أنوار التنزيل وأسرار التأويل.

١٥. الدعوة إلى دراسة الأثر المعجميّ في بقية التفاسير، مما جاء هذا الأثر حاضرًا فيها من أجل الوقوف على هذه الممارسة البيانيّة في المدونات التفسيريّة ولا سيّما في تفسير التبيان للشيخ الطوسيّ (ت٤٦٠هـ) وتفسير مجمع البيان للشيخ الطبرسيّ (ت٥٤٨هـ) وتفسير المحرّر الوجيز لابن عطيّة الأندلسيّ، وتفسير التّحرير والتنوير للطاهِر بن عاشور وغيرها.

وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالمينَ وصلى اللهُ على محمدٍ وآلهِ الطيبينَ الطاهرينَ وصحبِهِ الغرِّ الميامينَ.

مصادر الرسالة ومراجعها

- القرآن الكريم.

📖 **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، أحمد بن محمد بن أحمد شهاب الدين الشهير بالبناء (ت ١١١٧هـ)، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

📖 **الإتقان في علوم القرآن**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

📖 **أثر المعنى المعجمي في تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن السبع الطوال أنموذجًا**، الدكتورة حنان محمود داود حمّوشي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٢٠م.

📖 **أحكام القرآن**، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصّاص الحنفيّ (ت٣٧٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

📖 **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، (د. ت)

📖 **أساس البلاغة**، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد جار الله الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

📖 **إسفار الفصيح**، أبو سهل محمد بن علي بن محمد الهروي النحويّ (ت٤٣٣هـ)، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد، مطابع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعوديّة، ١٤٢٠هـ.

📖 **إصلاح المنطق**، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السّكّيت (ت٢٤٤هـ)، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

📖 **الأصلان في علوم القرآن**، محمد عبد المنعم القيعي، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ط٤، ١٤١٧ هـ- ١٩٩٦م.

📖 **الأصول في النّحو**، أبو بكر مُحمّد بن سهل بن السَّرّاج النّحويّ البغداديّ (ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتليّ، مؤسّسة الرِّسالة، بيروت، لبنان، ط ٣، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

📖 **الاعتماد في نظائر الظاء والضاد**، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، أبو عبد الله، جمال الدين (ت٦٧٢هـ) ومعه: **فائت نظائر الظاء والضاد**، الدكتور حاتم صالح الضامن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط٢، ١٤١٨هـ.

📖 **إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم**، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ١٣٦٠هـ-١٩٤١م.

📖 **إعراب القراءات السبع وعللها**، أبو جعفر محمد بن أحمد بن نصر بن خالويه الأصبهاني (ت٦٠٣هـ) [كذا في المطبوع]، والصواب أنّه لأبي محمد ابن خالويه النحوي (ت٣٧٠هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: أبو محمد الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

📖 **إعراب القرآن**، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحويّ (ت٣٣٨هـ) وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

📖 **إعراب القرآن وبيانه**، محيي الدين درويش (ت١٤٠٣هـ)، دار اليمامة ودار ابن كثير، دمشق- سوريا، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤١٥هـ.

📖 **الإعراب المفصل لكتاب الله المرتل**، بهجت عبد الواحد صالح، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان، ط ٢، ١٤١٨ هـ، ١٩٩٧م.

📖 **الأعلام**، خير الدين بن محمود بن محمد علي بن فارس الزركلي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

📖 **الاقتراح في أصول النحو وجدله**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطيّ، تحقيق وشرح: محمود فجال، وسمى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح)، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م.

📖 **الانتصار للقرآن**، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم، القاضي أبو بكر الباقلاني المالكيّ (ت٤٠٣هـ)، تحقيق: د. محمد عصام القضاة، دار الفتح - عَمَّان، دار ابن حزم - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١ م.

📖 **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ.

📖 **إيجاز البيان عن معاني القرآن**، محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (ت٥٥٠هـ)، تحقيق: الدكتور حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

📖 **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير (ومعه حاشية نهر الخير)**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٥، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

📖 **البحث اللغوي عند العرب**، أحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، ط٨، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٣م.

📖 **البحث النحويّ عند الأصوليين**، الدكتور مصطفى جمال الدين (ت١٤١٧هـ)، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ١٩٨٠م.

📖 **بحر العلوم**، نصر بن مُحمّد بن إبراهيم أبو الليث السمرقنديّ الفقيه الحنفيّ (ت٣٧٥هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، (د. ت).

📖 **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان الأندلسي (ت٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

📖 **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسيّ الصوفيّ (ت١٢٢٤هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، والدكتور حسن عباس زكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

📖 **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزّركشيّ (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.

📖 **البرهان في وجوه البيان**، أبو الحسين إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب الكاتب، تحقيق: حفني محمد شرف، مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م.

📖 **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/ لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

📖 **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ، حقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، (د. ت).

📖 **تاج العروس**، مرتضى الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من تحقيقين، الناشر: دار الهداية، (د. ت).

📖 **تاريخ نزول القرآن**، محمد رأفت سعيد، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

📖 **تأويلات أهل السنَّة**، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥ م.

📖 **تأويل مشكل القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).

📖 **التبيان في إعراب القرآن**، أبو البقاء العكبريّ (ت٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، (د. ت).

📖 **التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

📖 **تصحيح الفصيح وشرحه**، أَبُو محمد، عبد الله بن جعفر بن محمد بن دُرُسْتَوَيْه ابن المرزبان (ن٣٤٧هـ) تحقيق: د. محمد بدوي المختون، مطابع التجارية، القاهرة، مصر، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

📖 **التطورات المعجمية والمعجمات اللغوية العامة العربية الحديثة**، صافية زفنكي، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ٢٠٠٧م.

📖 **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجانيّ (ت٨١٦هـ)، ضبط وتحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

📖 **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي،النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

📖 **تفسير التستري**، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التُستري (ت٢٨٣هـ) جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

📖 **تفسير الثوري**، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت١٦١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

📖 **التفسير الحديث** [مرتب حسب ترتيب النزول]، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ١٣٨٣هـ.

📖 **تفسير الراغب الأصفهاني**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق ودراسة: محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

📖 **تفسير السمعاني**، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

📖 **تفسير عبد الرزاق**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت٢١١هـ)، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.

📖 **تفسير العز بن عبد السلام**، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن **الحسن** السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت٦٦٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

📖 **تفسير القرآن العزيز**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي (ت٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، مطبعة الفاروق الحديثة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

📖 **تفسير القرآن العظيم**، أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد علم الدين السخاوي المصري الشافعي (ت٦٤٣ هـ)، تحقيق وتعليق: موسى علي موسى مسعود، د أشرف محمد بن عبد الله القصاص، دار النشر للجامعات، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

📖 **تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه**، محمد علي طه الدرة، ، دار ابن كثير، دمشق، ط ١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

📖 **تفسير القرآن من الجامع لابن وهب**، أبو محمد عبد الله بن وهب بن مسلم المصري القرشي (ت١٩٧هـ)، تحقيق: ميكلوش موراني، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م.

📖 **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي، ط ١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.

📖 **تفسير مجاهد**، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت١٠٤هـ)، تحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط ١، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.

📖 **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي (ت١٣٧١هـ)، مطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م.

📖 **تفسير مقاتل**، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ.

📖 **التفسير الواضح**، محمد محمود الحجازيّ، دار الجيل الجديد، بيروت، لبنان، ط١٠، ١٤١٣هـ.

📖 **التفسير والمفسرون**، الدكتور محمد السيد حسين الذهبي (ت١٣٩٨هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٠م .

📖 **تفسير يحيى بن سلام**، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت٢٠٠هـ)، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

📖 **التقفية في اللغة**، أبو بشر، اليمان بن أبي اليمان البَندنيجي، (ت٢٨٤هـ)، تحقيق: د. خليل إبراهيم العطية، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٦م.

📖 **تقويم اللسان**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز مطر، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦م.

📖 **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

📖 **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ،

📖 **التيسير في التفسير**، نجم الدين عمر بن محمد بن أحمد النسفي الحنفي (ت٥٣٧هـ)، تحقيق: ماهر أديب حبوش وآخرين، دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، أسطنبول، تركيا، ط١، ١٤٤٠هـ- ٢٠١٩م.

📖 **ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (النكت في إعجاز القرآن)**، أبو الحسن علي بن عيسى الرّمانيّ (ت٣٨٦هـ)، تحقيق: عبد الوهاب رشيد وعصام فارس، دار عمّار، عمان، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.

📖 **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبريّ (ت٣١٠هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

📖 **جامع بيان العلم وفضله**، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م.

📖 **الجامع لأحكام القرآن**، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبيّ (ت٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

📖 **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، (د. ت).

📖 **الجراثيم**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ) تحقيق: محمد جاسم الحميدي قدم له: الدكتور مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، (د. ت).

📖 **جمهرة اللغة**، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزديّ (ت٣٢١هـ) تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

📖 **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

📖 **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي (عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاويّ)**، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت، (د. ت).

📖 **الحجّة للقرّاء السّبعة**، أبو علي الفارسي، تحقيق: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق–بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ– ١٩٩٣م.

📖 **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط ٤، ١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

📖 **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، محمد عبد الخالق عضيمة (ت١٤٠٤هـ)، تصدير: محمود محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (د. ت).

📖 **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر**، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: وَلِيد بِن أحمد بن صَالِح الحُسَيْن، إياد عبد اللطيف القيسي، الناشر مجلة الحكمة، بريطانيا، ط١، ١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م.

📖 **الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون**، شهاب الدين أحمد بن يوسف السمين الحلبيّ (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٦هـ.

📖 **الدّرّ المنثور**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د. ت).

📖 **الدلائل في غريب الحديث**، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي (ت٣٠٢هـ)، تحقيق: د. محمد بن عبد الله القناص، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١ م.

📖 **ديوان أبي العتاهية**، أبو العتاهية إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان (ت٢١٣ هـ)، المحقق كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م.

📖 **ديوان أبي قيس بن الأسلت**، دراسة جمع تحقيق، دكتور حسين محمد باجودة، مكتبة دار التراث القاهرة.

📖 **ديوان الأخطل**، شرح: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

📖 **ديوان الأعشى**، ميمون بن قيس، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٢م.

📖 **ديوان امرئ القيس**، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (ت٥٤٥م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٤٢٥هـ– ٢٠٠٤م.

📖 **ديوان أمية ابن أبي الصلت**، أمية بن عبد العزيز بن أبو الصلت (ت٥٢٩ هـ)، تحقيق: سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

📖 **ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب**، تحقيق: الدكتور نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣، (د. ت).

📖 **ديوان جميل بثينة**، جميل بن معمر، دار صادر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٩م.

📖 **ديوان حسان بن ثابت**، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد (ت٥٤هـ) تحقيق: عبد مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

📖 **ديوان حميد**، حميد بن ثور الهلالي، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥١م.

📖 **ديوان دريد بن الصمة**، دريد بن معاوية بن الحارث بن ماوية بن بكر بن علقمة (ت٨هـ) تحقيق: عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م.

📖 **ديوان ذي الرّمّة**، شرح أبي نصر الباهلي رواية ثعلب، أبو نصر أحمد بن حاتم الباهلي (ت٢٣١هـ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، جدة، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

📖 **ديوان الراعي النميري**، عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعه النميري (ت٩٦هـ)، شرح: واضح الصمد، دار الجبل، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

📖 **ديوان رؤبة بن العجّاج**، اعتنى بتصحيحه وترتيبه: وليم بن الورد البروسي، دار ابن قتيبة للطبع والنشر والتوزيع، الكويت، (د. ت).

📖 **ديوان زيد الخيل الطائيّ**، صنعه: الدكتور نوري حمودي القيسي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، (د. ت).

📖 **ديوان سلامة بن جندل**، صنعه: محمد بن الحسن الأحول، قدم له ووضع هوامشه: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤ هـ- ١٩٩٤م.

📖 **ديوان السموأل**، السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعه بن حارث الأزدي ، صنعه أبو عبد الله نفطويه، تحقيق: واضح الصمد، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

📖 **ديوان الشّماخ بن ضرار الذبيانيّ**، تحقيق: صلاح الدين الهادي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٨م.

📖 **ديوان الطّرمّاح**، الطّرمّاح بن حكيم بن الحكم (ات١٢٥هـ)، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

📖 **ديوان طفيل الغنوي**، طفيل بن عوف بن كعب من بني غني من قيس عيلان (ت٦٠٩م) شرح: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك الأصمعي (ت٢١٦هـ) تحقيق: حسان فلاح اوغلي، دار صادر، بيروت، ط ١، ١٩٩٧م.

📖 **ديوان العجاج**، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عزّة حسن، بيروت، دار الشرق العربي، ط ١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

📖 **ديوان عدي بن زيد العباديّ**، تحقيق: محمد جبار المعيبد، وزارة الثقافة والإرشاد، مديرية الثقافة العامة، دار الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، العراق، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

📖 **ديوان علقمة الفحل**، علقمة بن عبدة بن النعمان بن قيس بن ربيعة (ت١ ق.هـ) شرح: الأعلم الشنتمري، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب، دار الكتاب العربي بحلب، سوريا، ط١، ١٩٦٩م.

📖 **ديوان الفرزدق**، همام بن غالب بن صعصعة أبو فراس الفرزدق، تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

📖 **ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى**، قيس بن الملوح (ت٦٨هـ)، تحقيق: يسري عبد الغني دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

📖 **ديوان لبيد**، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري الشاعر معدود من الصحابة (ت٤١هـ) اعتنى به: حمدو طمّاس، دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

📖 **ديوان النابغة الذبيانيّ**، تحقيق: مُحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢، ١٩٨٥م.

📖 **ديوان الهذليين (الشعراء الهذليون)**، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ١٣٨٥هـ- ١٩٦٥م.

📖 **ذخيرة الحفاظ (من الكامل لابن عدي)**، أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني، المعروف بابن القيسراني (ت٥٠٧هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن الفريوائي، دار السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

📖 **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثانيّ**، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت١٢٧٠هـ) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.

📖 **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

📖 **الزاهر في معاني كلمات الناس**، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

📖 **سرّ صناعة الإعراب**، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

📖 **سُنَنُ أبي داود مع شرحه عون المعبود**، أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي السجستاني (ت٢٧٥هـ) المطبعة الأنصارية بدلهي، الهند، ١٣٢٣هـ.

📖 **سُنَنُ الترمذيّ**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م.

📖 **الشاهد الشّعريّ في تفسير القرآن الكريم، أهميته، وأثره، ومناهج المفسرين في الاستشهاد به**، عبد الرحمن بن معاضة الشهري، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٣١هـ.

📖 **الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه**، خديجة الحديثي، جامعة الكويت، الكويت، ط١، ١٣٩٤هـ.

📖 **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبليّ (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط ١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

📖 **شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (ت٢٣١هـ)، يحيى بن علي بن محمد التبريزيّ**، أبو زكريا (ت٥٠٢هـ)، دار القلم، بيروت، (د. ت).

📖 **شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد)**، تحقيق: الدكتور سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٨٥م.

📖 **شعر الأحوص الأنصاريّ**، عبدالله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري، تحقيق: عادل سليمان جمال وشوقي ضيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٢، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.

📖 **شعر البعيث المجاشعي**، أبو زيد خداش بن بشر بن خالد التميميّ (ت١٣٤هـ)،تحقيق: عدنان محمد أحمد، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠١٠م.

📖 **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، نشوان بن سعيد الحميريّ اليمني (ت٥٧٣هـ) تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري وآخرين، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، دار الفكر، دمشق- سوريا، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

📖 **الصّاحبيّ في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، أبو الحسين أحمد بن فارس (ت٣٩٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

📖 **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهريّ (ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.

📖 **الصّحاح ومدارس المعجمات العربية**، أحمد عبد الغفور عطّار، دار العلم للملايين، ١٩٦٧م.

📖 **صحيح البخاريّ**، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

📖 **صحيح مسلم**، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوريّ (ت٢٦١هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٥م.

📖 **ضعيف سنن الترمذيّ**، محمد ناصر الدين الألباني (ت١٤٢٠هـ) أشرف على طباعته والتعليق عليه: زهير الشاويش، المكتب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.

📖 **طبقات الشافعيّة**، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسديّ تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

📖 **طبقات المفسرين**، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداووديّ المالكيّ (ت٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).

📖 **العربية والبحث اللغوي المعاصر**، رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

📖 **عُمْدة الحفّاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبيّ، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

📖 **العموم الصرفيّ في القرآن الكريم**، رضا هادي حسون العقيدي، المركز التقني، بغداد، العراق، ط٢، ١٤٣٤هـ-٢٠١٢م.

📖 **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت١٧٠هـ) تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، وزارة الثقافة، بغداد، العراق، ١٩٨٢م.

📖 **غرائب التفسير وعجائب التأويل**، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانيّ، ويعرف بتاج القراء (ت٥٠٥هـ)، دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة، ومؤسسة علوم القرآن – بيروت، (د. ت).

📖 **غريب الحديث**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، (د. ت).

📖 **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوريّ تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.

📖 **الغريبين في القرآن والحديث**، أبو عبيد أحمد بن محمد الهرويّ (ت٤٠١هـ)، تحقيق ودراسة: أحمد فريد المزيديّ، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

📖 **فتح الباري شرح صحيح البخاريّ**، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (ت٧٩٥هـ) تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

📖 **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجيّ (ت١٣٠٧هـ) عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

📖 **فتح الرحمن في تفسير القرآن**، مجير الدين بن محمد العليمي المقدسي الحنبليّ (ت٩٢٧هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، دار النوادر، ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

📖 **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكانيّ اليمنيّ (ت١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

📖 **الفتح المبين في طبقات الأصوليين**، عبد الله مصطفى المراغي، مطبعة أنصار السُّنّة المحمدية، ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م.

📖 **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)**، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبيّ (ت٧٤٣ هـ)، تحقيق ودراسة: إياد محمد الغوج ود. جميل بني عطا، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط١، ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.

📖 **الفروق اللغوية**، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د. ت).

📖 **الفهرسة الهجائيّة والترتيب المعجميّ**، الدكتور محمد بن سليمان الأشقر (ت١٤٣٠هـ)، دار البحوث العلمية، ط١، ١٩٧٠م.

📖 **القاموس المحيط**، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآباديّ (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

📖 **كتاب الألفاظ**، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السّكّيت (ت٢٤٤هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

📖 **الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد**، المنتجب الهمذانيّ (ت٦٤٣هـ)، تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

📖 **كتاب فيه لغات القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: جابر بن عبد الله السريع، ١٤٣٥هـ. الكتاب غير مطبوع، وهو موافق لنسخة المحقق.

📖 **الكتاب، كتاب سيبويه**، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت١٨٠هـ) تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

📖 **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، أبو القاسم جارالله محمود بن عمر الزمخشريّ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

📖 **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون**، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

📖 **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، أبو إسحاق الثعلبيّ (ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

📖 **الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية**، عبد الله خضر حمد، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.

📖 **كلام العرب من قضايا اللغة العربية**، حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٦م.

📖 **لباب التأويل في معاني التنزيل**، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (ت٧٤١هـ)، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

📖 **لسان العرب**، أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي جمال الدين ابن منظور الأنصاريّ الإفريقيّ (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

📖 **لمسات بيانية في نصوص من التنزيل**، فاضل صالح السامرائيّ، دار عمار، ط ٣، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م.

📖 **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيميّ البصريّ (ت٢٠٩هـ) تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٣٨١هـ.

📖 **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت٨٠٧هـ)، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

📖 **مجمل اللغة**، أحمد بن فارس الرازيّ (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

📖 **المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث**، أبو موسى محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن محمد الأصبهانيّ المدينيّ (ت٥٨١هـ)، تحقيق: عبد الكريم العزباويّ، دار المدني للطباعة والنشر، جدة، المملكة العربية السعودية، ط١، ج١/١٩٨٦م، ج٢، ٣/١٩٨٨م.

📖 **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت١٣٣٢هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

📖 **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان بن جنيّ، وزارة الأوقاف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

📖 **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسيّ المحاربيّ (ت٥٤٢هـ) تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

📖 **المحكم والمحيط الأعظم**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسيّ (ت٤٥٨هـ) تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

📖 **المحيط في اللغة**، أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد بن العباس المشهور بالصاحب بن عبّاد (ت٣٨٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسين آل ياسين، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

📖 **مختار الصحاح**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرازيّ (ت٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية والدار النموذجية، بيروت، ط٥، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

📖 **مختصر تفسير ابن كثير**، (اختصار وتحقيق)، محمد علي الصابوني (ت١٤٣٩هـ)، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤٠٢هـ- ١٩٨١م.

📖 **المخصّص**، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسيّ، تحقيق: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

📖 **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، أبو البركات حافظ الدين النسفيّ (ت٧١٠هـ)، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

📖 **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان**، أبو محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعيّ (ت٧٦٨هـ)، وضع حواشيه: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

📖 **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، أبو الحسن علي بن سلطان محمد نور الدين الملا الهروي القاريّ (ت١٠١٤هـ)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

📖 **المركبات الاسميّة والحديّة في اللّسانيّات المقارنة**، عبد القادر الفاسي وزملاؤه، معهد الدراسات والأبحاث، المغرب، ط١، ١٩٩٠م.

📖 **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق: فؤاد علي منصور دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.

📖 **المسالِك في شرح مُوَطَّأ مالك**، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكيّ (ت٥٤٣هـ)، قرأه وعلّق عليه: محمد بن الحسين السُّليماني وعائشة بنت الحسين السُّليماني، دَار الغَرب الإسلاميّ، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

📖 **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوريّ (ت٤٠٥هـ)، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

📖 **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أحمد بن محمد بن حنبل (ت٢٤١هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، مصر، ط١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٥م.

📖 **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيوميّ ثم الحمويّ (ت٧٧٠هـ)، تحقيق د. عبد العظيم الشنّاوي، دار المعارف، مصر، ط٢، ١٩٧٧م.

📖 **المصنف**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط ٢، ١٤٣٧هـ- ٢٠١٣م.

📖 **المَطَالِعُ النَّصرية للمَطَابِعِ المصريَّةِ في الأصُول الخَطيَّةِ**، أبو الوفاء ابن الشيخ نصر يونس الوفائي الهوريني الأحمديّ الأزهريّ الأشعريّ الحنفيّ الشافعيّ (ت١٢٩١هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور طه عبد المقصود، مكتبة السّنّة، القاهرة، ط ١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

📖 **المعاجم اللغوية العربية بداءتها وتطورها**، إميل بديع يعقوب (ت١٣٧٠هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٨٥م.

📖 **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، أبو محمد الحسين بن مسعود البغويّ (ت٥١٠هـ) تحقيق: محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

📖 **معاني الأبنية في العربية**، فاضل صالح السامرائي، دار عمار للنشر والتوزيع -عمان، ط٢، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

📖 **معاني القراءات**، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ (ت٣٧٠هـ)، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.

📖 **معاني القرآن**، أبو الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط (ت٢١٥هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

📖 **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفرّاء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١، (د. ت).

📖 **معاني القرآن وإعرابه**، أبو إسحاق إبراهيم بن السّريّ بن سهل الزّجّاج (ت٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

📖 **المعاني الكبير في أبيات المعاني**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: المستشرق د سالم الكرنكوي وعبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن بالهند، ط١، ١٣٦٨هـ- ١٩٤٩م.

📖 **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، محمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.

📖 **معجم ألفاظ القرآن نادرة الاستعمال في لغتنا المعاصرة، دراسة لغوية تفسيرية**، نشأت صلاح الدين حسين وحامد عبد الهادي حسين، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، بغداد، العراق، ٢٠٠٦م.

📖 **المعجم الأوسط**، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت٣٦٠ هـ)، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وأبو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥م.

📖 **معجم البلدان**، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٩٥ م.

📖 **معجم ديوان الأدب**، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابيّ (ت٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م.

📖 **المعجم العربي نشأته وتطوره**، حسين نصار، دار مصر للطباعة، ط٤، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

📖 **معجم اللغة العربية المعاصرة**، أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت١٤٢٤هـ)، عالم الكتب، ط ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

📖 **المعجم المفصل في شواهد العربيّة**، إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.

📖 **المعجم الوسيط**، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجّار)، دار الدعوة، القاهرة، مصر، (د. ت).

📖 **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**، فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

📖 **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهانى (ت٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

📖 **مقاييس اللغة**، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازيّ (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

📖 **الممتع الكبير في التصريف**، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد الحَضْرَمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٦م.

📖 **موسوعة التفسير المأثور**، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ. د. مساعد بن سليمان الطيار – د. نوح بن يحيى الشهري، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ – ٢٠١٧م.

📖 **الموسوعة القرآنية**، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (ت١٤١٤هـ)، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥هـ.

📖 **نظرة تاريخية في حركة التأليف عند العرب (في اللغة والأدب والتاريخ والجغرافية)**، أمجد الطرابلسي، منشورات مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ط٢، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٦م.

📖 **النكت والعيون**، أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د. ت).

📖 **النهاية في غريب الحديث والأثر**، أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

📖 **النوادر في اللغة**، أبو زيد الأنصاري، تحقيق ودراسة: الدكتور محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق، ط١، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.

📖 **نواهد الأبكار وشوارد الأفكار (حاشية السيوطيّ على تفسير البيضاويّ)**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطيّ، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين المملكة العربية السعودية (٣ رسائل دكتوراه) ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٥م.

📖 **الهداية إلى بلوغ النهاية**، مكي بن أبي طالب أبو مُحمّد القيسي، تحقيق: مجموعة من الباحثين، إصدار كليّة الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات العربيّة المتحدة، ط ١، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

📖 **هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين**، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت١٣٩٩هـ)، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت، لبنان.

📖 **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، (د. ت).

📖 **الوافي بالوفيات**، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

📖 **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م.

Republic of Iraq

Ministry of Higher Education and Scientific Research

College of Islamic Sciences-University of Babylon

Quran Language Department

The Lexical Impact on the Interpretation of Al-Baydawi (685 A.H.)

A message provided by the student

Saja Raheam oda Qadhum Al-Sultani

To

of the Department of Qur'anic Language at the College of Islamic Sciences / University of Babylon, and it is part of the requirements for obtaining a master's degree in the language and miracles of the Qur'an

Under the supervision of

Dr. Husein Ali Hadi Al Muhanna

A.D	A.H
2022	**1444**

I began my journey with Tafsir al-Baydawi (The Lights of Revelation and the Secrets of Interpretation), and I read it, read it thoroughly, exhaustively stripping the lexical meanings, and I think that I found what I wanted and wanted, which is to obtain the reward of this world and the reward of the Hereafter.

I tried as much as possible to explain the lexical meaning to mention the meaning in al-Baydawi and then mention this meaning to the owners of lexicons to document the correctness of this meaning mentioned by al-Baydawi, then we use books of interpretation to clarify this meaning. He was a linguist of the first order, skilled in revealing the meaning of the word, taking into account the agreement of the meaning of the Qur'anic context.

When explaining the impact of the lexical meaning, we mention Al-Baydawi's saying and try to mention the effect of the contextual presumption on which he chose the lexical meaning, and we corroborate that with the opinions of some commentators who said his words.

Tafsir al-Baydawi was the most important source of research as it is the field of study and its focus, then dictionaries, the most important of which is the book Al-Ain by Khalil bin Ahmed Al-Farahidi (d. 175 AH), the dictionary of language standards by Ahmed bin Faris (d. 395 AH) and Lisan Al-Arab by Ibn Manzur (d. 711 AH) and others. Among the sources of research are books The interpretation to explain the impact of the lexical meaning, the most prominent of which is the interpretation of al-Tabari (d. 310 AH) and the interpretation of the Scout by Zamakhshari (d. 538 AH) and the ocean surrounding Abu Hayyan al-Andalusi (d. 745 AH). 311 AH) Among the sources of the research are the books of the Prophet's hadith that I used to extract the hadiths of the Prophet, may God bless him and his family and grant them peace, especially Sahih Al-Bukhari and Muslim.

The nature of the research required that it be in an introduction, a preface and three chapters. The first chapter included three sections and was entitled inference with the

origins of the linguistic building. In the first topic, he spoke about inference from the Holy Qur'an in revealing the meaning, and the second topic was entitled inference with the noble hadith in revealing the meaning. The third topic came to unveil the inference by poetry in revealing the meaning. As for the second chapter, it was entitled procedural techniques in clarifying the lexical meaning. It included three sections that spoke in the first section on the role of the lexical effect in determining the morphological structure of the vocabulary. The second topic was entitled Measurement on the opposite and the opposite. The third topic came under the title Choosing a meaning from a group of meanings. As for the third chapter, which came under the title of showing the meaning in the shadow of the patterns, which included three sections that dealt in the first section with the compound pronunciation, and the second topic was entitled the meaning of possibility, while the third topic was entitled the effect of readings in the statement of meaning. We closed the research with a conclusion that included the most important results that I reached.